الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

Organs of Human Body in the Holy Quran
(An Objective Study)

إعداد الباحث/
علي فرج عاشور

إشراف الدكتور
رياض محمود قاسم

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

يقول الله تعالى: ﴿... **وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**...﴾ [النمل: ٤٠]، ويقول الرسول ﷺ : (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)[١]، واعترافاً مني بالفضل والتقدير لأهله أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور رياض محمود قاسم " حفظه الله ورعاه"، حيث يقف لساني عاجزاً عن شكره لقبوله الإشراف على رسالتي، فقد منحني الكثير من وقته وجهده، وخبرته، فلم يبخل عليَّ بتوجيهه ونصحه وإرشاده، فكان نعم المشرف الذي لمست وشاهدت فيه العلم الوافي، والنصيحة السديدة وسعة الصدر، وكان له الفضل الكبير بعد الله في إخراج هذا الجهد المتواضع متمنياً له وافر الصحة ودوام العافية.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتورين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور: عبدالله علي الملاحي حفظه الله ورعاه، والدكتور زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله ورعاه. لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وكلي ثقة بالله أولاً، ثم بهما ثانيةً بأن ملاحظاتهما حول هذه الرسالة سيكون لها بالغ الأثر في إثرائها، وإخراجها في أحسن صورة، فجزاهما الله عنا خير الجزاء.

وأتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، على عطائها المستمر والمميز.

كما وأشكر عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وأخص بالذكر قسم التفسير وعلوم القرآن الذي يسر لي فرصة الالتحاق ببرنامج الماجستير، وأخص بالشكر العميق أعضاء الهيئة التدريسية الكرام بقسم التفسير وعلوم القرآن، والشكر موصول إلى رئاسة الجامعة الإسلامية وإدارتها، وكذلك أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية لما وفروه من خدمة لطلاب وطالبات العلم.

ولا أنسى الشكر الجزيل لزوجتي العزيزة، وأبنائي الكرام على ما وفروه لي من جوٍ مناسبٍ لكتابة الرسالة.

---

١ – سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح ١٩٥٤(٤/ ٣٣٩)، قال الترمذي هذا حديثٌ صحيحٌ، وحكم الألباني صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــداء

- إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه.
- إلى جميع أرواح الشهداء الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداء للدين والوطن.
- إلى الذين بذلا عمرهما وجهدهما ومالهما في سبيل تعليمي وتربيتي، وأعطياني من حبهما وشفقتهما ما لا قدرة لي على أداء حقهما، ووفاء قدرهما، إلى روح والدتي العزيزة رحمها الله، وأبي الكريم حفظه الله.
- إلى زوجتي وأبنائي الأعزاء، الذين وفروا لي سبل الراحة للقيام بإتمام رسالتي على أكمل وجه.
- إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله تعالى.
- إلى جميع أقاربي وأصدقائي في العمل والدراسة.
- إلى كل هؤلاء وإلى المسلمين عامة.

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى عزوجل أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ثم الحمد لله خالق البرية، المتفضل على جميع خلقه بالنعم والبركات، حيث مَنّ اللهُ على الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: ٤] ودعاه لينظر ويتأمل في نفسه، قال تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾ [الطارق: ٥-٦].

صلِّ اللهم على رسول الله محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وأحصاه كتابك، وارضَ اللهم عن سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد : فمعلومٌ أنَّ القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة، ومصدر عزتها؛ لأنه كتاب هدايةٍ وإعجاز، ففيه من التفكر والتدبر في خلق الله تعالى ما يدل على قدرة الله في خلق الإنسان حيث قال تعالى:﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١].

وقد بلغ عدد أعضاء جسم الإنسان قرابة ثلاثة وأربعين عضواً، ورد ذكرها في نحو مائة آية من القرآن الكريم، وهذا يدلل على أهمية الموضوع.

والتفكر في خلق الإنسان نوعٌ من أنواع العبادات، لكي يتوصل الإنسان بهذا التفكر والتدبر والتأمل للعبادة السليمة القويمة، قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣]

وقد ذكر القرآن الكريم أعضاء جسم الإنسان، وذلك لبيان أهمية خلق هذه الأعضاء في جسم الإنسان، وقد جاءت الرسالة، بعنوان (أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم دراسة موضوعية).

وقد أحببت أن أدخل في ثنايا علم التفسير، من خلال تناول أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم، وذلك باستقرائها وبيان مواضعها في السور الموجودة فيها، ومن ثم تفسيرها تفسيراً موضوعياً.

والله أسأل أن يوفقني إلى طاعته، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أولا : أهمية الموضوع

تتبع أهمية هذا الموضوع من خلال ما يلي:

١. تعلق موضوع هذه الدراسة بأشرف كتاب على هذه البسيطة، ألا وهو القرآن الكريم.

٢. حداثة هذا الموضوع من حيث العرض بشكل موضوعي مستقل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. بيان أهمية التدبر في خلق الله في الإنسان للوصول إلى العبادة الصحيحة.

٤. هذا الموضوع يبين كرامة الإنسان عند الله ﷻ.

ثانيا : أسباب اختيار الموضوع

١. اعتناء القرآن الكريم بأعضاء الإنسان فقد ذُكرت أعضاء الإنسان في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

٢. إبراز صورة واضحة عن هذه الأعضاء التي غفل الناس عن التأمل والتدبر في دورها في القرآن الكريم.

٣. رجاء أن نكون من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته .

٤. تشجيع وموافقة أستاذي ومشرفي الفاضل **الدكتور/ رياض محمود قاسم** على الكتابة في هذا الموضوع حيث إنّه موضوع نادر وقيم لم يُطرق من قبلُ في دراسةٍ علميةٍ مُحَكَمَةٍ.

٥. افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة علمية مُحَكّمَة حول هذا الموضوع.

٦. إظهار وبيان قدرة الله في خلق الإنسان.

٧. الفائدة العظيمة والثمرة الكبيرة التي ستعود عليَّ من خلال دراستي لهذا الموضوع.

ثالثا: أهداف الدراسة

إنَّ لهذه الدراسة أهدافًا كثيرة وغايات متعددة، أذكر أهمها:

١. جمع الآيات التي ورد فيها أعضاء جسم الإنسان، وتتبع تفسير هذه الآيات من كتب التفسير وبيان وجه الإعجاز فيها.

٢. تحصيل ما وعدنا الله سبحانه وتعالى من أجر عظيم لخدمة كتابه العزيز.

٣. الوقوف على أعضاء الإنسان الواردة في القرآن الكريم، وبيان عظمة الخالق في الخلق.

٤. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسةٍ علميةٍ مُحَكَمَةٍ تتناول موضوعاً جديداً تفتقر إليه.

٥. فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال النتائج والتوصيات، التي سيخرج بها الباحث في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

٦. الاطلاع على عناية الله تعالى بهذه الأعضاء، فمنها ما ذكر للعبادة كأعضاء الوضوء والتيمم، ومنها ما ذكر لتبيان شدة تأثرها بالعذاب كالجلود، والبطون، والأمعاء، والظهور، ومنها ما ذكر لاستخدامها في الإعراض والصد عن سبيل الله كالآذان والأصابع والأفواه، ومنها ما ذكر في القتال كالبنان والأعناق، ومنها ما ذكر في تأييد الله للأنبياء بمعجزاتهم، ومنها ما ذكر للبشرى والطمأنينة.....

٧. استكمال جهود العلماء السابقين، وإثراء الموضوع بكل ما هو جديد، خاصة وأن هذه الدراسة لم يكتب بها رسالة علمية مُحَكَمَة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعا: الدراسات السابقة

على الرغم من أهمية الموضوع في حياة المسلم، وعلى الرغم من كثرة الآيات التي وردت فيه، وبعد البحث والاطلاع فيما كُتب في هذا الموضوع، لم أجد رسالةً علميةً مُحَكّمَةً، تحيط بجميع جوانب هذا الموضوع في إطار دراسةٍ علميةٍ تطبيقيةٍ متخصصةٍ، وقد جاءت هذه الدراسة لبيان أهمية الموضوع، وبعد مراسلة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية حول الموضوع، كان الرد بعدم وجود رسالة محكمة تناولت الموضوع بشكل متكامل.

وقد وجدتُ بعض البحوث التي تساعد في البحث منها:

١- رسالة ماجستير بعنوان / الإنسان: الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية للطالب / سلام محمد ياسين الحيحي من جامعة النجاح الوطنية بنابلس عام ٢٠١١م تحت إشراف الدكتور/ يحيى عبد الرؤوف جبر.

واشتملت على عدة فصول منها، الفصل الرابع: المبحث الأول/ ألفاظ أعضاء الجسم التي تُعد مكونات أساسية (كالجلد، الشوى، الدم.....) المبحث الثاني / ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي تُعد مداخل الحس (العين، الأذن، اليد، الأنف، اللسان.....)

٢- رسالة ماجستير بعنوان لغة الجسد في القرآن الكريم للطالب / أسامة جميل عبد الغني ربايعة من جامعة النجاح الوطنية بنابلس عام ٢٠١٢م تحت إشراف الدكتور/عودة عبدالله، تحدثت الرسالة عن عدة فصول، منها الفصل الثالث/ تحدث الباحث فيه عن العيون في القرآن الكريم، والوجه وملامحه، بينما تحدث الفصل الخامس،عن حركات اليد والأصابع، والرأس والرجل.....

٣- وجدتُ مقالاً للدكتور أحمد الحَجَاوي بعنوان (أعضاء جسم الإنسان في القرآن)، وكان هذا المقال قد كُتب في موقعِ أهل القرآن.

خامسا : حدود الدراسة

١. التعريف بأعضاء الجسم الواردة في الآيات.

٢. ذكر دور هذه الأعضاء وبيان أهميتها.

٣. الرجوع إلى أمهات كتب التفسير من أجل تفسير الآيات التي ورد فيها ذكر أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم، والكتب التي لها علاقة بالموضوع .

٤. عدم الاستطراد في التفسير حتى لا أخرج عن الموضوع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا: منهج الباحث: سيعتمد الباحث في هذا البحث على المنهجِ الاستقرائي الموضوعي للآيات، فالبحث عبارة عن دراسة موضوعية لآيات الأعضاء، وأداة البحث استقراء تفسير الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع.

وطريقتي في البحث كالتالي:

١- جمع الآيات التي تتحدث عن أعضاء جسم الإنسان في القرآن، وكتابتها بالرسم العثماني، وبالرجوع إلى كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وذكر الآيات حسب نزولها في القرآن الكريم.

٢- تقسيم الآيات إلى مجموعات، كل مجموعة تتحدث عن موضوع.

٣- الرجوع إلى كتب التفسير القديمة كالطبري، وابن كثير، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والحديثة كظلال القرآن، والمنار، والتحرير والتنوير.....

٤- إبراز إعجاز القرآن الكريم في كثير من الأعضاء التي ستُذكر في الآيات، كقوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال: ١٢] لماذا خص أعلى العنق والبنان؟ وهكذا.....

٥- ذكر سبب النزول إن وجد.

٦- تخريج الأحاديث الواردة في الرسالة، تخريجاً علمياً والحكم عليها ما أمكن.

٧- بيان معاني المفردات الغريبة، بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الأصيلة.

٨- عمل تراجم للأعلام غير المشهورين، أما المشهورون فلا أترجم لهم لشهرتهم.

٩- إثبات الآيات القرآنية في متن الرسالة، مَشكُولة بالرسم العثماني.

١٠- سأتبع المنهج الاستقرائي.

١١- سألتزم جانب الاختصار والإيضاح في التفسير قدر المستطاع لطول الموضوع وتعدد جوانبه وآياته.

١٢- التطرق للفتات واللطائف الواردة في الآيات التي تحدثت عن أعضاء جسم الإنسان.

١٣- سأذيل الرسالة بخمسة فهارس الأول للآيات القرآنية، والثاني للأحاديث النبوية، والثالث للأعلام، والرابع للمصادر والمراجع، والخامس لمواضيع الرسالة.

سابعاً: خطة البحث

ويتكون البحث من : مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة:

وتشتمل المقدمة على: أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف الدراسة، الدراسات السابقة، حدود الدراسة، منهج البحث، خطة الباحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الأعضاء التي ذُكرت في الطهارة، والحدود، والقتال.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأعضاء التي ذكرت في الطهارة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : فرائض الوضوء (الوجوه، والأيدي إلى المرافق، والرؤوس، والأرجل إلى الكعبين).

المطلب الثاني : التيمم (الوجوه، والأيدي).

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الحدود.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : حكم القصاص (العيون، والأنوف، والآذان، والأسنان).

المطلب الثاني : حد الحرابة (تقطيع الأيدي، والأرجل).

المطلب الثالث : حد السرقة (اليد).

المطلب الرابع: تهديد فرعون للسحرة المؤمنين (قطع الأيدي، والأرجل).

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في القتال.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأقدام، والقلوب، الأدبار.

المطلب الثاني: الأعناق، والرقاب.

المطلب الثالث: البنان.

المطلب الرابع: العيون .

الفصل الثاني

الأعضاء التي ذكرت في الحسرة والندم، والشهادة، والعذاب.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أعضاء ذكرت عند الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحسرة والندم (تقليب الكفين، والعض على الأيدي، والأقدام، والظهور).

المطلب الثاني: التيه والضلال (القلوب، والعيون، والأصابع، والآذان، والأيدي).

المطلب الثالث: الابتلاءات والمحن (العيون، والرؤوس، والأيدي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الأعضاء التي تشهد على أصحابها.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شهادة الأسماع، والأبصار، والجلود.

المطلب الثاني: شهادة الألسنة، والأيدي، والأرجل.

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في العذاب.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأعناق.

المطلب الثاني: الجلود.

المطلب الثالث: البطون، والظهور، والأمعاء.

المطلب الرابع: الرؤوس، والنواصي، والوجوه، والخرطوم.

الفصل الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله، والعبادة، والطمأنينة.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله في خلقه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: البطون، والصدور.

المطلب الثاني: الألسنة، والتراقي، والسيقان، والعيون.

المطلب الثالث: العظام، والبنان، والآذان.

المطلب الرابع: الأعناق، والحلاقيم، والأوردة، والظهور.

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في العبادة، والطاعة.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرؤوس، والوجوه.

المطلب الثاني: العيون، والفروج.

المطلب الثالث: الجنوب، والجبين.

المطلب الرابع: الأذقان، والبطون، والألسنة.

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في الطمأنينة، والبشرى.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الأعضاد، والصدور، والألسنة والأيدي مع النبي ﷺ وموسى عليه السلام، وفي حق المؤمنين.

المطلب الثاني: الرؤوس، والوجوه مع رسول الله ﷺ، ويوسف عليه السلام.

المطلب الثالث: قرة العيون، ونضارة الوجوه للصالحين.

الفصل الرابع

الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم، والإعراض عن دعواتهم.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الأيدي، والعيون، والآذان، والأطراف.

المطلب الثاني: الأرجل، والسيقان.

المطلب الثالث: الرؤوس، واللحى.

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الإعراض، والصد عن الدعوة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : إعراض الكفار واليهود عن النبي (الظهور، والقلوب، والآذان).

المطلب الثاني: إعراض المنافقين (الألسنة، والأنامل، والأفواه، والرؤوس، والخدود).

المطلب الثالث: إعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين (الأرجل، والأيدي، والعيون، والأفواه، والأصابع والآذان).

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

أولا: فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيبها في المصحف.

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعا: فهرس المصادر والمراجع.

خامسا: فهرس الموضوعات.

ملخص الرسالة باللغة العربية.

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

الأعضاء التي ذُكرت في الطهارة، والحدود، والقتال.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأعضاء التي ذكرت في الطهارة.

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الحدود، والقصاص.

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في القتال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذكرت في الطهارة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: فرائض الوضوء (الوجوه، والأيدي إلى المرافق، والرؤوس، والأرجل إلى الكعبين).

المطلب الثاني: التيمم (الوجوه، والأيدي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذكرت في الطهارة (فرائض الوضوء، والتيمم)

الإسلامُ دينٌ يحث على الطهارة المعنوية والمحسوسة، حيث كانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً تحث على طهارة الثياب من النجاسات المحسوسة، وطهارة القلوب من الكفر والنفاق، قال تعالى: **﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾** [المدثر: ٣ – ٥] وبين رسول الله ﷺ أنّ الوضوء هو سببٌ مباشر من أسباب النظافة، فقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ " قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: (فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا)**[١]

المطلب الأول : فرائض الوضوء

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]

إنّ أعظم الطاعات بعد الإيمان الصلاة، وكان لابد للصلاة من الطهارة، وقد ذكر تعالى فرائض الوضوء في هذه الآية ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ...)

أولاً: سبب نزول الآية:

عن عائشة ﷺ قالت: **(سَقَطَتْ قِلاَدَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ المَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَزَلَ فَثَنَى رَأْسَهُ[٢] فِي حَجْرِي رَاقِدًا، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي[٣] لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلاَدَةٍ فِي المَوْتُ[٤]، لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَوْجَعَنِي، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ المَاءُ فَلَمْ يُوجَدْ " فَنَزَلَتْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ...)** فَقَالَ أُسَيْدُ ابْنُ حُضَيْرٍ ﷺ لَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَرَكَةٌ لَهُمْ ﷺ .[٥]

والله ذكر آية الوضوء ليحث المؤمنين على الطهارة عند القيام إلى الصلاة، والصلاة لا تصح لمن كان محدثاً إلا بوضوء، بدليل ما روي عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

١ – صحيح البخاري، كتاب الصلوات، باب الصلوات الخمس، ح ٥٢٨ (١/١١٢).

٢ – فثنى رأسه: يُقَال ثنى صَدره على كَذَا طواه عَلَيْهِ وستره. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٠١).

٣ – لكزني: اللَّكْز: الدَّفع فِي الصَّدر بالكَفِّ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٦٨).

٤– فبي الموت: أي كاد ينزل بي الموت من شدة الوجع. انظر: حاشية صحيح البخاري (٦/٥١).

٥ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب (فلم تجدوا ماء فتيمموا)، ح ٤٦٠٨(٦/ ٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)[1] قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ: مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ؟ قَالَ: فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقال الطبري: "اختلف أهل التأويل في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) أمرادٌ به كلَّ حال قام إليها، أو بعضها؟ وأيّ أحوال القيام إليها؟

وما رجحه الطبري وهو أنّ المقصود بالقيام هو جميع أحوال القيام إلى الصلاة بعد أي حدث، ينقض الطهارة.[2]

وظاهر الآية أنّ المراد بالقيام إلى الصلاة عمومه في جميع الأحوال، وأن هذه الطهارة تجب لكل صلاة، وعليه داود الظاهري، ولكن جمهور المسلمين على أن الطهارة لا تجب على من قام إلى الصلاة إلا إذا كان محدثا، فهم يقيدون القيام الذي خوطب أهله بالطهارة بالتلبس بالحدث، فالمعنى عندهم: إذا قمتم إلى الصلاة محدثين فاغسلوا وجوهكم. [3]

والمراد بالغَسل بالفتح في قوله تعالى:"(فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) هو إسالة الماء على الشيء، والغرض منه إزالة ما على الشيء من وسخ وغيره مما يراد تنظيفه منه.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه غسل هذه الأعضاء أثناء الوضوء، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ **أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الأُخْرَى فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُمْنَى ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُسْرَى ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، يَعْنِي الْيُسْرَى، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ.** [4] **وعَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ**[5] ﷺ **قَالَ: رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ تَوَضَّأَ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثًا فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي، ثُمَّ**

---

١ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بدون طهور، ح ١٣٥(١/ ٣٩).

٢ – انظر: جامع البيان (٧ /١٩).

٣ – انظر: تفسير المنار (٦/ ١٨٢).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بابُ غَسْلِ الوَجْهِ بِاليَدَيْنِ مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، ح ١٤٠ (١/ ٤٠).

٥ – حمْرَان بْن أبان مولى عُثْمَان بْن عَفَّان يروي عَن عُثْمَان، روى عَنهُ عُرْوَة بْن الزبير، وَعَطَاء بْن يزِيد اللَّيْثِيّ، وَكَانَ من سبى عين التَّمْر من الَّذين سباهم خَالِد بْن الْوَلِيد، قدم الْبَصْرَة فَكتب عَنهُ البصريون. انظر: الثقات لابن حبان (٤/ ١٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَالَ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "[1] وهذا يدل على أن الأعضاء المذكورة في الآية هي فرائض الوضوء التي يجب القيام بها حتى يصح الوضوء، ومن هذه الأعضاء ما يجب غسله، ومنها ما يجب المسح عليه، والتي يجب فيها الغسل (الوجه، والأيدي، والأرجل)، والدليل على ذلك: قوله تعالى: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ... وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ).

ثالثاً: المعنى اللغوي:

و(الوجوه) جمع وجه، وَحَدَّه من أعلى تسطيح الجبهة إلى أسفل اللحيين طولا، ومن شحمة الأذن إلى شحمة الأذن عرضا، وهو اسم للجلدة الممتدة من الجبهة إلى الذقن، [2]

و(الأيدي) جمع يد، وهي الجارحة التي تبطش وتعمل بها، وَحَدُّها في الوضوء من رؤوس الأصابع إلى المرافق.

و(الْمَرافِق) جمع مرفق، وهو مفصل الساعد أو الذراع من الأعلى والعضد من الأسفل.[3]

"وكلّ ما بين العقدتين من القصب والرّمح يقال له كعبان، و"(الْكَعْبَيْنِ) هما العظمان الناتئان عند اتصال الساق بالقدم من الجانبين."[4]

وأما **الرأس** فإنها تمسح بدليل قوله: (وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ) الباء للإلصاق، أي: ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس، فيكفي فيه عند الشافعي، أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض الشعر.

وذكر تعالى الأيدي والأرجل ولم يذكر تقديم اليمنى على اليسرى، وذلك يدل على أنّ الواجب هو غسل اليدين بأي صفة كان والله أعلم...[5]

رابعاً: القراءات:

قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص (وأرجلَكم) بالفتح وحجتهم أنها معطوفة على الوجوه، والأيدي فأوجبوا الغسل عليهما، قال الزجاج: الدليل على أن الغسل هو الواجب في الرجل وأن المسح لا يجوز تحديد قوله: (إلى الكعبين) كما جاء في تحديد اليد (إلى المرافق) ولم

---

١ – صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله، ح ٢٢٦ (١/ ٢٠٤).

٢ – انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦ /٨٨).

٣ – انظر: المنجد في اللغة (١/ ٤٥).

٤ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٦ / ١٠٠).

٥ – انظر: مفاتيح الغيب (١١ / ٣٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأتِ في شيء من المسح تحديد قال: (وامسحوا برؤوسكم) بغير تحديد في القرآن قال: ويجوز أن يقرأ (وأرجلكم) على معنى واغسلوا؛ لأن قوله: (إلى الكعبين) دل على ذلك.[١]

وَقَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَحَمْزَة وَأَبُو بكر (وأرجلِكم) خفضا عطفاً على الرؤوس وحجتهم فِي ذَلِك مَا رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس ﷺ أَنه قَالَ: الْوضُوء غسلتان ومسحتان.

وَالصَّوَاب من القَوْل مَا عَلَيْهِ فُقَهَاء الْأَمْصَار أَن الْغسْل هُوَ الْوَاجِب نَحْو الرجلَيْن وَيجوز أَن يكون قَوْله: (وأرجلِكم) بالخفض حملت على الْعَامِل الْأَقْرَب للجوار وَهِي فِي الْمَعْنى للْأولِ كَمَا يُقَال هَذَا جُحر ضَب خرب فَيحمل على الْأَقْرَب وَهُوَ فِي الْمَعْنى للْأولِ.[٢]

وكان رسول الله ﷺ يمسح رأسه كله، ويغسل الرجلين إلى الكعبين، **سَأَلَ رجلٌ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ زَيْدٍ**[٣]ﷺ **عَنْ وُضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ فَدَعَا بِتَوْرٍ**[٤] **مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ لَهُمْ وُضُوءَ النَّبِيِّ ﷺ (فَأَكْفَأَ عَلَى يَدِهِ مِنَ التَّوْرِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلاَثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي التَّوْرِ، فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثَلاَثَ غَرَفَاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الكَعْبَيْنِ)**[٥]

وروي عن أنس ﷺ: (قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل، فيكون مسح الرجلين منسوخا بالسنة).[٦] وفِي الصَّحِيحِ: **(أَنَّ رَسُول الله ﷺ رأى قوما يتوضّؤون وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ، فَنَادَى فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ (وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً)**[٧]. "وقد أجمع الفقهاء بعد عصر التابعين على وجوب غسل الرجلين في الوضوء ولم يشذ عن ذلك إلا الإمامية من الشيعة، قالوا: ليس في الرجلين إلا المسح، وإلا ابن جرير الطبري: رأى التخيير بين الغسل والمسح، وجعل القراءتين

---

١ – انظر: حجة القراءات (١/ ٢٢١)، السبعة في القراءات (١/ ٢٤٢).

٢ – انظر: حجة القراءات (١/ ٢٢٣).

٣ – عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب النجاري الأنصاري: صحابي، من أهل المدينة، كان شجاعا شهد بدرا وقتل مسيلة الكذاب، يوم اليمامة، له ٤٨ حديثا.انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٨٨)، أسد الغابة لابن الأثير(٣/٢٥٠).

٤ – تور: هُوَ إِنَاءٌ مِنْ صُفْر أَوْ حِجَارَةٍ ، وَقَدْ يُتَوضأ مِنْهُ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٩).

٥ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب مسح الرأس ...، حديث رقم ١٨٦ (٤٨/١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء ...، ح ٢٢٦ (٢٠٤/١).

٦ – انظر: التحرير والتنوير(٦ / ١٣٠).

٧ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، ح ١٦٥ (٤٤/١)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين...، ح ٢٤١ (٢١٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمنزلة روايتين في الإخبار إذا لم يمكن ترجيح إحداهما على رأي من يرون التخيير في العمل إذا لم يعرف المرجح".[١]

ويرى الباحث أنَّ قراءة الخفض أضافت حكماً جديداً، وهو حكم جواز المسح على الخفين للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن.

وأنّ المسلم إذا توضأ فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه وهكذا باقي الأعضاء.

خامساً: اللفتات واللطائف:

١- لما فرغ اللهُ من الحديث عن الطعام والزواج ارتقى إلى الحديث عن الطهارة والصلاة استكمالاً لألوان التمتع الطيب في حياة الإنسان والذي به يتكامل وجود الإنسان.

فهي لفتة إلى لون آخر من الطيبات، طيبات الروح الخالصة؛ إلى جانب طيبات الطعام والنساء لونٌ يجد فيه قلب المؤمن ما لا يجده في سائر المتاع؛ إنه متاع اللقاء مع الله، في جو من الطُهر والخشوع والنقاء.

٢- إنّ أحكام الطهارة والصلاة، كأحكام الطعام، والنكاح، كأحكام الصيد في الحل، والحرمة، كأحكام التعامل مع الناس، في السلم والحرب كلها عبادة لله، وكلها دين الله.

والصلاة لقاءٌ مع الله، ووقوفٌ بين يديه- سبحانه- ودعاءٌ مرفوع إليه، ونجوى وإسرار، فلا بد لهذا الموقف من استعداد، لا بد من تطهر جسدي يصاحبه تهيؤ روحي، ومن هنا كان الوضوء[٢]

سادساً: الإعجاز العلمي في الوضوء:

الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية قال ﷺ: **(مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)**[٣] وقال: **(إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ)**[٤]

ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين إلى الكعبين فائدة في إزالة الغبار، وما يحتوى عليه من الجراثيم، فضلا عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد

---

١ – التحرير والتنوير (٦ / ١٣٠).

٢ – انظر: في ظلال القرآن (٢/ ٨٤٩).

٣ – صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا ...، ح ٢٤٥(٢١٦/١).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء ...، ح١٣٦(٣٩/١)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، الطهارة، باب استحباب إطالة ...، ح ٢٤٦ (٢١٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجلدية، بالإضافة إلى إزالة العرق، وقد ثبت علميا أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان؛ إلا إذا أهمل نظافته فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون، وعرق تتراكم على سطح الجلد، محدثة حكة شديدة، وهذه الحكة بالأظافر التي غالبا ما تكون غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد، كذلك فإن الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتريا؛ كي تتكاثر وتنمو، لهذا فإن الوضوء بأركانه قد سبق علم البكتريولوجيا الحديثة، والعلماء الذين استعانوا بالمجهر على اكتشاف البكتريا، والفطريات التي تهاجم الجلد، الذي لا يعتني صاحبه بنظافته.[١]

وإنّ الوضوءَ يكفلُ للمتوضئ الوقايةَ من نموِّ الفطرياتِ، بينَ أصابعِ القدمينِ، كما يمنعُ إصابةَ الجلدِ بالالتهاباتِ، والتقيحاتِ، والتجمعاتِ الصديديةِ، ويقلِّلُ من احتمالِ حدوثِ سرطانِ الجلدِ؛ لأنه يزيلُ الموادَ الكيماويةَ قبلَ أن تتراكمَ، وقبلَ أنْ تتجمعَ على سطحِ الجلدِ، لذلك فهذه حقيقةٌ ثابتةٌ أنّ الإصابةَ بسرطانِ الجلدِ تقلُّ في البلادِ الإسلاميةِ.

والمراد من غسل الوجه، واليدين، والقدمين، وتدليك هذه الأجزاء يعتبر بمثابة تنشيط لجريان الدم في الأوعية، التي تحت الجلد، وهذا ينعكس على الحالة النفسية للمؤمن، فيزداد اطمئناناً وسكينة. وثبت أيضاً أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية، من اليدين، والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين، والساقين، أضعف منها في الأعضاء الأخرى؛ لبعدها عن المركز الذي هو القلب؛ فإن غسلها مع دلكها يقوي الدورة الدموية، لهذه الأعضاء من الجسم، مما يزيد في نشاط الشخص وفعاليته... وفي بحث حديث تبين التأثير الجيد للماء، على الإنسان أثناء الوضوء، في إزالة التوتر والقلق، لذلك يشعر المؤمن أثناء وضوئه بالطمأنينة، وهذا من أسرار الوضوء، إذ إنّ سقوط رذاذ الماء على أعضاء الجسم، أثناء الوضوء يؤدي إلى استرخاء الأعصاب، والعضلات، ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم، والآلام العضلية، وحالات القلق، والأرق.[٢]

ويرى الباحث أنّ للماء قوة سحرية، بل إنّ رذاذ الماء على الوجه واليدين (الوضوء) هو أفضل وسيلة للاسترخاء، وإزالة التوتر... ومن ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمي (الأدلة على صدق الوحي والنبوة)، في شرعية الوضوء في الإسلام، وما يحمله من فوائد صحية ووقائية.

إنّ ديننا بُني على النظافة فالوضوء وسيلةٌ من وسائل النظافة، وهو وسيلةٌ فعالةٌ جدا للتغلب على التعب والإرهاق، كما أنه يجدد نشاط الإنسان، فوضوء المسلم للصلاة يعيد توازن

---

١ – انظر: الإعجاز القرآني: الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية– محمد كامل عبد الصمد المصدر: مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤ " من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة

٢ – انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (٧٣/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطاقة التي تسري في مسارات جسم الإنسان، ويصلح ما بها من خلل بعد تنقية المرء من ذنوبه وخطاياه التي لها تأثير على الحالة النفسية والجسمية، أما من الناحية الحسية والمعنوية ففي الوضوء علاج خفي لسائر أعضاء الجسم إذ يعالج الخلل الموجود بالجسم، ويدل على ذلك ما روي عن عمرو بن عبسة ﷺ قال: **(قلت: يا رسول الله حدثني عن الوضوء، قال: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)**[1]

والخلاصة أنّ هذه الأعضاء ذُكرت؛ لأنها أكثر الأعضاء التي ترتكب الذنوب والخطايا، فلا بد من غسل اليد، والعين، والرجل، بالوضوء لتتطهر من ذنوبها –والله أعلم–.

المطلب الثاني: التيمم (الوجوه، والأيدي).

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾** [النساء: ٤٣]

أولاً: سبب نزول الآية:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ **(قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﵁ فَقَالُوا: أَلاَ تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ ﵂ ، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ : فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ ﵁، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعَنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، وَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ**

١- صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح ٨٣٢ (١/ ٥٧٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا) فَقَالَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ ﷺ: **مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا العِقْدُ تَحْتَهُ)**[1] وفي رواية: يرحمك الله يا عائشة، ما نزل بك أمر تكرهينه إلا وجعل الله فيه للمسلمين فرجا، قالت عائشة ﷺ : فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فوجدنا العقد تحته[2]

ثانياً: المعنى اللغوي:

"والاغتسال عبارة عن إفاضة الماء على البدن كله، ومن شأن الجنابة أن تحدث تهيجا في المجموع العصبي فيتأثر بها البدن كله ويعقبها فتور، وضعف فيزيله الماء ؛ وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده : **أنه قد وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَابِ عِتْبَانَ فَصَرَخَ بِهِ، فَقَالَ عِتْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يُعْجَلُ عَنِ امْرَأَتِهِ وَلَمْ يُمْنِ[3]، مَاذَا عَلَيْهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ).**[4] وَقَد جهل هذا مَن اعْتَرَضَ عَلَى حِكْمَة التَّشْرِيع، وَقَالَ: لَو كَان الدِّينُ مُوَافِقًا لِلْعَقْلِ لَما أَوْجَبَ فِي الْجَنَابَةِ إِلَّا غَسل أَعْضاءِ التَّنَاسلِ، فَأَوْجب اللهُ تَعالى فِيمَا جعلَه غايَةً لِلنَّهي عن صلَاةِ الْجُنُبِ أَنْ يَتحرَّى الْإِنْسان فِي صِلَاتِهِ النَّظافةَ وَالنَّشاط [5]

و(التيمم) لغة هو: القصد، تقول العرب: تيممك الله بحفظه، أي: قصدك، والغائط: هو المكان المطمئن من الأرض، كنى بذلك عن التغوط، وهو الحدث الأصغر، و(الصعيد): هو كل ما صعد على وجه الأرض، فيدخل فيه التراب، والرمل، والشجر، والحجر، والنبات، وقيل: هو التراب فقط، بدليل قوله تعالى: **﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾** [الكهف: ٤٠] أي: ترابا أملس طيبا.[6]

ثالثاً: القراءات:

قَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ (أَو لمستم النِّسَاء) بِغَيْر ألف جعلا الْفِعْل للرِّجَال دون النِّسَاء وحجتهما أَن اللَّمْس مَا دون الْجِمَاع كالقبلة والغمزة، عَن ابْن عمر ﷺ اللَّمْس مَا دون الْجِمَاع أَرَادَ اللَّمْس بِالْيَدِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (أَو لامستم) بِالْألف أَي جامعتم وَالْمُلَامَسَة لَا تكون إِلَّا من اثْنَيْنِ الرجل يلامس الْمَرْأَة، وَالْمَرْأَة تلامس الرجل، وقَوْله تعالى: (لامستم النِّسَاء) أَي: جامعتم وَلَكِن

---

١ – صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب فلم تجدوا ماء ....، ح ٤٦٠٧ (٥٠/٦).

٢ – انظر: التفسير المنير (٨١/٥)، أسباب النزول للواحدي (٥/١٠).

٣ – (لم يمن) أي: لم ينزل يقال أمنى الرجل إمناء إذا أنزل أي: أراق منيه، انظر: حاشية صحيح مسلم (١/ ٢٦٩).

٤ – صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب (إنما الماء من الماء)، ح ٣٤٣ (٢٦٩/١).

٥ – انظر: تفسير المنار(٩٦/٥).

٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣١٨/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله يكني، وَعَن ابْن عَبَّاس ﷺ (أَو لامستم) قَالَ: هُوَ الغشيان وَالْجِمَاع، وَقَالَ إِن الله كريم يكني عَن الرَّفَث وَالْمُلَامَسَة والمباشرة والتغشي والإفضاء وَهُوَ الْجِمَاع[1]

وَقَوْلُهُ تعالى: (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) التَّيَمُّمُ بدل عن بعض أعضاء الوضوء في التطهر به، لا كل الأعضاء فيكفي مسح الوجه واليدين فقط.

رابعاً: التفسير الإجمالي:

واختلف العلماء في التيمم: الْقَوْلُ الأولُ: أنه يجب أن يمسح الوجه، واليدين إلى المرفقين بضربتين، وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أنه يجب مسح الوجه، واليدين إلى الكفين بضربتين، وَالثَّالِثُ: أنه يكفي مسح الوجه، والكفين بضربة واحدة.[2] والراجح القول الثالث والله أعلم أنه لم يرد في ذلك أصح ولا أصرح من حديث عمار ﷺ **(فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ[3] فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا" فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ)**[4] ففي هذا الحديث، الاكتفاء بضربة واحدة، والاقتصار في مسح اليدين على الكفين، وان من السنة لمن تيمم بالتراب، أن ينفض يديه وينفخهما منه، ولا يعفر به وجهه.[5]

وقوله تعالى: (فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ) الأيدي أي: إلى المِرْفقين لما روى أنه ﷺ تيمّم ومسح يديه إلى مِرْفقيه ولأنه بدلٌ من الوضوء فيتقدر بقَدَره [6] وإما من باب التغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه، واليدين، وإما أن يكون إرشادا للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى أنه يمسح في التيمم الوجه، واليدين فقط دون بقية الأعضاء، أو هو شامل لجميع الوجه وأنه يعممه بالمسح، إلا أنه معفوٌ عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور ولو خفيفة.

واليدان تمسحان إلى الكوعين فقط؛ لأن اليدين عند الإطلاق كذلك، فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده في الوضوء.[7]

---

١ – انظر: حجة القراءات (١/ ٢٠٤).

٢ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٢٠/٢).

٣ – تمعك: تمرغ فِي التُّرَاب وتقلب فِيهِ . انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٧٨).

٤ – صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب المتيمم هل ينفخ بهما؟ ح ٣٣٨ (١/ ٧٥).

٥ – انظر: فقه السنة (١/ ٧٩–٨٠).

٦ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٨١/٢).

٧ – انظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٢٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَقَوْلُهُ تعالى: (فامسحوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ منه) جعل التيمم قاصرا على مسح الوجه واليدين، وأسقط مسح ما سواهما من أعضاء الوضوء، إذ ليس المقصود منه تطهيرا حسيا، ولا تجديد النشاط، ولكن مجرد استحضار استكمال الحالة للصلاة.[1]

الخلاصة من هذا المبحث أن أعضاء الجسم هنا قد وردت في الطهارة، والوضوء، والتيمم، وهي الأيدي، والأرجل، والكعبين، والمرافق، والوجوه، والرؤوس، وكل ذلك لحكمة من الله تعالى.

١ – انظر: التحرير والتنوير (٥/٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في الحدود.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: حكم القصاص (العيون، والأنوف، والآذان، والأسنان).

المطلب الثاني: حد الحرابة (تقطيع الأيدي، والأرجل).

المطلب الثالث: حد السرقة (اليد).

المطلب الرابع: تهديد فرعون للسحرة المؤمنين (قطع الأيدي والأرجل).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في الحدود

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وحرم قتله بأي حال من الأحوال إلا في حالات محددة، كالنفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين، المفارق للجماعة، وحفاظاً على النفس البشرية كتب الله القصاص، وقد ورد ذلك في عدة آيات منها:

المطلب الأول: حكم القصاص (العيون، والأنوف، والآذان، والأسنان).

قال تعالى: **﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [المائدة: ٤٥]

أولاً: القراءات:

قوله تعالى: (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) يقرأ بنصب النفس فقط، ورفع ما بعدها، وبنصب النفس، وما بعدها إلى قوله: (وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ) فإنه رفع، فالحجة لمن نصب النفس، ورفع ما بعدها: أن النفس منصوبة بأنّ و(بالنفس) خبرها، والحجّة لمن نصب الكلام، ورفع (الجروحُ) أن الله تعالى كتب في (التوراة) على بني إسرائيل: أن (النفس بالنفس) إلى قوله: (والسّن بالسن) ثم كأنه قال– والله أعلم– ومن بعد ذلك: (والجروح قصاص) والدليل على انقطاع ذلك من الأول: أنه لم يقل فيه: والجروح بالجروح قصاص فكان الرفع بالابتداء أولى؛ لأنه لما فقد لفظ (أنّ) استأنف لطول الكلام، وقوله تعالى: (وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ) يقرأ بضم الذال وإسكانها، فالحجة لمن ضم: أنه أتى ذلك ليتبع الضم الضم، والأصل عنده: الإسكان، ومن أسكن فالحجة له: أنه خفف لثقل توالي الضمتين، والأصل عنده: الضم، ويمكن أن يكون الضم والإسكان لغتين.[١] وذكر ابْنُ الْمُنْذِرِ[٢]:"ومن قرأ بالرفع جعل ذلك ابتداء كلام يتضمن بيان الحكم للمسلمين، والظاهر من النظم القرآني، أن العين إذا فقئت حتى لم يبق مجال للإدراك، أنها تفقأ عين الجاني بها، والأنف إذا جدعت جميعها، فإنها تجدع أنف الجاني بها، والأذن إذا قطعت جميعها، فإنها تقطع أذن الجاني بها، وكذلك السن، فأما لو كانت الجناية ذهبت ببعض إدراك

---

١ – انظر: الحجة في القراءات السبع (١/١٣١).

٢ – هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوريّ، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ، صاحب الكتب " المبسوط " في الفقه، و " الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٩٤)، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٠٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العين، أو ببعض الأنف، أو ببعض الأذن، أو ببعض السن، فليس في هذه الآية ما يدل على ثبوت القصاص."[١]

ثانيا: التفسير الإجمالي:

ويعني بقوله: (وكتبنا) وفرضنا عليهم فيها أن يحكموا في النَّفس إذا قتلت نفسًا بغير حق (بالنفس) يعني: أن تقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة.

(والعين بالعين) أي: وفرضنا عليهم فيها أن يفقأوا العين التي فقأ صاحبها مثلَها من نفس أخرَى بالعين المفقوءة، ويجدع الأنف بالأنف، وتقطع الأذن بالأذن، وتقلع السنّ بالسنّ، ويُقْتَصَّ من الجارِح غيره ظلمًا للمجروح، فقضاء الله بينهم أن من قتَل نفسًا ظلمًا فهو بها قَوَدٌ، ومن فقأ عينًا بغير حق فعينه بها مفقوءة قِصَاصًا، ومن جدع أنفًا فأنفه به مجدوع، ومن قلع سنًّا فسنّه بها مقلوعة، ومن جرح غيره جرحًا فهو مقتصٌّ منه مثل الجرح الذي جرحه.[٢]

ومعنى (أن النفس بالنفس) "أن تقاد بها إذا قتلها بغير حق (والعين) تُفقأ بالعين إذا فُقئَتْ بغير حق (والأنف) يُجدَع (بالأنف) المقطوعِ بغير حق (والأذن) تُصْلَم[٣] (بالأذن) المقطوعة ظلماً (والسن) تُقلعُ (بالسن) المقلوعة بغير حق (والجروح قِصَاصٌ) أي: ذاتُ قصاص إذا كانت بحيث تُعرف المساواة[٤]

والظاهر من قوله: (وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ) أنه لا فرق بين الثنايا والأنياب، والأضراس، والرباعيات، وأنه يؤخذ بعضها ببعض، ولا فضل لبعضها على بعض، وإليه ذهب أكثر أهل العلم.[٥]

ويتضح من الآية المماثلة في أخذ القصاص، إن الله تعالى أوجب عليهم فيها أن النفس إذا قتلت تقتل بالنفس، بشرط العمد والمكافأة، والعين تقلع بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن، والسن ينزع بالسن وهكذا أي عضو من أعضاء الإنسان.[٦]

---

١ – فتح القدير للشوكاني (٢/٥٤).

٢ – انظر: جامع البيان (١٠/٣٦٠).

٣ – صَلَمَ الشيءَ صَلْماً: قَطَعَهُ مِنْ أَصْلِهِ، وَقِيلَ: الصَّلْمُ قَطْعُ الأُذن والأَنف مِنْ أَصلهما. انظر: لسان العرب (١٢/ ٣٤٠).

٤ – انظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/٤٣).

٥ – انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام (١/ ٢٦٩).

٦ – انظر: الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/ ٢٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والناس سواء أمام شريعة الله، فكلهم خلقوا من نفسٍ واحدةٍ، لهذا كان القصاص النفس بالنفس. والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص.. لا تمييز، ولا عنصرية، ولا طبقية، ولا حاكم، ولا محكوم.. وبذلك ينتشر العدل بين الناس.

ويرى الباحث أنّ سبب ذكر القصاص في التوراة أنّ أهلها كانوا يأخذون القصاص مباشرة، فلا يعفون، ولا يتصدقون، لكن في القرآن الكريم حث الله تعالى على التصدق في الكفارات؛ وذلك في قوله تعالى: (... فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ...) فتكون الصدقة بأخذ القصاص، أو التنازل عن الدم والدية معاً، ومن يتصدق فصدقته هذه كفارة لذنوبه، والله أعلم.

المطلب الثاني: حد الحرابة (تقطيع الأيدي، والأرجل).

لقد أقام الله الحدود، والقصاص ليحافظ على النفس البشرية، وعلى أعراض وممتلكات الناس، فلا يعتدي أحدٌ على أحدٍ، فكانت الحدود؛ لتقليص معدل الجريمة، قال تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة: ١٧٩]

وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [المائدة: ٣٣]

أولاً: سبب النزول:

١- قيل: إنها نزلت في قوم من عرينة نزلوا المدينة مظهرين للإسلام، فمرضت أبدانهم واصفرت ألوانهم، فبعثهم رسول الله ﷺ إلى إبل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها فيصحوا، فلما وصلوا إلى ذلك الموضع وشربوا وصحوا قتلوا الرعاة وساقوا الإبل وارتدوا، فبعث النبي ﷺ في أثرهم وأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركوا هناك حتى ماتوا، فنزلت[١] مماثلةً لما فعله رسول الله ﷺ وقيل إنها منسوخة فصارت تلك السنة منسوخة بهذا القرآن، وعند الشافعي رحمه الله لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة أخرى ونزل هذا القرآن مطابقا للسنة الناسخة.

٢- وقيل: إن هذه الآية نزلت في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول أكثر الفقهاء، والواضح من الآية أن قوله: (الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا) يتناول كل من كان موصوفا بهذه الصفة، سواء كان كافرا أو مسلما، والآية نزلت في الكفار لكننا نعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. [٢]

---

١ – انظر: لباب النقول للسيوطي (٧٩/١).

٢ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(١١/ ٣٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيِّه ﷺ معرِّفَه حكمه على من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فسادًا، بعد الذي كان من فعل رسول الله ﷺ بالعرنيِّين[١]، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك؛ لأن القِصَص التي قصّها الله (عز وجل) قبلَ هذه الآية وبعدَها، من قَصَص بنى إسرائيل وأنبائهم، فأن يكون ذلك متوسِّطًا، من تعريف الحكم فيهم وفي نظرائهم، أولى وأحقّ.[٢]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

" وقد اختلف الأئمة في حكم هؤلاء العرنيين: هل هو منسوخ أو محكم؟ فقال بعضهم: هو منسوخ بهذه الآية، وزعموا أن فيها عتابا للنبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم**﴾ [التوبة:٤٣] ومنهم من قال: هو منسوخ بنهي النبي ﷺ عن المثلة."[٣]

وقد اختلف في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك، وقيل: قطع الطريق، وظاهر النظم القرآني أنه ما يصدق عليه أنه فساد في الأرض، فالشرك فساد في الأرض، وقطع الطريق فساد في الأرض، وسفك الدماء وهتك الحرم ونهب الأموال فساد في الأرض، والبغي على عباد الله بغير حق فساد في الأرض، وهدم البنيان وقطع الأشجار وتغوير الأنهار فساد في الأرض، فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع أنها فساد في الأرض، وهكذا الفساد الذي سيأتي في قوله: (ويسعون في الأرض فسادا) يصدق على هذه الأنواع.[٤]

عن ابن عباس ﷺ في الآية قال: (إذا خرج المحارب فأخذ المال ولم يقتل قطع من خلاف، وإذا خرج فقتل ولم يأخذ المال قتل، وإذا خرج وأخذ المال وقتل قتل وصلب، وإذا خرج فأخاف السبيل ولم يأخذ المال ولم يقتل نفي).[٥]

ويرى الباحث أنّ هذا الجزاء جاء موافقا لفعل النبي ﷺ بالعرنيين، وهذا من باب المماثلة، لكل من يرتكب السرقة، أو القتل، أو قطع الطرق، فهي عامة لكل من يفعل هذه الأفعال في دار الإسلام إذا قدِرْنا عليهم وهم متلبسون بها بالفعل، أو الاستعداد؛ ولعل الله أنزل الآية بهذا التشديد في العقاب لحكمة؛ وهي سد ذريعة هذه المفسدة، ولكنه حرّم مع ذلك المُثلة

---

١ – العرني: بضم العين المهملة وفتح الراء وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بطن عرنة، والنسبة إليها "عرنى" و "عرينى" وهي واد بين عرفات ومنى، وعرينة قبيلة من بجيلة، وقصة العرنيين مشهورة. انظر: الأنساب للسمعاني (٩/ ٢٨١).

٢ – انظر: جامع البيان (١٠/ ٢٥١).

٣ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/٩٩).

٤ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٩).

٥ – انظر: المرجع السابق (٢/٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي تشويه الأعضاء، ولا مفسدة أشد وأقبح من سلب الأمن على الأنفس والأعراض، فلا نسخ لفعل الرسول ﷺ، والله أعلم.

المطلب الثالث: حد السرقة (اليد).

حفاظاً على ممتلكات الناس، وأموالهم، وتحريماً للاعتداء على الآخرين، أوجب الله حد السرقة.

قال تعالى: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [المائدة: ٣٨، ٣٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله: (فَاقْطَعُوا أَيْدِيهمَا) أي: يمين كل منهما من الكوع و(الْكُوع) "هو: طرف الزند الَّذِي يَلِي الْإِبْهَام وجمعه: أكواع".[١]، وبينت السنة أن الذي يُقطع فيه ربع دينار فصاعدا، وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر[٢]

ويرى الباحث أنّه تعالى في الاية أوجب قطع الأيدي عند أخذ المال على سبيل السرقة.

وذكر كثير من المفسرين الأصوليين: هذه الآية مجملة من وجوه: أحدها: أن الحكم معلق على السرقة، ومطلق السرقة غير موجب للقطع، بل لا بد وأن تكون هذه السرقة سرقة لمقدار مخصوص من المال، وذلك القدر غير مذكور في الآية فكانت مجملة. وثانيها: أنه تعالى أوجب قطع الأيدي، وليس فيه بيان أن الواجب قطع الأيدي الأيمان والشمائل، وبالإجماع لا يجب قطعهما معا فكانت الآية مجملة. وثالثها: أن اليد اسم يتناول الأصابع فقط، فاليد اسم يقع على الأصابع وحدها، ويقع على الأصابع مع الكف، ويقع على الأصابع والكف والساعدين إلى المرفقين، ويقع على كل ذلك إلى المنكبين، وإذا كان لفظ اليد محتملا لكل هذه الأقسام، والتعيين غير مذكور في هذه الآية فكانت مجملة. ورابعها: أن قوله: (فاقطعوا) خطاب مع قوم، فيحتمل أن يكون هذا التكليف واقعا على مجموع الأمة، وأن يكون واقعا على طائفة مخصوصة منهم، وأن يكون واقعا على شخص معين[٣]

وقوله: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) "واسم اليد يقع على هذا العضو إلى المنكب، ويقع على اليد إلى مفصل الكف أيضا، قال تعالى: **﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾**

---

١ – المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٥).

٢ – انظر: تفسير الجلالين (١/ ١٤٣).

٣ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١/ ٣٥٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[النور: ٤٠] وقد عقل به ما دون المرفق، ويمتنع أن يدخل يده إلى المرفق ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] فلو لم يقع الاسم على ما دون المرافق، لما ذكرها إلى المرافق وفي ذلك دليل على وقوع الاسم إلى الكوع، فلما كان الاسم يتناول هذا العضو إلى المفصل، وإلى المرفق وإلى المنكب، اقتضى عموم اللفظ القطع من المنكب.[١]

وكان أول سارق قطعه رسول الله ﷺ في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل ابن عبد مناف[٢]، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم، وقطع أبو بكر يد اليمني[٣] الذي سرق العقد، وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبد الرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه.[٤]

ثانياً: اللفتات والطائف:

١- "حكم حد السرقة وهو قطع يد السارق والسارقة.

٢- التائب من السرقة إذا أصلح يتوب الله عليه.

٣- إذا لم يرفع السارق إلى الحاكم تصح توبته ولو لم تقطع يده، وإن رفع فلا توبة له إلا بالقطع، فإذا قطعت يده خرج من ذنبه كأن لم يذنب". [٥]

والخلاصة: أن الإسلام شرع حد السرقة ليحافظ على ملكية الآخرين، فلا اعتداء على ممتلكات الغير، لكن يجب على الحاكم المسلم قبل أن يقيم حد السرقة، أن يوفر الحياة الكريمة للناس، وأن يوفر لهم على اختلاف عقائدهم ضمانات العيش والكرامة، وضمانات التربية والتقويم، وضمانات العدالة في التوزيع، فإن وفر لهم كل ذلك وغيره من الحياة الكريمة، فإذا قام السارق بالسرقة وهو مكفي الحاجة فيشدد في العقوبة، ولا رأفة به متى ثبتت عليه الجريمة، ولا

---

١ – انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٦٩).

٢ – هو الخيار بن عدي بن نوفل وكان عبيد الله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل من رجال قريش وصلحائهم، وهو الذي عقد مجلس القلادة. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري (٩/ ٤٠٠).

٣ – هو رجل من أهل اليمن أقطع اليد والرجل سرق عقدا لأسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق ﷺ فقطع يده اليسرى.انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٦٠).

٤ – انظر: المرجع السابق (٦/ ١٦٠).

٥ – أيسر التفاسير (١/ ٦٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تهاون فلا اجتزاء بحكم من أحكام الإسلام، أو مبدأ من مبادئه، أما حين توجد شبهة من حاجة أو غيرها... فلا قطع، والدليل أن عمر ﷺ لم يقطع يد سارق في عام الرمادة[١].

المطلب الرابع: تهديد فرعون للسحرة المؤمنين (قطع الأيدي، والأرجل).

لقد استعمل فرعون مع موسى عليه السلام، والمؤمنين من السحرة، الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام، أسلوب التهديد والوعيد، من أجل أن يثنيهم عن دينهم، فهددهم بالقتل وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وقد وردت بعض الآيات القرآنية التي تبين ذلك.

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ* لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣- ١٢٤]

التفسير الإجمالي:

والمراد بذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القَطْع، ويقال: إن أوّل من سن هذا القطع هو فرعون، وإنما قال: هذا القول عندما رأى من خذلان الله إياه، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له، وعن ابن عباس ﷺ قال: (أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون).[٢]

ووقوع الجمع معرفا بالإضافة يكسبه العموم فيعم كل يد، وكل رجل من أيدي، وأرجل السحرة، (ومن) في قوله تعالى: (من خلاف) ابتدائية لبيان موضع القطع بالنسبة إلى العضو الثاني، كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال، أي: لأقطعنها مختلفات، أي: أنه يقطع من كل ساحر يدا ورجلا فإن قطع يده اليمنى قطع رجله اليسرى والعكس، وإنما لم يقطع القوائم الأربع؛ لأن المقصود بقاء الشخص متمكنا من المشي متوكئا على عود تحت اليد من جهة الرجل المقطوعة.[٣]

---

١ – انظر: تفسير الشعراوي (١٦/ ٩٩٦٦)، الجدول في إعراب القرآن (٦/ ٣٤٧)، القرآن ونقض مطاعن الرهبان (١/ ٣٨٢)، المنتقى شرح الموطإ (٦/ ٦٥)، شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٧٥)، المنار (٤/ ٢٩٧)، في ظلال القرآن (٨٨٣/٢).

٢ – جامع البيان (١٣/ ٣٤).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (فلأقطعن) أي: سبب ما فعلت (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي: من كلٍّ يدٍ ورجلٍ (من خلاف) فإذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى (ولأصلبنكم) وعبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف في ظرفه فقال: والحكمة من قوله تعالى: (في جذوع النخل) تبشيعاً لقتلكم ردعاً لأمثالكم.[1] أي: على جذوعها، كقوله: **﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾** [الطور: ٣٨] أي: عليه.

ثانياً: المعنى اللغوي:

والتقطيع: شدة القطع ومرجع المبالغة إلى الكيفية، وهي ما وصفه بقوله: (من خلاف) أي: مختلفة بأن لا تقطع على جانب واحد بل من جانبين مختلفين، أي: تقطع اليد ثم الرجل من الجهة المخالفة لجهة اليد المقطوعة، ثم اليد الأخرى ثم الرجل الأخرى، والظاهر: أن القطع على هذه الكيفية كان شعارا لقطع المجرمين، فيكون ذكر هذه الصفة حكاية للواقع لا للاحتراز عن قطع بشكل آخر، إذ لا أثر لهذه الصفة في تفظيع ولا في شدة إيلام إذا كان ذلك يقع متتابعا.

والواضح أن من رحمة الإسلام بالناس وما جاء في عقوبة المحارب أن يُقطع عضو واحد عند كل حرابة، فهو من باب الرحمة في العقوبة؛ لئلا يتعطل انتفاع المقطوع بباقي أعضائه من جراء قطع يد ثم رجل من جهة واحدة، أو قطع يد بعد يد وبقاء الرجلين.

وقوله تعالى: **﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾** [طه: ٧٢] مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب، وقوله: (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ينقضي ويزول ولا يضرنا بخلاف عذاب الله لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم وهذا كأنه جواب منهم لقوله: (ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى) وفي هذا الكلام من السحرة دليل على أنه ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.[2]

١- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٣١٢).

٢- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٥٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر المفسرون أنه أنفذ فيهم وعيده، فقطع أيديهم، وأرجلهم، وصلبهم، فماتوا على الإيمان، قال ابن عباسﷺ: (كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء بررة.)[١]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** [الشعراء: ٤٩]

التفسير الإجمالي:

يقول النسفي[٢] في تفسير الآية: "كأنه أراد به ترهيب العامة لئلا يتبعوهم فى الإيمان"[٣] وعندما قال فرعون: (فلسوف تعلمون) أجمل التهديد أولا: للتهويل، ثم فصله فقال: (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) فلما سمعوا ذلك من قوله: (قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) أي: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، فإن ذلك يزول، وننقلب بعده إلى ربنا، فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحد، ولا يوصف، وقوله تعالى: (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) ثم عللوا هذا بقولهم: (أن كنا أول المؤمنين) بنصب (أن) أي: لأن كنا أول المؤمنين، ومعنى أول المؤمنين: أنهم أول من آمن من قوم فرعون بعد ظهور الآية، وذكر الفراء[٤]: أول مؤمني زمانهم، وأنكره الزجاج[٥]، وقال: قد روي أنه آمن معهم ستمائة ألف وسبعون ألفا، وهم الشرذمة القليلون الذين عناهم فرعون بقوله: (إن هؤلاء لشرذمة قليلون).[٦]

وقد أعلنوا إيمانهم الجازم بالله عز وجل غير عابئين بتهديدات فرعون الجبار العاتي، وفضلوا الموت استشهادا في سبيل هذا الإيمان، مع تقطيع الأيدي والأرجل والصلب، على العودة إلى مستنقع الكفر وضلال السحر، وخلد القرآن الكريم موقفهم الصلب الثابت –رضي الله

---

١ – انظر: التفسير المنير (١٦/ ٢٤١).

٢ –عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. الأعلام للزركلي (٤/ ٦٧).

٣ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٦٣).

٤ – الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، المعروف بالفراء، وهو لقبه "لأنه كان يفري الكلام"، أي يصلحه. ولد الفراء في الكوفة. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ١٣٨).

٥ – إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. الأعلام للزركلي (١/ ٤٠).

٦ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنهم- بأمرين: الأول: التفاني في حب الله وابتغاء مرضاته، وأنهم ما آمنوا رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، والثاني: التخلص من تبعات الماضي الذميم القائم على الكفر والسحر.[١]

وقوله تعالى: (إنا إلى ربنا منقلبون) أي: أنهم آمنوا لا رغبة ولا رهبة، إنما قصدوا محض الوصول إلى مرضات الله والاستغراق في أنوار معرفته.[٢]

ويقول قطب: "إنها الحماقة التي يرتكبها كل طاغية، حينما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه، يرتكبها في عنف وغلظة وبشاعة، بلا تحرج من قلب أو ضمير، وإنها لكلمة فرعون الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول، فما تكون كلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور! إنها كلمة القلب الذي وجد الله فلم يعد يحتمل ما يفقد بعد هذا الوجدان، القلب الذي اتصل بالله فذاق طعم العزة فلم يعد يحفل الطغيان، القلب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر هذه الدنيا قليل ولا كثير: لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، لا ضير في التصليب والعذاب، لا ضير في الموت والاستشهاد، لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون، وليكن في هذه الأرض ما يكون، فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه (أن يغفر لنا ربنا خطايانا) جزاء (أن كنا أول المؤمنين) وأن كنا نحن السابقين يا الله! يا لروعة الإيمان إذ يشرق في الضمائر، وإذ يفيض على الأرواح، وإذ يكسب الطمأنينة في النفوس، وإذ يرتفع بسلالة الطين إلى أعلى عليين، وإذ يملأ القلوب بالغنى والذخر، فإذا كل ما في الأرض تافه حقير زهيد".[٣]

ويرى الباحث أنّ عدم خوف السحرة المؤمنين من تهديد فرعون، تعليلٌ لعدم الضير أي: لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا، والثواب العظيم، أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، والقتل أهونها وأرجاها.

الخلاصة من هذا المبحث أن هناك أعضاءً قد وردت في الحدود كتقطيع الأيدي، وتقطيع الأرجل من خلاف، والقصاص كالعيون، والأنوف، والآذان، والأسنان، وهذا يجع القائمين على الحكم أن يقيموا حدود الله قدر المستطاع لينشروا العدل بين العباد.

---

١ – انظر: التفسير المنير (١٩/ ١٥٤-١٥٥).

٢ – انظر: البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٥٥).

٣ – في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٩٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في القتال

(الأقدام، والقلوب، والأعناق، والرقاب، والبنان، والعيون).

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأقدام، والقلوب، والأدبار.

المطلب الثاني: الأعناق، والرقاب.

المطلب الثالث: البنان.

المطلب الرابع: العيون .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذكرت في القتال.

المطلب الأول: الأقدام، والقلوب، والأدبار.

من أسباب النصر بعد تأييد الله للمؤمنين، أن يثبت قلوبهم، وأقدامهم في القتال، وهذا بدأ واضحاً في دعاء المؤمنين لله تعالى، وقد ورد في القرآن عدة آيات تبين ذلك منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٧]

يقول الطبري في معنى الآية: (وثبت أقدامنا) "واجعلنا يا ربنا ممن يثبت لحرب عدوّك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرُّ منهم، وفي الآية تأنيب من الله عز وجل لعبادِه الذين فرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم، وتأديبٌ لهم"[١]

أولاً: المعنى اللغوي:

و(القدم): "الرجل وهي مؤنثة تقول في تصغيرها: قديمة، والاشتقاق في هذه الكلمة يرجع لمعنى التقدم، وقوله تعالى:(وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) أي: "بالقوَّة من عندك والنُّصرة" [٢]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وذكر ابن عطية في قوله: (وَثَبِّتْ أَقْدامَنا) "يحتمل أن يجري مع ما قبله من معنى الاستغفار، فيكون المعنى: اجعلنا دائبين على طاعتك والإيمان بك، وتثبيت القدم على هذا: استعارة، ويحتمل أن يكون في معنى ما بعده من قوله: (وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ) فيراد ثبوت القدم حقيقة في مواقف الحرب".[٣]

وقوله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثبت أقدامنا) يجوز في (أمرنا) وجهان، أحدهما: أنه متعلق بالمصدر قبله يقال: أَسْرَفْت في كذا، والثاني: أنه يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنه حال منه أي: حالَ كونِه مستقراً في أمرنا، والأولُ أَوْجَهُ.[٤]

ونقل القاسمي عن ابن القيّم: لما علم القوم أن العدوّ إنما يدال عليهم بذنوبهم، وأن الشيطان إنما يستزلّهم ويهزموهم بها، وأنها نوعان: تقصير في حق، أو تجاوز لحد، وأن

---

١ – جامع البيان (٧/ ٢٧٣).

٢ – الوجيز للواحدي (١/ ٢٣٦).

٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٢٢).

٤ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٤٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النصر منوط بالطاعة، قالوا: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا) ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى، وإن لم يثبت أقدامهم وينصرهم، لم يقدروا على تثبيت أقدام أنفسهم ونصرها على أعدائهم، فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم، وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم، لم يثبتوا ولم ينتصروا، فوفّوا المقامين حقهما: مقام المقتضى، وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه، ومقام إزالة المانع من النصرة، وهو الذنوب والإسراف[١]

ويرى الباحث أن المقصود بـ (ثبت أقدامنا) أي: في الجهاد وفي مواطن الحربِ بالتقوية والتأييدِ من عندك، أو ثبتْنا على دينك الحقِّ، فيكون الدعاء بالثبات في المعركة سبباً من أسباب النصر والتأييد من الله، وهذا ما تحقق بقوله تعالى: (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بسبب دعائِهم أعطاهم النصرَ والغنيمةَ والعزَّ والذكرَ الجميلَ، في الدنيا والآخرة.

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾** [الأنفال: ١١]

أولاً: القراءات:

"قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ) بفتح الياء والشين(النُّعَاسُ) رفعًا، وقرأ نافع (يُغْشِيكُمُ) بضم الياء وكسر الشين خفيفة، (النُّعَاسَ) نصبًا، وقرأ الباقون: (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) مشددًا، ومَنْ قَرَأَ (يَغشَاكم النعاسُ) فهو من غَشِيَ يَغشَى، و(النعاسُ) رفعًا؛ لأن الفعل له، وَمَنْ قَرَأَ (يُغْشِيكُمُ) أو (يُغَشِّيكُمُ) فالمعنى واحد، والفعل لله هو الذي أغشاهم النعاسَ، ونصب (النعاسَ) لأنه مفعول ثانٍ."[٢]

وإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله؛ لأنه الذي قدر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عاما سائر الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم، وإسناد الغشي إلى النعاس حقيقة على المتعارف، وقد علم أنه من تقدير الله بقوله أمنة منه. و(الأمنة) الأمن، وقد حصل النعاس يوم أحد لطائفة من الجيش قال تعالى: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾** [آل عمران: ١٥٤] وهو منصوب على المفعول لأجله على قراءة من نصب (النعاسَ) وعلى الحال على قراءة من رفع (النعاسُ). [٣] وإنما كان (النعاس) أمنا لهم؛ لأنهم لما ناموا زال أثر الخوف من نفوسهم في مدة النوم فتلك نعمة، ولما استيقظوا وجدوا نشاطا، ونشاط

١- انظر: محاسن التأويل (٢/ ٤٢٥).

٢ - معاني القراءات للأزهري (١/ ٤٣٧).

٣ - انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٧٨ -٢٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأعصاب يكسب صاحبه شجاعة، ويزيل شعور الخوف الذي هو فتور الأعصاب، وصيغة المضارع في (يغشيكم) لاستحضار الحالة وروى البخاري بسنده عَنْ أَبِي طَلْحَةَ ﷺ قَالَ: **(كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ).**[1]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والغشي والغشيان: كون الشيء غاشيا أي: غاما ومغطيا، فالنوم يغطي العقل، والنعاس النوم غير الثقيل، وهو مثل السِّنَة، وهو يدل على تغطية شيء بشيء، يقال غشيت الشيء أغشيه، والغشاء: الغطاء.[2]

ويرى الباحث أن الربط على قلوب المؤمنين ليؤمنهم بكونهم واثقين بوجود الماء، لا يخافون عطشا، أما تثبيت الأقدام فهو التمكن من السير في الرمل، بأن لا تتوغل أرجلهم بالرمال فتصعب حركتهم، مما يؤدي إلى المشقة والإرهاق، خاصة أن المعركة كانت في رمضان، أي: فترة الصوم، فكان نزول المطر رحمةً للمؤمنين ولتثبيت الأقدام، ولتخفيف المعاناة عنهم والله أعلم.

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُم﴾** [محمد: ٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (إِنْ تَنْصُرُوا الله ينصركم) أي: إن تنصروا دين اللَّهَ ورسوله يَنْصُرْكُمْ على عدوكم ويفتح لكم وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ في مواطن الحرب.[3]

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بأن يثبت الله أقدامه يوم الأحزاب فعَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: **(رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا).**[4]

ولا يجوز الفرار من القتال أو تولية الدبر[5] لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾** [الأنفال: ١٥] إلاَّ في حالة التحيز لفئة أو خدعة حربية

---

١ – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً)، ح ٤٠٦٨ (٥/ ٩٩).

٢ – انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٥).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣١٨)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١١٧).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ح ٢٨٣٧ (٤/ ٢٦).

٥ – الظّهْر وَيُقَال ولاه دبره انهزم أَمَامه والإست وَمن كل شَيْء عقبه ومؤخره (ج) أدبار. المعجم الوسيط (١/ ٢٦٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦]

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١- لابد من الدعاء والاستغفار لتثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدوّ.

٢- يجب تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة، فبين تعالى أنهم بدءوا بالتوبة عن كل المعاصي وهو المراد بقوله: (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فدخل فيه كل الذنوب، سواء كانت من الصغائر أو من الكبائر، ثم إنهم خصوا الذنوب العظيمة الكبيرة منها بالذكر بعد ذلك لعظمها وعظم عقابها وهو المراد من قوله: (وإسرافنا في أمرنا)؛ لأن الإسراف في كل شيء هو الإفراط فيه.[١]

٣- لم يتكلوا على ما بذلوا من الجهد والصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصر والظفر والغنيمة، (وحسن ثواب الآخرة) وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المكدرات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء.[٢]

المطلب الثاني: الأعناق، والرقاب.

لقد كان للأعناق والرقاب في الحرب أهميةٌ كبيرة، حيث ركز عليها القرآن الكريم، وكان الهدف منه عدم إيلام النفس عند القتل حتى لو كانوا من الأعداء، وقد ذكر القرآن الكريم عدة آيات تتحدث عن ذلك منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: ١٢]

التفسير الإجمالي:

يقول الطبري: "واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فاضربوا فوق الأعناق) قال: اضربوا الأعناق".[٣] وقال آخرون: معنى ذلك: فاضربوا على الأعناق، وقالوا: على وفوق معناهما متقاربان، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر. وقال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: أن الله أمر المؤمنين، مُعَلِّمَهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف: أن يضربوا

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(٣٨١/٩).

٢ – انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ١٥١).

٣ – جامع البيان (١٣/ ٤٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل. وقوله: (فوق الأعناق) ، محتمل أن يكون مرادًا به الرؤوس، ومحتمل أن يكون مرادًا له: من فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على الأعناق. وإذا احتمل ذلك، صح قول من قال، معناه: الأعناق." [١]

وقوله تعالى: (فضَرْبَ الرِّقابِ) مصدر بمعنى الفعل، أي: فاضربوا رقابهم، وعَيَّنَ من أنواع القتل أشهره وأعرفه، والمراد: اقتلوهم بأي وجه أمكن، وفي الآية قولان: الأول: أن ما فوق العنق هو الرأس، فكان هذا أمرا بإزالة الرأس عن الجسد، والثاني: أي: فاضربوا الأعناق[٢] وتأتي بمعنى الرؤوس أي: فاضربوا رؤوسهم التي هي فوق الأعناق واقطعوها، واحتزوا الرقاب وقطّعوها.[٣]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٤]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (فَضَرْبَ الرِّقابِ) وأصله فاضربوا الرقاب ضربا إلا أنه اختصر للتوكيد؛ لأنه بذكر المصدر المنصوب دل على الفعل وكان كالحكم البرهاني، وليس ضرب الرقبة مقصودا بالذات ولكنه وقع التعبير عن القتل به؛ لأنه أغلب أنواع القتل، ولِمَا في ذكره من التخويف والتغليظ، وفيه ردّ على من زعم أن القتل قبيح مطلقا؛ لأنه تخريب البنيان، فبين الشرع أن أهل الكفر والطغيان يجب قتلهم؛ لأن فيه صلاح نوع الإنسان، كما أن الطبيب الحاذق يأمر بقطع العضو الفاسد إبقاء على سائر البدن.[٤] والضرب عبارة عن القتل؛ لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه، وضرب ما فيه عيناه إذا قتله، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل، وفي هذه العبارة من الغلظة والشدة، ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن، وعلوه وأوجه أعضائه، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)، وقوله تعالى:

---

١ – المرجع السابق (١٣/ ٤٣٠)..

٢ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير(١٥/٤٦٣).

٣ – انظر: التفسير المنير (٩/ ٢٦٩–٢٧٠).

٤ – انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٢٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه، من الشيء الثخين: وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) أي: فأسروهم.[1]

والخلاصة: أنّ أمرُ الله تعالى للمؤمنين بضرب الرِّقاب والأعنَاقِ؛ لأنَّ الحكمة من ضرب الأعناق عدم التعذيب، بل من باب الرحمة بالقتلى؛ حتى لا يشعروا بالألم الشديد عند القتل.

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١- وجوب الجهاد على أمة الإسلام ومواصلته حتى لا يبقى كافر يحارب بأن يدخلوا في الإسلام.

٢- الإمام مخير في الأسرى بين المن والفداء، والقتل أيضا لأدلة من السنة.

٣- إكرام الله للمجاهدين في سبيله وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة.

٤- من نصر الله تعالى في دينه وأوليائه يستحق النصر.[2]

وذكر الرازي في الآية:

١. الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الأعضاء؛ لأنها ظاهرةٌ في الحرب ففي ضربها حَزُّ العُنقِ وهو مستلزمٌ للموت بخلاف سائر المواضع، ولا سيما في الحرب، وإنما خصت الأعناق والبنان؛ لأن ضرب الأعناق إتلاف لأجساد المشركين، وضرب البنان يبطل صلاحية المضروب للقتال؛ لأن تناول السلاح إنما يكون بالأصابع، ومن ثم كثر في كلامهم الاستغناء بذكر ما تتناوله اليد أو ما تتناوله الأصابع، عن ذكر السيف.

٢. قال هاهنا (فضرب الرقاب) بإظهار المصدر وترك الفعل، وقال في الأنفال: (فاضربوا فوق الأعناق) بإظهار الفعل، وترك المصدر، فهل فيه فائدة؟ نقول: نعم، وهي أن المقصود أولا في بعض السور قد يكون صدور الفعل من فاعل ويتبعه المصدر ضمنا، إذ لا يمكن أن يفعل فاعل إلا ويقع منه المصدر في الوجود، وقد يكون المقصود أولا المصدر ولكنه لا يوجد إلا من فاعل فيطلب منه أن يفعل، فالملائكة أُنزلوا لنصرة من حضر في صف القتال من المؤمنين فصدور الفعل منه مطلوب، وهاهنا الأمر وارد وليس في وقت القتال بدليل قوله تعالى:(فإذا لقيتم) والمقصود بيان كون المصدر مطلوبا لتقدم المأمور على الفعل.

٣. قوله: (فضرب الرقاب) فيه فائدة أخرى وهي أن الله تعالى قال هناك: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ [الأنفال: ١٢] وذلك؛ لأن الوقت وقت القتال فأرشدهم إلى

---

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣١٦).

٢ – انظر: أيسر التفاسير (٥/ ٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقتل وغيره إن لم يصيبوا المقتل، وهاهنا ليس وقت القتال فبين أن المقصود القتل وغرض المسلم ذلك.[١]

المطلب الثالث: البنان.

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** [الأنفال: ١٢]

وقوله تعالى: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) أي: واضربوا أيها المؤمنون، من عدوكم كل طَرَف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم.

أولاً: المعنى اللغوي:

والبنان أطراف الأصابع في اليدين واحدته بنانة[٢]، وذكر البنان في الآية؛ لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل. و(البنان) مشتق من قولهم: أبن الرجل بالمكان، إذا أقام به؛ لأنه يعمل بها ما يكون للإقامة والحياة، وهو عبارة عن الثبات في الحرب، فإذا ضربت البنان تعطل من المضروب القتال بخلاف سائر الأعضاء.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وآية: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) هي من أنكى ضربات الحرب؛ لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم آلة المقاتل وأصلها.

ويرى الباحث أن البنان هو من أهم الأعضاء في القتال؛ لذلك خصت الآية قطع البنان؛ لأن الأصابع هي الآلات في أخذ السيوف والرماح وسائر الأسلحة، فإذا قطع بنانهم عجزوا عن المحاربة، فكان الهدف من ضرب البنان؛ حتى يعوقهم عن الضرب والمشي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الأوزاعي[٣] في قوله تعالى: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) قال: اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار[٤]

إن تثبيت الملائكة للمؤمنين في القتال هو إيقاع ظن في نفوسهم بأنهم منصورون ويسمى ذلك إلهاما وتثبيتا؛ لأنه إرشاد إلى ما يطابق الواقع، وإزالة للاضطراب الشيطاني، والتثبيت هنا مجاز في إزالة الاضطراب النفساني مما ينشأ عن الخوف ومن عدم استقرار الرأي واطمئنانه، وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة بتكوين قطع الأعناق والأصابع بواسطة فعل

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨/ ٣٨).

٢ – انظر: المعجم الوسيط (١/ ٧٢).

٣ – هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين، وسكن بيروت وتوفي بها. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٠).

٤ – انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٣٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملائكة على كيفية خارقة للعادة، وقد ورد في بعض الآثار عن بعض الصحابة ما يشهد لهذا المعنى، فإسناد الضرب حقيقة، ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين، وتوجيه المشركين إلى جهاتها، فإسناد الضرب إلى الملائكة مجاز عقلي لأنهم سببه، وقد قيل: الأمر بالضرب للمسلمين، وهو بعيد؛ لأن السورة نزلت بعد انكشاف الملحمة، وجملة: (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) تعليل؛ لأنّ الباء في قوله: (أنهم) باء السببية[1]

ويرى الباحث أنه من حكمة الله تعالى في ضرب البنان أنه الوسيلة الأفضل للحد من خطورة المقاتل الذي يواجهه المسلمون، ولابد من قطع بنانه؛ حتى يعجز عن حمل السلاح فلا يستطيع أن يواجه المسلمين، فيضعف أمامهم وينهزم، وأنه يجب على المقاتل المسلم أن يضرب الصناديدَ والسَّفَلةَ، وتكرارُ الأمر بالضرب فيه مزيد التشديد والاعتناء بأمره.

المطلب الرابع: العيون.

إنَّ العيون من أغلى النعم التي أنعمها الله تعالى على الإنسان؛ لتكون له الدليل على البصيرة لكل ما يدور من حوله، فكان من الواجب على هذا الإنسان أن يتأمل قدرة الله في نفسه عامة، وفي عيونه خاصة، وقد وردت آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم توضح أهمية العيون وضرروتها في الحروب، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [آل عمران: ١٣]

أولاً: القراءات:

قَرَأَ نَافِع (ترونهم مثليهم) بِالتَّاءِ على مُخَاطبَة الْيَهُود وحجته أَن الْكَلَام قبل ذَلِك جرى بمخاطبة الْيَهُود وَهُوَ قَوْله: (قد كَانَ لكم آيَة) فإلحاق هَذَا أَيْضا بِمَا تقدم أولى، وَمعنى الْكَلَام قد كَانَ يَا معشر الْيَهُود (لَكُمْ آيَة فِي فئتين التقتا فِئَة تقَاتل فِي سَبِيل الله) وهم رَسُول الله ﷺ وَأَصْحَابه ببدر (وَأُخْرَى كَافِرَة) وهم مشركو مكة ترونهم أَنْتُم أَيهَا الْيَهُود مثلي الفئة الَّتِي تقَاتل فِي سَبِيل الله، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ وحجتهم مَا رُوِيَ عَن أبي عَمْرو قَالَ أَبُو عَمْرو: لَو كَانَت ترونهم لكَانَتْ مثليكم، وقَالَ الْفراء: من قَرَأَ بِالتَّاءِ فَإِنَّهُ ذهب إِلَى الْيَهُود، وَمن قَرَأَ بِالْيَاءِ أي: يرونهم من الْمُسلمين دون الْيَهُود أَي: يرى الْمُسلمُونَ الْمُشْركين مثليهم.[2]

١ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٨٢).

٢ – انظر: حجة القراءات (١/ ١٥٤–١٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"والاختيار في (ترونهم) التاء كقوله: (قَدْ كانَ لَكُمْ) ولم يقل: (لهم)؛ لأن الرؤية للكفار، والهاء والميم كناية عن المسلمين".[١] وقوله تعالى: "(يرونهم) قرأ المدنيان ويعقوب بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة."[٢]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقال الطبري: في معنى الآية: "قُلْ يا محمد، للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهرانَيْ بلدك:(قد كان لكم آية) أي: علامةٌ ودلالةٌ على صدق ما أقول: إنكم ستغلبون، وعبرة"[٣]

وقوله تعالى: (في فئتين) أي: في فرقتين وحزبين، (والفئة) هي الجماعة من الناس، (التقتا) للحرب، وإحدى الفئتين رسولُ الله ﷺ ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر، والأخرى مشركو قريش.

وقوله تعالى: (يرونهم مثليهم رأي العين) فيها قولان: فالقول الأول: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم، أي: جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم، والقول الثاني: أي: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم، أي: ضعفيهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه على ما روي عن ابن عباسﷺ أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلا، وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف كما روى عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ لما سأل غلاماً لبني الحجاج عن عدة قريش، فقال: كثير، قال: "كم ينحرون كل يوم؟ " قال: يوما تسعا ويوما عشرا، فقال النبي ﷺ: القوم ما بين التسعمائة إلى الألف"[٤]

والراجح كما يرى الباحث أن عدد المشركين كان ما بين تسعمائة إلى الألف.[٥]

وفي قوله تعالى: "(يَرَوْنَهُمْ) أي: يري الفئةُ الأخيرةُ الفئةَ الأولى وإيثارُ صيغة الجمعِ للدلالة على شمول الرؤيةِ لكل واحدٍ واحدٍ من آحاد الفئة (مّثْلَيْهِمْ) أي: مثلي عدد الرائين قريبا من ألفين إذ كانوا قريباً من ألف كانوا تسعمائةٍ وخمسين مقاتلاً رأسُهم عُتْبةُ بنُ ربيعةَ بنِ عَبْد شَمْس وأبو جهلٍ، وكان فيهم من الخيل والإبل مائةُ فرسٍ وسبعُمائة بعير، ومن أصناف

١ – الحجة في القراءات السبع (١/ ١٠٦).
٢ – البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (١/ ٥٩).
٣ – جامع البيان (٦/ ٢٢٩).
٤ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٧).
٥ – انظر: غزوات النبي ﷺ (ص: ٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسلحة عددٌ لا يحصى (رَأْىَ العين) مصدر مؤكدٌ ليَرَوْنهم إن كانت الرؤية بصريةً أو مصدر تشبيهيّ إن كانت قلبية، أي: رؤيةً ظاهرة مكشوفةً جارية مجرى رؤية العين"[١]

وقد ذهب الجمهور إلى أن فاعل ترون هم: المؤمنون، والمفعول هم: الكفار، والضمير في (مثليهم) يحتمل أن يكون للمشركين، أي: ترون أيها المسلمون المشركين مثلي ما هم عليه من العدد، وفيه بُعدٌ أن يكثر الله المشركين في أعين المؤمنين، وإنه قللهم في أعين المؤمنين، فيكون المعنى: ترون أيها المسلمون المشركين مثليكم في العدد وقد كانوا ثلاثة أمثالهم، فقلل الله المشركين في أعين المسلمين، فأراهم إياهم مثلي عدتهم لتقوى أنفسهم، وقد كانوا أُعلموا أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار، ويحتمل أن يكون الضمير في (مثليهم) للمسلمين، أي: ترون أيها المسلمون أنفسكم مثلي ما أنتم عليه من العدد؛ لتقوى بذلك أنفسكم، وقوله: (رأي العين) أي: رؤية ظاهرة مكشوفة، لا لبس فيها، والواضح من الآية أن الرؤية هنا بصرية (والله يؤيد بنصره من يشاء) أي: يقوي من يشاء أن يقويه، ومن جملة ذلك تأييد أهل بدر بتلك الرؤية، (إن في ذلك) أي: في رؤية القليل كثيرا لعبرة. والمراد الاتعاظ، والتنكير للتعظيم، أي: عبرة عظيمة، وموعظة جسيمة، وعن ابن عباسﷺ: أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع قال: يا معشر يهود! أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا، قالوا: يا محمد! لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا كانوا غمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا.[٢]

"وهذه الرؤية جُعلت آيةً لمن رأوها وتحققوا بعد الهزيمة أنهم كانوا واهمين فيما رأوه، ليكون ذلك أشد حسرة لهم، فتكون هذه الرؤية غير الرؤية المذكورة في قوله تعالى: (ويقللكم في أعينهم) فإن الرؤية تناسب أن تكون وقعت قبل التلاحم، حتى يستخف المشركون بالمسلمين، فلا يأخذوا أهبتهم للقائهم، فلما لاقوهم رأوهم مثلي عددهم فدخلهم الرعب والهزيمة، وتحققوا قلة المسلمين بعد انكشاف الملحمة، فقد كانت إرادة القلة وإرادة الكثرة سببي نصر للمسلمين بعجيب صنع الله تعالى".[٣]

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/١٢– ١٤).
٢ – انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٧٠)، لباب النقول (١/٤٠).
٣ – التحرير والتنوير (٣/ ١٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** [الأنفال: ٤٤]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى الْآيَة: "أَن الله تَعَالَى قلل الْمُشْركين فِي أعين الْمُؤمنِينَ؛ ليقدموا وَلَا يجبنوا، وقلل الْمُؤمنِينَ فِي أعين الْكفَّار؛ لِئَلَّا يهربوا."(١)

ويقول الطبري: "إذ يُري الله نبيه في منامه المشركين قليلا وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لهم، فتهون على المؤمنين شوكتهم."(٢)

ثانياً: الإعراب:

وقوله تعالى: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ) الضميران مفعولان، يعنى: وإذ يبصركم إياهم، وقليلا نصب على الحال، وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤية رسول الله ﷺ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا، قال ابن مسعود ﷺ: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلا منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفا، وقوله تعالى: (وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور.(٣)

وإذ: منصوب بفعل مقدر، أي: اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان، والمعنى: أن النبي ﷺ رآهم في منامه قليلا، فقص ذلك على أصحابه، فكان ذلك سببا لثباتهم، ولو رآهم في منامه كثيرا لفشلوا، وجبنوا عن قتالهم، وتنازعوا في الأمر، هل يلاقونهم أم لا؟ ولكن الله سلم أي: سلمهم وعصمهم من الفشل والتنازع فقللهم في عين رسول الله ﷺ في المنام.(٤)

وقوله: (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ) معطوف على قوله: (إذ يريكهم الله)؛ لأنه سبب في معناه فجمع معه واتصل به بخلاف (إذ) في الآيتين قبلها، فلذلك جاءت كل منهما مفصولة غير معطوفة، والخطاب هنا للمؤمنين كافة.(٥)

"(إذ التقيتم) ظرف لـ (يريكموهم) وقوله: (في أعينكم) تقييد للإرادة بأنها في الأعين، لا غير، وليس المرئي كذلك في نفس الأمر، ويعلم ذلك من تقييد الإراءة بأنها في الأعين؛ لأنه لو

---

١ – تفسير السمعاني (٢/ ٢٦٩).

٢ – جامع البيان (١٣/ ٥٧٢).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٢٥)، إرشاد العق السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٤/٤).

٤ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٥٨).

٥ – انظر: تفسير المنار (١٠/ ١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لم يكن لمقصد لكان مستغنى عنه، مع ما فيه من الدلالة على أن الإراءة بصرية لا حلمية كقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣]"[١]

وقال الزمخشري: "قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيما بعده ليجترءوا عليهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، وتفل شوكتهم.[٢] وقوله تعالى: (يرونهم مثليهم رأي العين) لئلا يستعدوا لهم".[٣] وقال مقاتل في تفسير الآية: "صدق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة عدوهم قبل لقائهم، بأن قللهم وقت اللقاء في أعينهم، فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية ها هنا؟ وقد ذكرت في قوله تعالى: (إذ يريكهم الله) "فيها جوابان: أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة."[٤]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]

أولاً: القراءات:

قَرَأَ نَافِع وَابْن عَامر وَأَبُو بكر (وتظنون بِاللَّه الظنونا) بِالْألف فِي الْوَقْف والوصل، وَقَرَأَ ابْن كثير وَالْكسَائِيّ وَحَفْص بِالْألف فِي الْوَقْف وَبِغير الْألف فِي الْوَصْل، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرو وَحَمْزَة بِغَيْر الْألف فِي الْوَصْل وَالْوَقْف حجَّة من أثبتهن فِي الْوَصْل وَالْوَقْف هِيَ أَن من الْعَرَب من يقف على الْمَنْصُوب الَّذِي فِيهِ الْألف وَاللَّام بِأَلف فَيَقُولُونَ ضربت الرجلا وَفِي الْخَفْض مَرَرْت بالرجل وَأُخْرَى أَنَّهُنَّ رُؤُوس آيَات فَحسن إِثْبَات الْألف؛ لِأَن رأس آيَة فِي مَوضِع سكت وَقطع للفصل بَينهَا وَبَين الْآيَة الَّتِي بعْدهَا وللتوفيق بَين رُؤُوس الْآي.[٥]

ثانيا: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ) أي: من فوق الوادي، وهو أعلاه من قبل المشرق، أي: مما يلي مكة، جاء منه عوف بن مالك في بني نصر، وعيينة بن حصن في أهل نجد، وطليحة ابن خويلد الأسدي في بني أسد.

وقوله تعالى: (ومن أسفل منكم) أي: من بطن الوادي من قبل المغرب، أي: مما يلي المدينة، جاء منه أبو سفيان بن حرب ﷺ على أهل مكة، ويزيد بن جحش على قريش، وجاء

---

١ – التحرير والتنوير (١٠/ ٢٧).

٢ – وتفل شوكتهم: أي: تُكسر، يقال: تفللت مضاربه تَكَسَّرَتْ وَالْقَوْم انفلوا. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٠١).

٣– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٢٢٥).

٤ – زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢١٤).

٥ – انظر: حجة القراءات (١/ ٥٧٢ –٥٧٣)، وانظر: الحجة للقراءات السبعة (٥/٤٧٠)، وانظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (١/٢٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو الأعور السلمي[١] ومعه حيي بن أخطب اليهودي[٢] في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق.

وقوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار) التعريف في الأبصار والقلوب والحناجر للعهد، أي: أبصار المسلمين وقلوبهم وحناجرهم، أو تجعل اللام فيها عوضا عن المضافات إليها، أي: زاغت أبصاركم وبلغت قلوبكم حناجركم.

ثالثاً: المعنى اللغوي:

(الزيغ): الميل عن الاستواء إلى الانحراف[٣]. فزيغ البصر أن لا يرى ما يتوجه إليه، أو أن يريد التوجه إلى صوب فيقع إلى صوب آخر من شدة الرعب والذعر، و(الحناجر) جمع حنجرة أي: منتهى الحلقوم، وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مقارها وترتفع طالبة الخروج من الصدور فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق فشبهت هيئة قلب الهلوع المرعود بهيئة قلب تجاوز موضعه.[٤]

وقوله تعالى: (وإذ زاغت الأبصار) أي: شَخُصَت وقيل: مالت، فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشا من فرط الهول، وفي الآية " تعبير مصور لحالة الخوف، والكربة، والضيق، يرسمها بملامح الوجوه، وحركات القلوب".[٥] وقوله تعالى: (وبلغت القلوب الحناجر) أي: زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم، واحدها حنجرة، فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت، وقيل: هو على معنى المبالغة، وقيل: بُحت القلوب من شدة الفزع، فيتصل وجيبها[٦] بالحنجرة، فكأنها بلغتها، وقيل: يجد خشونة وقلبه يصعد علوا لينفصل، فالبلوغ فالبلوغ ليس حقيق، وقيل: القلب عند الغضب يندفع، وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة، وقيل: يفضي إلى أن يسد مخرج النفس، فلا يقدر المرء أن يتنفس، ويموت خوفا، كقوله تعالى: ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ [غافر: ١٨].

---

١ – أبو الأعور السلمي هو عمرو بن سفيان بن عبد شمس بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال ابن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم، وهو مشهور بكنيته. انظر: أسد الغابة (٣/ ٧٢٩).

٢ – هو حييّ بن أخطب النضري: جاهلي، من الأشدّاء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٢).

٣ – انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٠٩).

٤ – انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٢٨٠).

٥ – في ظلال القرآن (٥/ ٢٨٣٧).

٦ – وجيبها: أي: مدخلها. انظر: لسان العرب (١/ ٢٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقيل: إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع والغضب، أو الغم الشديد، ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ومن ثم قيل للجبان، انتفخ سحره.[١] والظاهر أنه أراد اضطراب القلب وضرباته، أي: كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة.[٢]

والظاهر من الآية أن القلوب إذا بلغت الحناجر هو من باب المبالغة، إذ لو أن القلوب تحركت وزالت لخرجت نفسه، ولكن إنما هو الفزع، حتى إن القلب عند الغضب يندفع، وعند الخوف يجتمع فيتقلص، وقد يفضي إلى أن يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت خوفا، إضافةً لذلك إن الرئة تنتفخ من شدة الفزع والغضب، والغم الشديد وإذا انتفخت ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، (وتظنون بالله الظنونا) قيل: ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون، وظن المؤمنون أنهم ينصرون، وقيل: هو خطاب للمنافقين، أي: قلتم هلك محمد وأصحابه.[٣]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾** [الأحزاب: ١٩]

التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (أشحة عليكم) بخلاء بالنفقة في سبيل الله، (أشحة) جمع شحيح[٤] وهو البخيل البخيل نصب على الحال من الضمير في (يأتون) أي: في الحرب، ويقال: وخطيب شحشح ماض في خطبته[٥]

وذكر قتادة: بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن، فقال: (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم)، في الرؤوس من الخوف والجبن، (كالذي يغشى عليه من الموت) أي: كدوران الذي يغشى عليه من الموت، وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله ويشخص بصره، فلا يطرف، فتدور عيناه يمينا وشمالا، فأعينهم زائغة رعباً وخوراً، تم شبهها في سرعة تقلبها لغير قصد صحيح فقال: (كالذي) أي: كدوران عين الذي، وبين شدة العناية بتصوير ذلك بجعل المفعول عمدة ببناء الفعل له (فإذا ذهب الخوف سلقوكم) أي:

---

١ – انظر: البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤٥٨).

٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٤٤– ١٤٥)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣٦)، روح المعاني (١١/ ١٥٤).

٣ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٤٥).

٤ – الشحشح: الممسك البخيل. انظر: لسان العرب (٢/٤٩٦).

٥ – انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (١: ٤٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضربُوكم وآذوكم ورموكم في حال الأمن، (بألسنة حداد) جمع حديد، قال ابن عباسﷺ: (سلقوكم) أي: (عضدوكم وتناولوكم بالنقص والعيبة)، وقال قتادة: "بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا فإنا قد شهدنا معكم القتال، فلستم أحق بالغنيمة منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم"[١]

وقوله: (أشحةً على الخير)، أي: عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، و(أشحة) حال من فاعل سلقوكم[٢] (أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) قال مقاتل: "أبطل الله جهادهم، وكان ذلك على الله يسيرا".[٣]

ويرى الباحث أن الآيةَ فيها إعجازٌ حيث شبه تعالى هؤلاء المنافقين الخائفين، كالذي يخاف عند الموت فينظر يميناً وشمالاً، فَيُذهَلُ ويذهبُ عقلُهُ، ويَشخَصُ بصرُهُ فلا يَطرِفُ، كذلك هؤلاء تشخصُ أبصارهم لما يلحقهم من الخوف، فإن الميت إذا اقترب أجله فإنه يشخص بصره: فتدور عيناه، وتبدأ أعينه تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة حولها، والله أعلم.

والخلاصة من هذا المبحث أن الأعضاء التي ذكرت في القتال كثيرة ولها دورٌ بارز في القتال، كتثبيت الأقدام، والربط على القلوب، وضرب الأعناق، والرقاب، والبنان، لما لها من تأثير على المقاتل من الأعداء، إضافة لعضو العين التي تلعب دوراً بارزاً في تحركات العدو.

---

١ – معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٦٢٣).

٢– انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢٣)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/ ٣١٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٩٦).

٣ – معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٦٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في الحسرة والندم، والشهادة، والعذاب.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : أعضاء ذكرت عند الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن.

المبحث الثاني: الأعضاء التي تشهد على أصحابها.

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في العذاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

أعضاء ذكرت عند الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحسرة والندم (تقليب الكفين، والعض على الأيدي، والأقدام، والظهور).

المطلب الثاني: التيه والضلال (الأصابع، والآذان، والأيدي).

المطلب الثالث: الابتلاءات والمحن (العيون، والرؤوس، والأيدي).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

أعضاء ذكرت عند الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن.

المطلب الأول: الحسرة والندم (تقليب الكفين، والعض على الأيدي، والأقدام، والظهور).

إن الإنسان المقصر في عبادته عندما يشعر بالندم، ويريد أن يعبر عن ندمه وحسرته، يكون ذلك بالتلفظ بالحسرة أو الندم، أو بتقليب كفيه على بعضها البعض، وقد شبه القرآن الكريم حال هؤلاء في عدة آياتٍ منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾** [الانشقاق: ١٠- ١٢]

التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) **وأما من أُعطِيَ كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره، وذلك بجعل يده اليمنى إلى عنقه، وجعل الشمال من يديه وراء ظهره، فيتناول كتابه بشماله من وراء ظهره، ولذلك وصفهم جلَّ ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم بشمائلهم، وأحيانًا يؤتونها من وراء ظهورهم، وعن مجاهد[١] قوله: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) أي: "يجعل يده من وراء ظهره"، ويقول الطبري في معنى الآية: "وهذا الذي أُوتي كتابه وراء ظهره يوم القيامة، ظنّ في الدنيا أن لن يرجع إلينا، ولن يُبعث بعد مماته، فلم يكن يبالي ما ركب من المآثم؛ لأنه لم يكن يرجو ثوابًا، ولم يكن يخشى عقابًا" [٢] وفي الكشاف: فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.[٣]**

وللمفسرين فيه وجوه: وهي أولاً: السبب فيه لأن يمينه مغلولة إلى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره، وثانيها: تخلع يده اليسرى فتجعل من وراء ظهره، وثالثها: قال قوم: يتحول وجهه في قفاه، فيقرأ كتابه كذلك، ورابعها: أنه يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره؛ لأنه إذا حاول أخذه بيمينه كالمؤمنين يمنع من ذلك وأوتي من وراء ظهره بشماله، فإن قيل: ألم يقل في سورة الحاقة: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾** [الحاقة: ٢٥] ولم يذكر

---

١ – هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٠٥/٢).

٢ – جامع البيان (٢٤/ ٣١٥).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الظهر)؟ والجواب: من وجهين أحدهما: يحتمل أن يؤتى بشماله وراء ظهره، وثانيها: أن يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره.[١]

وذكر الله تعالى سببين لعذابه ولأخذه كتابه من وراء ظهره فقال: أولاً: (إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً) أي: إنه كان في الدنيا فرحا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، وإنما يتبع هواه، ويركب شهواته، بطرا أشرا لعدم خطور الآخرة بباله، فأعقبه ذلك الفرح اليسير حزنا طويلا، ثانياً: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) أي: إن سبب ذلك السرور والبطر ظنه بأنه لا يرجع إلى الله تعالى، ولا يبعث للحساب والعقاب، ولا يعاد بعد الموت.

ثم رد الله عليه ظنه قائلا: (بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً) أي: بلى إنه سيحور ويرجع إلى ربه، وسيعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإن الله ربه كان به وبأعماله عالما خبيرا، لا يخفى عليه منها شيء أو خافية، وفي هذا إشارة إلى أنه لا بد من دار للجزاء غير دار التكليف؛ لأن ذلك مقتضى العلم التام والقدرة والحكمة.[٢]

والخلاصة: أن الذين أكثروا من ارتكاب الجرائم، واجتراح المعاصي، سيؤتون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، ومدّ اليسار إلى الكتاب دليل الكراهة، وأظهر في الدلالة على الكراهة، والنفور أن يستدبره ويعرض عنه فيكون من وراء ظهره، وأن إيتاء الكتاب باليمين أو باليسار أو من وراء الظهر، تصوير لحال المطلع على أعماله في ذلك اليوم، فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وتناول كتابه بيمينه، ومنهم من إذا تكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر وأعرض عنها وأدبر، وتمنى لو لم تكشف له، وتناولها باليسار أو من وراء الظهر، وحينئذ يدعو وا ثبوراه، أي: يا هلاك أقبل فإني لا أريد أن أبقى حيا، علما منه بأن ذلك داع إلى طول العذاب، وأنه سيدخل النار ويقاسى سعيرها.[٣]

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٩٩)، اللباب في علوم الكتاب (٢٣٢/٢٠)، فتح القدير (٤٩٣/٥).

٢ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ١٤٢).

٣ – انظر: تفسير المراغي (٣٠/ ٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾** [الفرقان: ٢٧]

أولاً: سبب النزول:

أنزل الله تعالى هذه الآية في أُبيَ بن خلف وعُقبة بن أبي معيط[١] أما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد في المبارزة، قال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فتشعب شعبتين، فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى مات.[٢]

وهذه الآية لم تقتصر على أُبي بن خلف وعُقبة بن أبي معيط، فهي عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾** [الأحزاب:٦٦ –٦٨] فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعض على يديه قائلا: (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) أي: من صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة.[٣]

وهذه الآية وضحتها آياتٌ عديدة، نذكر منها: قوله تعالى: **﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** [يونس: ٥٤] وقوله تعالى: **﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾** [الأنعام: ٣١] والحسرة أشد من الندامة وقوله تعالى: **﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [البقرة: ١٦٧] إلى غير ذلك من الآيات.[٤]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (ويوم يعضّ الظالم على يديه) ويوم يعضّ الظالم المشرك بربه على يديه ندما وأسفًا على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا إلى النجاة من عذاب الله.[٥]

---

١ – هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس: كنيته أبو الوليد، كان شديد الأذى للمسلمين، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠).

٢ – انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (٣٣٤/١).

٣ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٨).

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٤٥).

٥ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: المعنى اللغوي:

و(العض): هو الشد بالأسنان على الشيء ليؤلمه أو ليمسكه، وحقه التعدية بنفسه إلا أنه كثرت تعديته بـ (على) لإفادة التمكن من المعضوض إذا قصدوا عضا شديدا كما في هذه الآية، والعض على اليد كناية عن الندامة؛ لأنهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام أن يصحبوها بحركات بالجسد، وهو مثل رفع اليد عند كلام الغضب، ومثل وضع اليد على الفم عند التعجب، قال تعالى: **﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾** [إبراهيم: ٩] ومنه في الندم قرع السن بالأصبع، وعض السبابة، وعض اليد، وقال تعالى: **﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [آل عمران: ١١٩] وكانت كنايات بناء على ما يلازمها في العرف من معان نفسية، وأصل نشأتها عن تهيج القوة العصبية من جراء غضب أو تلهف.[١]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾** [فصلت: ٢٩]

أولاً: المعنى اللغوي:

يقول الطبري: المقصود بالآية: "(وقال الذين كفروا) بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم، وقيل: إن الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه، وعن علي ﷺ قال في قوله: (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ) قال: (ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس الأبالسة، فأما ابن آدم فيدعو به كلّ صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة، وأما إبليس فيدعو به كل صاحب شرك، يدعوانهما في النار)".[٢]

وقوله تعالى: (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أي: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا؛ لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار وهي درك المنافقين[٣]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٩/ ١٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢١٣)، محاسن التأويل (٤٢٥/٧).

٢ – جامع البيان (٢١/ ٤٦٢ – ٤٦٣).

٣ – انظر: المرجع السابق (٤٦٣/٢١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١٤/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد من الآية: أي: نجعلهما تَحت أقدامنا فِي النَّار، وَهُوَ الدَّرك الْأَسْفَل، وَقَالُوا ذَلِك حقدا عَلَيْهِم وانتقاما مِنْهُم، وَقَوله تعالى: (ليكونا من الأسفلين) أَي: أَسْفَل منا فِي النَّار وَأَشد منا فِي الْعَذَاب.[1] فأجابهم تعالى في موضع آخر: **﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف:٣٨]

فالقائلون: (ربنا أرنا الذين أضلانا) هم عامة المشركين، وهو كناية عن إرادة انتقامهم منهم، ولذلك جزم نجعلهما في جواب الطلب على تقدير: إن تُرِنَاهُمَا نجعلهما تحت أقدامنا، والجعل تحت الأقدام: الوطء بالأقدام والرفس، وكان الوطء بالأرجل من كيفيات الانتقام والامتهان.

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١- "من سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق (الإسلام) فخبث من جراء كسبه الشر، والباطل وتوغله في الظلم والفساد، أن يبعث الله له شيطاناً يكون قرينا له فيزين له كل قبيح، ويقبح له كل حسن.

٢- "بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام، ويحاربونه به حتى اللغو عند قراءة القرآن؛ حتى لا يُسمع ولا يُهتدى به.

٣- تقرير البعث والجزاء.

٤- بيان نقمة أهل النار على من كان سبباً في إضلالهم وإغوائهم، ومن سن لهم سنة شر يعملون بها كإبليس، وقابيل بن آدم عليه السلام، إذ الأول سن كل شر، والثاني سن سُنة القتل ظلماً وعدواناً".[2]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾** [الكهف: ٤٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في الآية: (وأحيط بثمره) "وأحاط الهلاك والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول فيها: (مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين، يقلب كفيه ظهرا لبطن، تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته، عن قتادة قوله تعالى: (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) أي: يصفق (كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا) متلهفا على ما فاته، (وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان

١ - انظر: تفسير القرآن للسمعاني (٥/ ٤٩).

٢ - أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٥٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشرك بربه أحدا، يعني بذلك: هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئا."[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

و(الْكَفُّ) هو كَفُّ الإنسان، وهي ما بها يقبض ويبسط، وكَفَفْتُهُ: أصبت كَفَّهُ، وكَفَفْتُهُ: أصبته بالكفّ ودفعته بها.[٢] وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن، ويضرب إحداهما على الأخرى تحسّرا كما كنى عن ذلك بعض اليدين والسقوط في اليد؛ ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بـ (على) كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي: أنفق في عمارتها، وقوله: (وهي خاوية على عروشها) أي: أن كرومها المعرشة سقطت على الأرض، وقيل: أرسل الله عليها نارا فأكلتها، وقوله تعالى: (يا ليتني) أي: أنه تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أُوتيَ من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبةً من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان.[٣]

ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار في الآية السابقة إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فقد كان ما توقعه الرجل المؤمن وهو مشهد شاخص كامل: الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة، وصاحبها يقلب كفيه أسفاً وحزناً على ماله الضائع، وجهده الذاهب وهو نادم على إشراكه بالله، يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته، ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركاً ينكره الآن، ويندم عليه ويستعيذ منه بعد فوات الأوان، وهنا يتفرد الله بالولاية والقدرة فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، وثوابه هو خير الثواب، ويُسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً، وجلال الله يظلل الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان، وأمام هذا المشهد يضرب مثلاً للحياة الدنيا كلها، فإذا هي كتلك الجنة المضروبة مثلاً قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار.[٤]

والخلاصة أنه لما أنفق عمره في تحصيل الدنيا وأعرض عن الدين، ثم ضاعت منه الدنيا حُرِم الدين والدنيا معا، ومن ثم عظمت حسرته، فبدأ يقلب كفيه على ما أنفق وقال: (يا

---

١ – جامع البيان (١٨/ ٢٧).

٢ – انظر: المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (٧١٣/١).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٢٤)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٥٢١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٨٢/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢٢٣/٥).

٤ – انظر: في ظلال القرآن (٤/ ٢٢٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليتني لم أشرك بربي أحدا).[١] أي: على كثرة نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبقَ لها عوض، وندم أيضاً على شركه.

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾** [البقرة:٧٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري: "فالعذاب الذي هو شرب صديد أهل جهنم في أسفل الجحيم لليهود الذين يكتبون الباطل بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله.[٢] وقال ابن عبّاسﷺ: (شدّة العذاب، وقيل: هو دعاء الكفّار على أنفسهم بالويل والثّبور)"[٣]

"والويل هو الذي أنزل في اليهود؛ لأنهم حرفوا التوراة، زادوا فيها ما أحبوا، ومحوا منها ما يكرهون، ومحوا اسم محمد ﷺ من التوراة، ولذلك غضب الله عليهم، فرفع بعض التوراة" [٤]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والمقصود بقوله تعالى: (كتبت أيديهم) أي: ما كتبوا بأنفسهم اختراعا من تغيير نعته ﷺ (وويل لهم مما يكسبون): من المآكل، ويقال: من المعاصي.[٥] وذلك بيان لجرمهم وإثبات لمجاهرتهم، وفرق بين من كتب وبين من أمر، إذ المتولي للفعل أشد مواقعة ممن لم يتوله، وإن كان رأيا له، وقيل: هو كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم، وإن لم تكن حقيقة في كتب أيديهم، والذي بدلوا هو صفة النبي ﷺ ليستديموا رياستهم ومكاسبهم، وقيل: كانت صفته في التوراة أسمر ربعة، فردوه آدم طويلا، وذكر السدي: أنهم كانوا يكتبون كتبا يبدلون فيها صفة النبي ﷺ ويبيعونها إلى الأعراب، ويبثونها في أتباعهم ويقولون هي من عند الله، وتناسق هذه الآية مع التي قبلها يدل على أن هذا الكتب والتبديل إنما هو للأتباع الأميين الذين لا يعلمون إلا ما قرىء لهم، والثمن قيل: عرض الدنيا، وقيل: الرشا والمآكل التي كانت لهم، ووصفه بالقلة إما لفنائه، وإما لكونه حراما، وكرر الويل لتكرار الحالات التي استحقوه بها، ويَكْسِبُونَ معناه من المعاصي والخطايا، وقيل من المال الذي تضمنه ذكر الثمن.[٦] والكتاب هاهنا: التوراة، وذكر

---

١ – انظر: تفسير المراغي (١٥/ ١٥٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/ ٤٧٧).

٢ – انظر: جامع البيان (٢/ ٢٦٩).

٣ – الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١/ ٢٢٤).

٤ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣١٢).

٥ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ١٣٨).

٦ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأيدي توكيد، والثمن القليل: ما يفنى من الدنيا، وقال: (بِأَيْدِيهِمْ): إشارة إلى قبح هذا الكذب وبعّدَ رتبته في الخبث بأداة التراخي فقال:(ثم يقولون) لما كتبوه كذباً وبهتاناً.[1]

المطلب الثاني: التيه والضلال (القلوب، والعيون، والأصابع، والآذان، والأيدي).

عندما يُعرض الكفار عن آيات الله التي يسمعونها، فإنّ الله تعالى يُعاقبهم بالعذاب الدنيوي كالتيه والضلال في الأرض مثلاً، أو يُشبههم بالأنعام، بل حتى الأنعام أفضل عند الله منهم، أو يصيبهم بالصواعق، فيضعون أصابعهم في آذانهم من شدة الصوت، وقد وردت آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم تبين ذلك، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله تعالى: (لهم قلوبٌ لا يفقهون بها) أي: لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله، فيعلمون توحيد ربِّهم، ويعرفون حقيقة نبوّة أنبيائهم، فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم: (لا يفقهون بها) لإعراضهم عن الحق وتركهم تدبُّر صحة نبوّة الرسل، وبُطُول الكفر، ومعنى قوله: (ولهم أعين لا يبصرون بها) أي: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملونها ويتفكرون فيها، فيعلمون بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفسادِ ماهم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحقّ، بأنهم لا يبصرون بها.

ومعنى قوله: (ولهم آذان لا يسمعون بها) أي: لا يسمعون آيات كتاب الله، فيعتبرون منها ويتفكرون فيها، ولكنهم يعرضون عنها وذلك نظير وصف الله إياهم في موضع آخر بقوله: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾** [البقرة: ١٧١] [2]

والذي انتفى من الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار وإن كانت مبصرة غيرَ ذلك، والذي انتفى من الآذان هو سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك، والإشارة بقوله: (أولئك)

---

١ – انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٨٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/١٠٤)، الدر المنثور (١/٢٠١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٤٩٢)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/١٢٠).

٢– انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى هؤلاء المتصفين بهذه الأوصاف كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، ثم حكم عليهم بأنهم أضل منها؛ لأنها تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرها فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضر، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله منهم وكلفهم به، ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة، لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن مَن له عقل وبصر وسمع.[١]

ويرى الباحث أن الله تعالى خلق لهم الأفئدة والأسماع والأبصار؛ لتكون عونا لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود، فهؤلاء يستحقون أن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون، وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، ومَن صبغ قلبه بالإيمان بالله ومحبته، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء أهل الجنة وبأعمال أهل الجنة يعملون- والله أعلم-.

ثانياً: الإعراب:

وقوله تعالى: (لهم قلوب) حال أو صفة لخصوص الإنس؛ لأنهم الذين لهم: قلوب، وعقول، وعيون وآذان، ولم يعرف للجن مثل ذلك، وقد قدم الجن على الإنس في الذكر؛ ليتعين كون الصفات الواردة من بعد صفات للإنس وبقرينة قوله: (أولئك كالأنعام).

ومعنى نفي الفقه والإبصار والسمع عن آلاتها الكائنة فيهم، أنهم عطلوا إعمالها بترك استعمالها في أهم ما تصلح له، وهو معرفة ما يحصل به الخير الأبدي، ويدفع به الضرر الأبدي؛ لأن آلات الإدراك، والعلم خلقها الله؛ لتحصيل المنافع، ودفع المضار، فلما لم يستعملوها في جلب أفضل المنافع، ودفع أكبر المضار، نفي عنهم عملها على وجه العموم للمبالغة؛ لأن الفعل في حيز النفي يعم مثل النكرة، فهذا عام أريد به الخصوص للمبالغة لعدم الاعتداد بما يعلمون، فالنفي استعارة بتشبيه بعض الموجود بالمعدوم كله، وليس في تقديم الأعين على الآذان مخالفة لما جرى عليه اصطلاح القرآن من تقديم السمع على البصر؛ لتشريف السمع بتلقي ما أمر الله به.[٢]

وجملة: (أولئك كالأنعام) مستأنفة لابتداء كلام بتفظيع حالهم، فجعل ابتداء كلام ليكون أدعى للسامعين، وعرفوا بالإشارة لزيادة تمييزهم بتلك الصفات، وللتنبيه على أنهم بسببها تم تسويتهم بالأنعام أو جعلهم أضل من الأنعام، وتشبيههم بالأنعام في عدم الانتفاع بما ينتفع به العقلاء، فكأن قلوبهم، وأعينهم، وآذانهم، قلوب الأنعام، وأعينها، وآذانها، في أنها لا تقيس الأشياء على أمثالها، ولا تنتفع ببعض للدلائل العقلية فلا تعرف كثيرا مما يفضي بها إلى سوء

١- انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٠٥).

٢- انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العاقبة.[١] وسر استعمال القلب في هذا المعنى ما يراه الإنسان من انقباض أو انشراح حين الخوف والاشمئزاز، أو حين السرور والابتهاج.

ثالثاً: المعنى اللغوي:

(والفقه): العلم بالشيء والفهم له، وفسره الراغب[٢] بالتوصل بعلم شاهد إلى علم غائب، وقد استعمله القرآن في مواضع كثيرة بمعنى دقة الفهم والتعمق في العلم؛ ليترتب عليه أثر هو الانتفاع به، ومن ثم نفاه عن الكفار والمنافقين؛ لأنهم لم يدركوا كنهه المراد مما نفى فقهه عنهم ففاتتهم المنفعة مع العلم المتمكن من النفس.[٣]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ١٩]

أولاً: المعنى اللغوي:

الصّيِّب الفَيْعِل من قولك: صَاب المطر يَصوب صَوبًا، إذا انحدَر وَنزَل، وكما قال علقمة بن عَبَدَة [٤] في قصيدته طحا بِك قَلب في الحسانِ طروبُ

كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

أي: صابت. مطرت. دبيب: يقول أصابتها الصواعق فلم تقدر على الطيران من الفزع فدبت تطلب النجاء.[٥]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وفي الآية تشبيهٌ تمثيلي حيث شبه الإسلام بالمطر؛ لأن القلوب تحيا به، وشبه شبهات الكفار بالظلمات.

وقوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ) مجازٌ مرسل من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي: رؤوس أصابعهم، ولقد اشتملت الآيات على قوة التعبير وشدة التأثير وروائع التشبيه، ففيها تشبيه القرآن بالمطر إذا أمطر يحيي الأرض، والقرآن يحيي موات النفوس، ويرى أصحاب

١- انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٨٣).

٢ – المفضل بن محمد الأصبهانيّ أبو القاسم الراغب صاحب المصنفات، كان في أوائل المائة الخامسة.
انظر: طبقات المفسرين للداوودي (مقدمة/ ٣).

٣- انظر: تفسير المراغي (٩/ ١١٢).

٤ – هو علقمة بن عَبَدة (بفتح العين والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٧).

٥ – انظر: قصيدة علقمة بن عبدة (طحا بِك قَلب في الحسانِ طروبُ)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأهواء أنَّ في القرآن شبها هي كالظلمات العارضة مع المطر، وفي الآيات أيضاً وعد ووعيد كالرعد قوة وشدة.[١]

والمراد بالظلمات ظلام الليل أي: كسحاب في لون ظلمة الليل، وسحابة الليل أشد مطرا وبرقا وتسمى سارية، والرعد أصوات تنشأ في السحاب، والبرق لامع ناري مضيء يظهر في السحاب، والرعد، والبرق ينشآن في السحاب من أثر كهربائي يكون في السحاب فإذا تكاثفت سحابتان في الجو إحداهما كهرباؤها أقوى من كهرباء الأخرى، وتحاكتا جذبت الأقوى منهما الأضعف فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة، فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء، ويحصل عند ذلك التقاء الكهرباءين وذلك يسبب انقداح البرق.[٢]

وشبهت الآية حال المنافقين بحال قوم سائرين في ليلٍ بأرضِ قومٍ أصابها الغيث، فذلك الغيث نفع أهل الأرض ولم يصبهم منه شيئا، وذلك التمثيل كما ورد في الحديث الذي رواه أَبِو مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)** [٣] ولا تجد حالة صالحة لتمثيل هيئة اختلاط نفع وضر مثل حالة المطر والسحاب وهو من بديع التمثيل القرآني. و(الظلماتُ) مستعارٌ لما يعتري الكافرين من الوحشة عند سماعه، كما تعتري السائر في الليل وحشة الغيم؛ لأنه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر، و(الرعد) لقوارع القرآن وزواجره، و(البرق) لظهور أنوار هديه من خلال الزواجر، فظهر أن هذا المركب التمثيلي صالح لاعتبارات تفريق التشبيه وهو أعلى التمثيل.[٤]

١ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (١/ ٩٠).
٢ – انظر: التحرير والتنوير (١/ ٣١٨).
٣ – صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ح٧٩ (١/٢٧).
٤ – انظر: التحرير والتنوير (١/ ٣١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثالثة: قال تعالى:﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور: ٤٠]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في تفسير الآية: "وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عمِلت على خطأ وفساد، وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مثَلُ ظلمات في بحر لجِّيّ، ونسب البحر إلى اللجة وصفًا له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) يقول: يغشى البحر موج (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) أي: من فوق الموج موج آخر يغشاه، (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) أي: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، و(البحر اللجيّ) مثل القلب الكافر، وقوله: (موج من فوقه موج من فوقه سحاب) فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حججا لله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض." [١]

ويقول ابن عباس ﷺ في معنى الظلمات: أي: (الأعمال، والبحر اللجّي: قلب الإنسان، وهذا يعني الغشاوة على القلب، والسمع، والبصر)، ورُوي عن أُبيّ بن كعب ﷺ في معنى الظلمات قال: (إن الكافر يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار).[٢]

وقوله تعالى: (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي: إذا أخرج الناظر يده لم يكد يراها أي: لم يقرب من أن يَرَها من شدة الظلمات، أي: ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر، وذلك مبالغة في أنه لم يرها أي: لم يقرب أن يَرَها.[٣] أي: من ابتلي بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة (يده) جعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها (لم يكد يراها) وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يَرَها.

١- جامع البيان (١٩/ ١٩٧ - ١٩٨).

٢- انظر: المرجع السابق (١٩/ ١٩٧ - ١٩٨).

٣- انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٧/ ١١٠)، انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٥٣٧)، تفسير البغوي (٣/ ٤٢١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥١٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٨٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول قطب في قوله: (إذا أخرج يده لم يكد يراها) "يخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام! إنه الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون، وضلال لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى".[١]

ثم بالغ سبحانه في هذه الظلمات المذكورة بقوله: (إذا أخرج يده لم يكد يراها) وفاعل (أخرج) ضمير يعود على مقدر دل عليه المقام، أي: إذا أخرج الحاضر في هذه الظلمات أو من ابتلي بها، قال الزجاج: "المعنى، لم يَرَها ولم يكد يَرَها"، وقال الفراء: أي: "إذا أخرج يده لم يَرَها، كما تقول: ما كدت أعرفه"، وقال المبرد[٢]: أي: "لم يَرَها إلا من بعد الجهد"، وقال النحاس[٣]: "أصح الأقوال في هذا أن المعنى لم يقارب رؤيتها، فإذن لم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة".[٤]

وجملة (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) مقررة لما قبلها من كون أعمال الكفرة على تلك الصفة، والمعنى: ومن لم يجعل الله له هداية فما له من هداية، قال الزجاج: ذلك في الدنيا، والمعنى: من لم يهده الله لم يهتد[٥]، وقيل: المعنى من لم يجعل له نورا يمشي به يوم القيامة فما له من نور يهتدي به إلى الجنة.[٦]

والملاحظ أن الكافر لن يجد عمله إذا احتاج إليه يوم القيامة، ولم يغنِ عنه شيئا، وقوله: (ووجد الله عنده) أي: عند عمله، وشبه عمله بالظلمة السوداء؛ لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لُج البحر، والأمواج، والسحاب، فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله، يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب.[٧]

ثانياً: لطيفة:

ذكر القاسمي عن ابن كثير قوله: وهذان المثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار، أما الأول: فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم أصحاب الجهل المركب الذين يحسبون أنهم على شيء،

١- في ظلال القرآن (٤/ ٢٥٢١).

٢- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدي الثمالي المعروف بالمبرد. انظر: طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٦٩)

٣ - النحاس (المفسر) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر.انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٤).

٤- فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧).

٥- انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٨).

٦- انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧).

٧- انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمثلهم كالسراب، والثاني: لأصحاب الجهل البسيط وهم المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون، فلا يعرف أحدهم حال من يقوده فهو لا يدري أين يذهب، بل كما يقال في المثل للجاهل (أين تذهب؟ قال: لا أدري).[١]

وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾** [الكهف: ١٠٣- ١٠٤] وهم الذين عَنَى بقوله: **﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾** [الفرقان: ٢٣]، وهم الذين عَنَى بقوله تعالى: **﴿كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾** [البقرة: ١٦٧] والقسم الثاني من هذا الصنف، أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل، بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلا، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى.[٢]

ثالثاً: المعنى اللغوي:

(كَظُلُماتٍ) جمع ظلمة وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم، واتباع الهوى، وظلمة الشك، والريب وظلمة الإعراض عن الحق، الذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنور الذي أنزله معهم لِيُخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المُعْرض عما بعث الله به تعالى محمدا ﷺ من الهدى ودين الحق، يتقلب في خمس ظلمات وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به محمدا ﷺ من النور، جدّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به أنسب وأولى.[٣]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾** [الرعد: ١٤]

التفسير الإجمالي:

عن ابن عباس ﷺ قال في قوله تعالى: (له دعوة الحق) أي: (شهادة أن لا إله إلا الله)[٤] وقوله: (من دونه) أي: من دون الله، وإنما عنى بقوله: (من دونه) الآلهة أنها مقصِّرة عنه، وأنَّها لا تكون إلهًا، ولا يجوز أن يكون إلهًا إلا الله الواحد القهار، وقوله: (لا يستجيبون لهم بشيء) أي: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعونها هؤلاء المشركون آلهةً بشيء يريدونه من نفع، أو

١ – انظر: محاسن التأويل (٧/ ٣٩٣).
٢ – انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٥٧).
٣ – انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٩/ ٤٣٦٨).
٤ – جامع البيان (١٦/ ٣٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دفع ضرٍّ (إلا كباسط كفيه إلى الماء) أي: كالعطشان المشير بكفه إلى الماء، وبينه وبين الماء مسافة لا يصل إليه؛ فهو يشير بكفه ويدعو بلسانه، ولا يصل إليه؛ فكذلك من يدع الأصنام بدفع أو نفع لا يصل إلى شيء بدعائه، وقوله: (ليبلغ فاه) أي: لينالَه فاه (وما هو ببالغه) وما هو بنائله.[١]

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء (وأحمق من الْقَابِض على المَاء)[٢]

فالذي يدعو الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء، وهذا كالرجل العطشان الذي يريد الماء من بعيد فهو يشير بكفه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبدا كالعطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء، ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه، كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم دعاؤها، وهي لا تقدر على شيء.[٣]

وبسط الكف يريد به الماءَ وهو البالغُ، والضمير في (بِبالِغِهِ) للفم ويصحُّ أنْ يكون هو يراد به الفم، وهو البالغ أيضا، والضمير في (بِبالِغِه) للماء؛ لأن الفم لا يَبْلُغ الماء أبداً على تلك الحال.[٤]

وقوله تعالى: (إلا كباسط كفيه إلى الماء) فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه العطشان يمد يده إلى البئر؛ ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه، والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما، والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا، والخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض على ماء حتى يؤديه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب مالا يجد فهو القابض على الماء[٥]

والخلاصة: أن من يتخذ ديناً غير دين الله، فهو كالعطشان الذي لا يستطيع أن يبلغ الماء، رغم أنه أمامه كقوله: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: ٨٥]

---

١ – انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٨٥).

٢ – انظر: جمهرة الأمثال (١/ ٣٩٠).

٣– انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ١٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٦٢٨).

٤– انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٣٦٥).

٥– انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٤٥)، زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنها دعوة الله، والتوجه إليه، والاعتماد عليه، وطلب عونه، ورحمته، وهداه، وما عداها باطل، وما عداها ضائع، وما عداها هباء، هكذا حال الداعين لغيره من الشركاء؟ فهذا واحد منهم، هو ظمآن يمد ذراعيه ويبسط كفيه، وفمه مفتوح يلهث بالدعاء، يطلب الماء ليبلغ فاه فلا يبلغه، وما هو ببالغه بعد الجهد واللهفة والعناء، وكذلك دعاء الكافرين بالله الواحد حين يدعون الشركاء.

المطلب الثالث: الابتلاءات والمحن (العيون، والرؤوس، والأيدي).

تمر على الإنسان لحظات ابتلاء ومحن، وهذه الابتلاءات تأتي؛ لتمحص المؤمنين، أو لتزيدهم صبراً وثباتاً، أو لتختبر إيمانهم، وقد ورد ذكر بعض أعضاء الإنسان في القرآن الكريم في عدة آيات تتحدث عن الابتلاءات والمحن، منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [يوسف: ٨٤]

التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في قول الله تعالى: "(وابيضَّت) أي: عينا يعقوب من الحزن (فهو كظيم)، يقول: فهو مكظوم يعني أنه مملوء من الحزن، مُمْسِك عليه لا يُبينه، ومنه قوله: **﴿والكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾** [آل عمران: ١٣٤] "[١]

وقوله تعالى: (وتولى عنهم) "وذلك أن يعقوب عليه السلام لما بلغه خبر بنيامين تناهى حزنه وبلغ جهده، وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم، وقال: (يا أسفى) يا حزناه على يوسف، والأسف أشد الحزن (وابيضت عيناه من الحزن) أي: عمي بصره، قال مقاتل[٢]: لم يبصر بهما ست سنين (فهو كظيم) أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه، قال قتادة: تردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيرا.[٣]

وقيل: "انقلبت إلى حال البياض فلم يبصر بهما (من الحزن) من البكاء (فهو كظيم) مغمومٌ مكروبٌ لا يُظهر حزنه بجزعٍ أو شكوى"[٤] "وابيضاض العينين: ضعف البصر،

---

١ – جامع البيان (١٦/ ٢١٤).

٢ – مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني أبو الحسن البلخي المفسّر. طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٠).

٣ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٥٠٩)

٤ – الوجيز للواحدي (١/ ٥٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظاهره أنه تبدل لون سوادهما من الهزال، ولذلك عبر بـ (وابيضت عيناه) دون عميت عيناه."[١]

ويقول الزمخشري: فإن قلت: "كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلت: الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن، ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن"[٢] ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم فَقَالَ ﷺ: **(إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ).**[٣]

وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح، والنياحة، ولطم الخدود، والصدور، وشق الجيوب، وتمزيق الثياب[٤] وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه، ونهى عن البكاء عن صوتين أحمقين: صوت عند الفرح، وصوت عند الترح، و(الكظم) بفتح الظاء: مخرج النفس. يقال: أخذ بأكظامه، ووُصِف يعقوب بذلك؛ لأنه لم يشكِ إلى أحد، وإنما كان يكمد في نفسه، ويمسك همه في صدره، فكان يكظمه، أي: يرده إلى قلبه.[٥]

وقال سعيد بن جبير[٦] رضي الله عنه: "لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم إنا لله وإنا إليه راجعون، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب"[٧]، إذ يقول: (يا أسفى على يوسف) فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه شكا إلى الله تعالى، لا منه، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفي على يوسف.[٨]

وقوله تعالى: (ياأسفى) الألف منقلبة عن ياء المتكلم وإنما قلبت ألفا؛ لأن الصوت معها أتم، ونداؤه على سبيل المجاز، كأنه قال: هذا أوانك فاحضر نحو قوله تعالى: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾** [الزمر: ٥٦] [٩]

---

١ – التحرير والتنوير (١٣/ ٤٣).

٢ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٩٧).

٣ – صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون، ح ١٣٠٣ (٢/ ٨٣).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣٠٢/٤).

٥ – انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٣٤٦).

٦ – سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والية بن الحارث من بني أسد، كنيته أبو عبد الله، وكان فقيها فقيها ورعا من الطبقة الثالثة، قرأ القرآن على ابن عبّاس طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٨٨).

٧ – الكبائر للذهبي (١/ ١٩٥).

٨ – انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٦٣).

٩ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٦/ ٥٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول قطب في معنى الآية: "وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف الذي لم ينسه، ولم تهوّن من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه على صبره الجميل: (يا أسفا على يوسف!) ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً".[١]

والخلاصة: أنّ بياض العينين ليعقوب عليه السلام، جاء نتيجة الحزن الشديد، الذي أصابه من بُعد أبنائه عنه، وهذا يذكرنا بأسرانا وبُعدهم عن آبائهم وزوجاتهم وأبنائهم، أو العكس، وكان ما حدث ليعقوب من بياض العينين هو من الله مع أنه نبي، فما بالك بآباء أسرانا وقد مُنعوا وحُرموا من رؤية أبنائهم سنين كثيرة، ولا نسمع منهم قولاً سوى حسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** [المائدة: ٢٨]

التفسير الإجمالي:

ومعنى الآية: أي: ما أنا بمجازيك ولا مقَاتلكَ، ولا قاتِلُكَ.[٢] ومعنى: (بَسَطْتَ) أي: مددت[٣] وقال الحسن[٤] ومجاهد: كان من شرع آدم أن من قُصِدَ بالقتل فواجب عليه الكف عن عن الدفع، والصبر على الأذى، وكذا كان في شرع نبينا في الابتداء، فأما قوله: (ما أنا بباسط يدي إليك) أي: بالدفع، وقيل: لم يكن ذلك شرعا، وإنما قال ذلك؛ استسلاما للقتل؛ وطلبا للأجر، وهذا جائز لكل من يقصد قتله، أن يستسلم وينقاد، وكذا فعل عثمان ﷺ وهو أحد قولي الشافعي[٥]، وفيه قولٌ آخر: أنّ المراد به: لئن ابتدأت بقتلي ما أنا بمبتدئ بقتلك.[٦]

---

١ – في ظلال القرآن (٤/ ٢٠٢٥).

٢ – انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ١٦٧).

٣ – انظر: تفسير كلمات القرآن محمد غازي الدروبي (٥/ ٤).

٤ – الحسن البصريّ بن أبي الحسن أبو سعيد.مولى زيد بن ثابت، وقيل مولى جميل بن قطبة، وقيل غير ذلك، ذلك، وأبو يسار بالتحتانية من سبى ميسان ، أعتقته الربيع بنت النضر.ولد الحسن في زمن عمر، وشهد الدار وهو ابن أربع عشرة سنة. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٥٠).

٥ – محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي الشافعيّ. طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٠٢)

٦ – انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٣٠)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و"قيل: كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت"[١] (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أن تحتمل إثم قتلى لك لو قتلتك وإثم قتلك لي، فإن قلت: كيف يحمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى؟ قلت: المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام، كما تقول: قرأت قراءة فلان، وكتبت كتابته، تريد المثل وهو اتساع مستفيض لا يكاد يستعمل غيره، وقوله تعالى: (ما أنا بباسط)؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع، ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي، فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع.[٢] وسيعاقب الله كل مَنْ يقتل مسلماً ومن كان السبب في القتل ودليل ذلك ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ)**[٣]

وقوله تعالى: (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأقتلك) أي: والله لئن باشرتَ قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعلٍ مثلَه لك في وقتٍ من الأوقاتِ ثم علل ذالك بقوله: (إِنّي أَخَافُ الله رَبَّ العالمين)[٤]

ويقول قطب: "وهكذا يرتسم نموذج من الوداعة، والسلام، والتقوى في أشد المواقف استجاشة للضمير الإنساني وحماسة للمعتدَى عليه ضد المعتدِي، وإعجاباً بهدوئه واطمئنانه أمام نذر الاعتداء، وتقوى قلبه وخوفه من رب العالمين، ولقد كان في هذا القول اللين ما يفثأ[٥] الحقد ويهدّىء الحسد، ويسكن الشر، ويمسح على الأعصاب المهتاجة ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة، وبشاشة الإيمان، وحساسية التقوى، أجل لقد كان في ذلك كفاية ولكن الأخ الصالح يضيف إليه النذير والتحذير(إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ، وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ) إذا أنت مددت يدك إلي لتقتلني، فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة بالنسبة لك، فهذا الخاطر- خاطر القتل- لا يدور بنفسي أصلاً، ولا يتجه إليه فكري إطلاقاً خوفاً من الله رب العالمين، لا عجزاً عن إتيانه وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك الذي جعل الله لا يتقبل منك قربانك فيكون إثمك مضاعفاً، وعذابك مضاعفاً (وَذلِكَ جَزاءُ

---

١ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٤٤٢).

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٦٢٤-٦٢٦).

٣ – صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب يعذب الميت ببعض بكاء أهله، ح ١٢٨٣ (٢/ ٧٩).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٢٧).

٥ – يفتأ: فثأ غضبه يفتوه فثأ: أي كسره وسكنه. انظر المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ١٨٣) يفثأ: كسر الغليان، والمعنى يكسر الحقد. انظر: تهذيب اللغة (١٥/١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظَّالِمِينَ)".[1]

الآية الثالثة قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [المائدة: ٩٤]

التفسير الإجمالي:

قال الطبري في معنى الآية: "يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله (ليبلونّكم الله بشيء من الصيد) ليختبرنكم الله(بشيء من الصيد) أي: ببعض الصيد، وإنما أخبرهم تعالى أنه يبلوهم بشيء؛ لأنه لم يبلُهم بصيد البحر، وإنما ابتلاهم بصيد البرّ، فالابتلاء ببعض لا بجميع، وقوله: (تناله أيديكم) فإنه يعني: إما باليد، كالبيض والفراخ، وإما بإصابة النَّبْل والرماح، وذلك كالحمر والبقر والظباء، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجّكم، وتأتي بمعنى: أخذكم إياهن بأيديكم من بيضهن وفراخهن (ورماحكم) أي: ما رميت أو طعنت، وليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد في حال إحرامكم، كي يعلم أهلَ طاعة الله والإيمان به، والمنتهين إلى حدوده، وأمره، ونهيه، ومن الذي يخاف الله فيتقي ما نهاه عنه، ويجتنبه خوف عقابه، وقوله: (بالغيب) أي: في الدنيا، بحيث لا يراه".[2]

والظاهر أن الخطاب بقوله: (يا أيها الذين آمنوا) عام للمُحِل والمُحْرِم لكن لا يتحقق الابتلاء إلا مع الإحرام أو الحرم، وقال ابن عباس ﷺ : (هو للمحرمين)، وقال مالك[3]: هو للمحلين والمعنى ليختبرنكم الله ابتلاهم الله به مع الإحرام أو الحرم، والظاهر أن قوله: (بشيء من الصيد) يقتضي تقليلا، وقيل: ليعلم أنه ليس من الابتلاء العظيم كالابتلاء بالأنفس، والأموال بل هو تشبيه بما أُبتُلِيَ به أهل أَيلَة[4] من صيد السمك وأنهم كانوا لا يصبرون عند هذا الابتلاء فكيف يصبرون عند ما هو أشد منه، و(من) في (من الصيد) للتبعيض في حال الحرمة إذ قد يزول الإحرام ويفارق الحرم، وقيل: من صيد البر دون البحر، ويجوز أن تكون (من) لبيان الجنس، والمراد بـ (الصيد) المأكول؛ لأن الصيد ينطلق على المأكول وغير المأكول، وقوله: (تناله أيديكم ورماحكم) أي: بعض منه يتناول بالأيدي لقرب غشيانه حتى

---

١ – في ظلال القرآن (٢/ ٨٧٦).

٢ – جامع البيان (١٠/ ٥٨٢)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ١٨٥).

٣ – مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٥٧).

٤ – أيلَة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، واشتقاقها قد ذكر في اشتقاق إيلياء بعده، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتمكن منه اليد، وبعض بالرماح لبعده، وتفرقه فلا يوصل إليه إلا بالرمح، وقال ابن عباسﷺ: (أيديكم) فراخ الطير، وصغار الوحش، وقال مجاهد: (الأيدي) الفراخ، والبيض وما لا يستطيع أن يفر و(الرماح) تنال كبار الصيد، قال ابن عطية: والظاهر أنّ الله خص (الأيدي) بالذكر؛ لأنها أعظم تصرفا في الاصطياد وفيها تدخل الجوارح وما عُمل باليد من فخاخ وشباك وخص (الرماح) بالذكر لأنها أعظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه.[١]

وعن مقاتل قال: أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش، والطير، والصيد تغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون.[٢]

والخلاصة من هذا المبحث أن الأعضاء التي ذكرت في الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن، كانت في تقليب الكفين، والعض على الأيدي، والأقدام، والظهور، والقلوب، والعيون، والأصابع، والآذان، والرؤوس، والأيدي، وأنه مهما كانت الحسرة والندم فلن تنفع يوم القيامة عند الله تعالى.

١ – انظر: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٣٦١-٣٦٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٣٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٤٣)، التحرير والتنوير (٧/ ٣٩).

٢ – انظر: الدر المنثور(٣/١٨٥)، التحرير والتنوير(٧/٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي تشهد على أصحابها.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: شهادة الأسماع، والأبصار، والجلود.

المطلب الثاني: شهادة الألسنة، والأيدي، والأرجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي تشهد على أصحابها.

المطلب الأول: شهادة الأسماع، والأبصار، والجلود.

تشهد بعض أعضاء الإنسان يوم القيامة عليه، حتى أنه لا يستطيع صاحبها الإنكار، ومن هذه الأعضاء التي ينطقها الله بإرادته، وتشهد على أصحابها، الجلود، والأفواه، والألسنة، والأرجل، وقد بين القرآن الكريم ذلك في عدة آيات، ومنها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [فصلت: ٢٠]

التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في تفسير الآية: "وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم: (أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) فنطقنا؛ وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما سخط الله"[١] وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: **(كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: (هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟) قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ)**[٢] والمراد بالجلود ثلاثة أقوال: أحدها: الأيدي والأرجل، والثاني: الفروج، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والثالث: (أنه الجلود نفسها)، حكاه الماوردي[٣].[٤]

---

١ – جامع البيان (٢١/٤٥٢).

٢ – صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح ٢٩٦٩ (٤/ ٢٢٨٠).

٣ – أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٢).

٤ – انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٩)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٩٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي كيفية تلك الشهادة ثلاثة أقوال: الأول: أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه، والثاني: أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء، الأصوات، والحروف الدالة على تلك المعاني، والثالث: أن يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان، وتلك الأمارات تسمى شهادات كما يقال: يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه."[1]

وتخصيص السمع، والأبصار، والجلود بالشهادة على هؤلاء دون بقية الجوارح؛ لأن للسمع اختصاصا بتلقي دعوة النبي ﷺ وتلقي آيات القرآن، فسمعهم يشهد عليهم بأنهم كانوا يصرفونه عن سماع ذلك، كما حكى الله عنهم بقوله: **﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾** [فصلت :٥]؛ ولأن للأبصار اختصاصا بمشاهدة دلائل المصنوعات الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير فذلك دليل وحدانيته في إلهيته، وشهادة الجلود؛ لأن الجلد يحوي جميع الجسد لتكون شهادة الجلود عليهم شهادة على أنفسها فيظهر استحقاقها للحرق بالنار لبقية الأجساد دون اقتصار على حرق موضع السمع والبصر، ولذلك اقتصروا في توجيه الملامة على جلودهم؛ لأنها حاوية لجميع الحواس والجوارح، وبهذا يظهر وجه الاقتصار على شهادة السمع، والأبصار، والجلود هنا بخلاف آية قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النور :٢٤] وإنما قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا دون أن يقولوه لسمعهم وأبصارهم؛ لأن الجلود مواجهة لهم يتوجهون إليها بالملامة، وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغتي ضمير جمع العقلاء؛ لأن التحاور معها صيرها بحالة العقلاء يومئذ، ومن غريب التفسير قول من زعموا أن الجلود أريد بها الفروج وهو تعنت في محمل الآية لا داعي إليه بحال.[2]

والاستفهام في قولهم: (لم شهدتم علينا) مستعمل في الملامة وهم يحسبون أن جلودهم لكونها جزءا منهم لا يحق لها شهادتها عليهم؛ لأنها تجر العذاب إليها، واستعمال الاستفهام عن العلة في معرض التوبيخ كثير، وقول الجلود (أنطقنا الله) اعتذار بأن الشهادة جرت منها بغير اختيار، وهذا النطق من خوارق العادات كما هو شأن العالم الأخروي.

١ – اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ١٢٦).

٢ – انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٦٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقولهم: (الذي أنطق كل شيء) تمجيد لله تعالى ولا علاقة له بالاعتذار، والمعنى: الذي أنطق كل شيء له نطق من الحيوان واختلاف دلالة أصواتها على وجدانها، فعموم كل شيء مخصوص بالعرف. [١]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النور: ٢٤]

أولاً: القراءات:

قرأ حمزة والكسائي (يوم يشهد عليهم ألسنتهم) بالياء؛ لأن الواحد منها مذكر والفعل متقدم، وقد حيل بين الاسم والفعل بقوله: (عليهم) وقرأ الباقون (يوم تشهد) بالتاء؛ لأنها جماعة تقول هذه ألسنة[٢]

لقد جاءت هذه الآية بعد قذف السيدة عائشة بحادثة الإفك، فلعنوا في الدنيا والآخرة.

يقول الطبري في معنى الآية: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ) "فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض، لا أنَّ ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه".[٣]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وهؤلاء الكفار لهم ذلك العذاب الذي لا يقدر قدره يوم يجحدون ما اكتسبوا في الدنيا من الذنوب حين سؤالهم عنها، فتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون من قول أو فعل، إذ ينطقها الله بقدرته، فتخبر كل جارحة بما صدر منها من أفاعيل، وذلك كقوله تعالى: **﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا؟ قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾** [فصلت: ٢١]

وهؤلاء يعترفون بذنوبهم بإنطاق الله تعالى إياها(جوارحهم) أو بظهور آثار ما عملوه عليها، بحيث يعلم مَن يشاهدهم ما عملوه، وذلك بكيفية يعلمها الله، وذلك كقوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يس: ٦٥]

ويرى فريقٌ من المفسرين أنّ الشهادة هنا ليست الشهادة باللسان، بل شهادة الإثبات والبيان، إذ كل ما يعمله الإنسان في الدنيا من قول أو فعل تنطبع له صورة على العضو الذي فعله، فالكلمة يقولها تنطبع لها صورة على اللسان، واليد التي تمتد لفعل شيء، والرجل التي تخطو إلى عمل، كل ذلك يحفظ على نفس الجارحة التي فعلته، فما أشبه ذلك بالصور التي

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٦٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢٣٣).

٢ – انظر: حجة القراءات (١/ ٤٩٦).

٣ – جامع البيان (١٩/١٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تؤخذ اليوم لأصابع المجرمين، وبصمات أيديهم وأرجلهم في قلم تحقيق الشخصية للرجوع إليها إذا دعت الحاجة إلى ضبط أولئك المجرمين، فما ينطبع إذ ذاك على اللسان واليد والرجل يكون كافيا جد الكفاية في إثبات الجرم على أولئك المجرمين والطغاة الظالمين.[١]

ويقول الشوكاني[٢] في تفسير الآية: "أي: تشهد ألسنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم، وقيل: (تشهد عليهم ألسنتهم) في ذلك اليوم بما تكلموا به (وأيديهم وأرجلهم) بما عملوا بها في الدنيا، وإن الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم، والمشهود محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها، أي: تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي: يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم القبيحة ويعطيهم الله جزاءهم عليها موفرا، فالمراد (بالدين) هاهنا: الجزاء، (وبالحق الثابت) الذي لا شك في ثبوته".[٣]

ومعنى شهادة الجوارح أنه تعالى ينطقها بقدرته، فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها، لا أنّ كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب.

وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجير للواسع، وتهوين لأمر الوازع، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل؛ للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم (عليهم) على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر.[٤]

فهؤلاء يعترفون بالقذف بإنطاق الله تعالى إياها، أو بظهور آثار ما عملوه عليها، بحيث يعلم مَن يشاهدهم ما عملوه، وذلك بكيفية يعلمها الله.

والختم على الأفواه ينافي شهادة الألسنة، والجواب أن الختم على الأفواه معناه المنع عن التكلم بما يريده وينفعه، بحسب زعمه، اختياراً كالإنكار والاعتذار، أو أن هذا في حال، وذلك في حال، أو كل منهما في حق قوم غير الآخرين، أو هذا في حق القذفة، وذاك في حق الكفرة- وليس بشيء- إذ لا منافاة فالسر في التصريح بالألسنة هنا وعدم ذكرها هناك، أن الآية لما كانت في حق القاذف بلسانه، وهو مطالب معه بأربعة شهداء، ذكر هنا خمسة أيضا، وصرح باللسان الذي به عمله ليفضحه، جزاء له من جنس فعله.[٥]

---

١ – انظر: تفسير المراغي (١٨/ ٩٠).

٢ – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ببلدة شوكان باليمن. انظر ترجمته من فتح القدير للشوكاني.

٣ – فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢١).

٤ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٦).

١– انظر: محاسن التأويل (٧/ ٣٤١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر الله شهادة ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم؛ للتهويل عليهم لعلهم يتقون ذلك الموقف فيتوبون، وشهادة الأعضاء على صاحبها من أحوال حساب الكفار.

ثالثاً: مناسبة الآية بما قبلها:

إن تخصيص هذه الأعضاء بالذكر مع أن الشهادة تكون من جميع الجسد كما قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ**﴾ [فصلت: ٢١]؛ لأن لهذه الأعضاء عملا في رمي المحصنات فهم ينطقون بالقذف، ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات، ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف.[١]

المطلب الثاني: شهادة الألسنة، والأيدي، والأرجل.

لقد ورد في القرآن الكريم آيات عدة تبين شهادة أعضاء جسم الإنسان على أصحابها، ومنها:

قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يس: ٦٥]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في معنى الآية: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) أي: اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليُسرى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) في الدنيا من الآثام، وقال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى، وعن الشعبي قال: يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا فيقول: ما عملت فيُختم على فيه، وتنطق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكن الله ما خاصمت إلا فيكن، والطَّمْس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غرٌّ، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس".[٢] ومعنى الآية: "أي: نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم، وأهاليهم، وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم وأرجلهم، يقول العبد يوم القيامة: إني لا أجيز عليّ إلا شاهدا من نفسي، فيُختم على فيه ويقال: لأركانه انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعدا لَكُنّ وسحقا فعنكُنّ كنت أناضل. "[٣]

١- انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٩١).

٢- جامع البيان (٢٠/ ٥٤٤).

٣ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٠٩). سبق تخريجه ص ٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الختم على الأفواه وجوه: أقواها أن الله تعالى يُسكت ألسنتهم فلا ينطقون بها وَيُنطق جوارحهم فتشهد عليهم، وإنه في قدرة الله يسير، أما الإسكات فلا خفاء فيه، وأما الإنطاق فلأن اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة، فكما جاز تحركه بها جاز تحرك غيره بمثلها، والله قادر على كل شئ والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشيء؛ لانقطاع أعذارهم وانتهاك أستارهم فيقفون ناكسي الرءوس وقوف القنوط اليؤوس لا يجد عذرا فيعتذر، ولا مجال توبة فيستغفر، وتكلم الأيدي ظهور الأمور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والأبصار، والله تعالى أسند فعل الختم إلى نفسه، وقال: (نختم) وأسند الكلام والشهادة إلى الأيدي والأرجل؛ لأنه لو قال تعالى: (نختم على أفواههم وتنطق أيديهم) يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبرا وقهرا والإقرار بالإجبار غير مقبول فقال تعالى: (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم) أي باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم.[١] وسمي كلام الأرجل شهادة؛ لأن العمل باليد والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه إقرار فعبّر عما صدر عن الأيدي بالكلام، وعما صدر عن الأرجل بالشهادة.[٢]

والدليلٌ على نطق الأعضاء وشهادتها على صاحبها ما ورد عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: **(هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا ضَحِكْتُ؟) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ[٣]: انْطِقِي فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ[٤])**[٥]

والظاهر أن السر في الختم على فيه منعه من أن يلغط حال شهادتها عليه لئلا يسمع قولها، كما هو دأب أهل العناد عند الخصام.[٦]

١- انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٠٢).

٢- انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٤).

٣ - (لِأَرْكَانِهِ) أَيْ: لجَوارِحه، وأَرْكَانُ كُلِّ شَيْءٍ جَوانِبُه الَّتِي يَسْتَند إِلَيْهَا ويَقوم بِهَا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٦٠).

٤ - (أُنَاضِلُ) أي: أدافع وأجادل. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٧٢).

٥- سبق تخريجه ص ٦٤.

٦- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ١٥٧)، التحرير والتنوير (٢٣/٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودليلٌ آخر على شهادة الأعضاء على صاحبها ما رواه أبو هريرة ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:**(هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عز وجل إِلاَّ كمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلُ[1] أَلَمْ أَكْرِمْكَ وَأَسَوِّدْكَ[2] وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ[3] وتربع[4]؟ فيقول: فيقول: بلى أي رب فيقول: أفظننت أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي؛[5] ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ لَهُ: أي فُلُ؟ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بلى أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فَيَقُولُ: لاَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي؛ ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فَيَقُولُ: رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ: هاهُنَا إِذَنْ[6] ثُمَّ يُقَالُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِداً عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ: انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر[7] من نفسه وذلك المنافق الَّذِي يَسْخَطُ الله عَلَيْهِ)** [8]

١- (أي فُل) أي: يا فلان: وهو ترخيم على خلاف القياس، وقيل: هي لغة بمعنى فلان. انظر حاشية صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٩). وَلَيْسَ تَرْخِيما لَهُ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٧٣).

٢ – (أسودك) أي: جعله سيدا يُقَال سوده عَلَيْهِم. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٦٠).

٣ – (ترأس) أي: رأس الْقَوْمَ يَرْأَسُهُمْ رِئَاسَةً: إِذَا صارَ رَئِيسَهُمْ ومُقدَّمهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٦).

٤ – (تربع) أي: تأْخُذ رُبع الْغَنِيمَةِ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨٦).

٥ – (إِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي) ونسيانا تَركه على ذُهُول وغفلة أَو تَركه على عمد وَالْأَمر أهملته ذاكرته وَلم يعه يعه فَهُوَ نَاس وَنسَاء. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٠) أي: أمنعك الرحمة كما امتنعت عن طاعتي. انظر: حاشية صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٠).

٦- (هاهُنَا إِذَنْ) معناه قف هاهنا حتى يشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت منكراً. انظر: حاشية صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٠).

٧ – (ليعذر) من الأعذار، والمعنى ليزيل الله عذره من قِبل نفسه بكثرة ذنوبه، وشهادة أعضائه عليه، بحيث لم لم يبق له عذر يتمسك به. انظر: حاشية صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٠). أي: فلَان عذرا كثرت ذنُوبه وعيوبه وَفُلَانًا فِيمَا صنع عذرا ومعذرة . انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٩).

٨ – صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ح ٢٩٦٨ (٤/٢٢٧٩)، الجامع الصغير وزيادته (١/١٢٩٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: **(إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، فَخْذُهُ)**[١] وعن حكيم بن معاوية بن حيدة[٢] عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى أَفْوَاهِهِمُ الْفِدَامُ[٣]، وَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَ الْآدَمِيِّ فَخِذُهُ وَكَفُّهُ).**[٤] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(تُحْشَرُونَ هَا هُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ مُشَاةً، وَرُكْبَانًا وَعَلَى وُجُوهِكُمْ، وَتُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ)** وتلا رسول الله ﷺ **﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾** [فصلت: ٢٢][٥]

والكفر يعمي البصيرة ويضعف القوة العقلية، وعمى البصيرة بإرادة الله ومشيئته، إذا شاء أعمى البصائر، كما أنه لو شاء لطمس على أعينهم المبصرة، وسلب القوة العقلية باختياره ومشيئته، كما أن سلب القوة الجسمية بمشيئته، حتى لو شاء لمسخ المكلف على مكانته وأقامه بحيث لا يتحرك يمنة ولا يسرة، ولا يقدر على المضي والرجوع، فإعماء البصائر عنده كإعماء الأبصار، وسلب القوة العقلية كسلب القوة الجسمية، وقدم الطمس والإعماء على المسخ والإعجاز ليكون مُدَرَّجًا، كأنه قال إن أعماهم لم يروا الطريق الذي هم عليه وحينئذ لا يهتدون إليه، فإن قال قائل: الأعمى قد يهتدي إلى الطريق بأمارات عقلية أو حسية غير حس البصر كالأصوات والمشي بحس اللمس، فارتقى وقال: فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون إلى الصراط بوجه من الوجوه.[٦]

والخلاصة من هذا المبحث أنَّ شهادة الجوارح السابقة ينطقها تعالى بقدرته، فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها، وهذا كله حتى لا يكون للإنسان حجةً يوم القيامة، حيث إن كلاً منها يخبر بجنايات أصحابها، ومن هذه الأعضاء الأسماع، والأبصار، والجلود، والألسنة، والأيدي، والأرجل_ والله أعلم-.

---

١ – مسند أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني، ح ١٧٣٧٤ (٢٨/ ٦٠٢)، حديث حسن لغيره.

٢ – هو حكيم بْن معاوية النميري من نمير بْن عامر بْن صعصعة. انظر: الأعلام (٢/ ٦١).

٣ – الفِدَام: مَا يوضع على الْفَم سدادا لَهُ وَمَا يشد على فَم الإبريق وَنَحْوه لتصفية مَا فِيهِ. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٧).

٤ – المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح ٣٦٤٥ (٢/ ٤٧٧) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

٥ – المستدرك على الصحيحين للحاكم، ح ٣٦٤٦ (٢/ ٤٧٨) صححه والحاكم ووافقه الذهبي ورجاله ثقات.

٦ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في العذاب.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأعناق.

المطلب الثاني: الجلود.

المطلب الثالث: البطون، والظهور، والأمعاء.

المطلب الرابع: الرؤوس، والنواصي، والوجوه، والخرطوم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في العذاب.

المطلب الأول: الأعناق.

عندما يقف الكافر يوم القيامة بين يدي الله تعالى، فإنه يكون ذليلاً صغيراً، فقد وُضعت السلاسل في عنقه، بحيث لا يستطيع الالتفاتُ يميناً أو شمالاً، ويبقى ينتظر مصيره المحتوم، وقد بينت آياتٌ كثيرة موقف هؤلاء الكفرة الذين قُيدت أعناقه بالسلاسل، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ*إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾** [غافر: ٧٠-٧٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في معنى الآية: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ) "وهذا تهديد من الله للمشركين، فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذّبون بهذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم.

وقوله: (يسحبون) أي: يسحب هؤلاء الذين كذّبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حَرُّه، وبلغ غايته.

وقوله تعالى: (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) من سجر التنور إذا ملأه بالوقود، ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم، والمراد أنهم يعذبون بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها إلى بعض".[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والأغلال: جمع غل، بضم الغين، وهو حلقة حديد تحيط بالعنق تناط بها سلسلة من حديد، والسلاسل: جمع سِلسِلة بكسر السينين وهي مجموع حلق غليظة من حديد متصل بعضها ببعض، والحميم: هو المتناهي في الحر، وقيل: الصديد (ثم في النار يسجرون) يقال سجرت التنور: أي: أوقدته، وسجرته: ملأته بالوقود.[٢]

---

١ – جامع البيان (٢١/ ٤١٦)، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢٢٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٦٣).

٢ – انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٢٠٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسلسلة معروفة، قال الراغب (وتسلسل الشيء) أي: اضطرب كأنه تصور، كأنه تصوّر منه تَسَلُّلٌ متردّد، فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه، وماء سلسل متردد في مقره، والسحب: الجر بعنف، وسجرت التنور أي: ملأته نارا وهيجتها، ومنه البحر المسجور أي: المملوء، وقيل: المضطرم نارا.[1]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ [يس: ٨-٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى الآية: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تُبسط بشيء من الخيرات.

وقوله: (إِلَى الأَذْقَانِ) أي: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكُني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان.

ثانياً: المعنى اللغوي:

والأذقان: جمع ذَقَن، والذَّقَنُ: مجمع اللَّحيين. وقوله: (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) والمقمَح: هو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم.

وقال ابن عباس ﷺ في معنى الآية: هو كقول الله: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٩] يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير، وعن قتادة[2] : أي: فهم مغلولون عن كل خير.[3]

فإن قيل: الغل إنما يكون على اليد! والجواب عنه: أن العادة أن اليد تغل إلى العنق، فذكر الأعناق لهذا المعنى، واكتفى بذكرها عن ذكر الأيدي، وقيل: إنا جعلنا في أعناقهم وأيديهم أغلالا، فهي كناية عن الأيدي، فإن قيل: فكيف يكنى عن الأيدي ولم يجر لها ذكر؟ والجواب عنه: أن العرب تكني عن الشيء وإن لم تجر له ذكرا إذا كان معلوما.

ويجوز أن تكون الآية وعيدا بما سيحل بهم يوم القيامة حين يساقون إلى جهنم في الأغلال كما أشار إليه قوله تعالى: (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم

---

١ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٤٩٨)، مفردات القرآن للراغب (١/ ٣٩٧-٣٩٨).

٢ – قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السّدوسيّ الحافظ العلامة، أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسّر. طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٤٧).

٣ – انظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٩٣-٤٩٤)، تفسير مجاهد (١/ ٥٥٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في النار يسجرون) فيكون فعل جعلنا مستقبلا وعبر عنه بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] أي: سنجعل في أعناقهم أغلالا، وتلك الأغلال ضيقة بحيث لا يسع لهم الالتفات يمنة ويسرة، وفوقا وتحتاً.[١]

وذكر الأذقان؛ لقرب الأعناق من الأذقان، "فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤوسهم له، (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له.[٢]

والغل: ما أحاط بالعنق على معنى التثقيف، والتضييق، والتعذيب، والأسر، ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة هذا معنى التغليل، فيضطر المغلول إلى رفع وجهه نحو السماء وذلك هو (الإقماح) ونحوه ما يفعله الإنسان والحيوان عند شرب الماء البارد، وعند الملوحات والحموضة القوية ونحوه، ويُحتمل أن تعود (هي) على الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكر لوضوح مكانها من المعنى، وذلك أنّ الغل إنما يكون في العنق مع اليدين.[٣]

وقوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، وقوله (فَأَغْشَيْناهُمْ) أي: قد أعمينا عيون بصائرهم وأبصارهم التي هي سبب رؤية الآيات ودرك الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة (فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) الشواهد الظاهرة، والآيات الباهرة حتى ترشدهم إلى الهداية والإيمان فحرموا عن قبول الحق وانصرفوا عن صراطه فهلكوا في تيه الغواية والضلال.[٤] (فهم لا يبصرون) قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة، (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]

أولاً: المعنى اللغوي:

قال الطبري: الأعناق هي أعناق الرجال، أي: فظلت أعناقهم ذليلة، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وذلك أن الرجال إذا ذلوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا.

---

١ –انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٣٦٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٦٠)، محاسن التأويل (٨/ ١٧٤)، التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٠).

٢– انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٣).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٧).

٤ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأعناق: جمع عنق بضمتين وقد تسكن النون وهو الرقبة، ولما كانت الأعناق هي مظهر الخضوع أسند الخضوع إليها.[١]

والمقصود بـ (آيَةً) دلالة ملجئة إلى الإيمان، وقوله: (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق؛ لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله، وقيل: لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصيغة كما في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] [٢]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وعبر عن خضوعهم بالأعناق على سبيل المجاز المرسل، إذ عبر باسم الجزء عن الكل؛ لأن لهذا الجزء ميزة في هذا المقام عن بقية الأجزاء، إذ هو مظهر الخضوع والخنوع، وللإشارة إلى أن استكبار الكافرين هو الذي منعهم من الإيمان فعبر بهذا للدلالة على أنهم يخضعون؛ ولأن العنق يعبر به عن الكبراء المتجبرين، فيقال عنق القوم أي: كبارهم المسيطرون أو المتغطرسون، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] فلو شاء الله أن ينزل عليهم آيةً سماويةً تلجئهم إلى الإيمان وتقسرهم عليه، لفعل فتصبح رقابهم خاضعةً ذليلةً لما يريد، ولكنه لا يفعل ذلك؛ لأنه يريد أن يكون الإيمان عن طواعية واختيار ورضا تام لا بالإكراه.[٣]

وإنما قال: (خَاضِعِينَ)؛ لأنه أراد بـ (الأعناق) الرؤساء أي: فظلت الرؤساء خاضعين لها، أو بتقدير مضاف محذوف، (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) كناية عن الذل والهوان الذي يلحقهم.[٤] ويقول قطب[٥]: "لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة ولم يشأ أن ينزل آيةً قاهرةً ماديةً تلوي الأعناق وتخضعها، وتضطرها إلى التسليم، ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة للأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد، والقريب لكل أمةٍ ولكل جيلٍ."[٦]

---

١ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٣٣٤)، التحرير والتنوير (١٩/ ٩٦).

٢ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٣٤).

٣ – انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨١٧)، زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٣٦)، أوضح التفاسير (١/ ٤٤٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/ ٥٢٧٧).

٤ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢١)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٣٣).

٥ – سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٧).

٦ – في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [سبأ: ٣٣]

التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا الأغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) وغلت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، وما يفعل الله ذلك بهم إلا جزاءً لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.(١)

وفي الآية إشارة إلى كيفية العذاب وإلى أن مجرد الرؤية ليس كافيا، بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه، فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الأغلال في أعناقهم، وقوله: (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) إشارة إلى أن ذلك حقهم عدلا.(٢)

وخُصت أعناقهم وأيديهم بهذا العذاب (الأغلال)؛ لبيان ما يوجب قهرهم وإذلالهم، وإخزاءهم، وإنكاءهم، وإيلامهم، كما كانوا يفعلون مع المؤمنين ويتمنون لهم، وجعل الأغلال في الأعناق شعار على أنهم يساقون إلى ما يحاولون الفرار والانفلات منه. (٣)

وهكذا نرى الآيات الكريمة تصور لنا تصويرا مؤثرا بديعا، ما يكون عليه الكافرون يوم القيامة من حسرة وندم، ومن عداوة وبغضاء.

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾** [المسد: ٥]

أولاً: المعنى اللغوي:

والجيدُ: العنق وغلب في الاستعمال على عنق المرأة، وعلى محل القلادة منه، وهنا ذكر الجيد في حكم البلاغة؛ لأنها امرأة والنساء تحلي أجيادهن، وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل المجعول في عنقها، فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه.(٤)

وقوله تعالى: (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) قال ابن عباس ﷺ : هي حبال تكون بمكة، وقيل: حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد، وكانت تفتل، وقيل: حبل من نار في رقبتها، وقيل: هو الليف،

١- انظر: جامع البيان (٢٠/ ٤٠٩).

٢ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ٢٠٩).

٣ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٧٧)، التحرير والتنوير (٢٢/ ٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٠٤)، التفسير المنير للزحيلي (٢٢/ ١٨٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٣٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/ ٥١٢)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١١/ ٢٩٦).

٤- انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال قتادة: أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها، والراجح من الأقوال كما ذكر الطبري: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة.[١]

والحكمة من ذلك أنَّ أم جميل زوجة أبي لهب تحمل تلك الحزمة من الشوك، وتربطها في جيدها، كما يفعل الحطابون تحقيرا لها، وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات؛ لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة – والله اعلم–.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وفي قوله: (حبلٌ من مسد) فيه ثلاثة أقوال: الأول أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها، والثاني أنه حالها في جهنم يكون كذلك، أي: يكون في عنقها حبل، والثالث أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل، والذم لها بتبرجها.[٢]

وذكر العلماء: أن في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، وهذه آيةٌ باهرةٌ من آيات الله، فإنه منذ نزل قوله تعالى: (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً، لا مسراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة.[٣]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١- "بيان حكم الله بأبي لهب وإبطال كيده الذي كان يكيده لرسول الله ﷺ .

٢- لا يغني المال ولا الولد عن العبد شيئا من عذاب الله إذا عمل بمساخطه وترك مراضيه.

٣- حرمة أذية المؤمنين مطلقا.

٤- عدم إغناء القرابة شيئا مع الشرك والكفر إذ أبو لهب عم النبي ﷺ وهو في النار ذات اللهب".[٤]

ويرى الباحث أن ذكر الأعناق في هذا المطلب هو من باب الذل والإهانة، سواء من الكافرين الذين كذبوا رسلهم، أو آذوهم كما فعلت زوجة أبي لهب والتي كانت تضع الأشواك في

١- انظر: جامع البيان (٢٤/ ٦٨١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥١٦)، التفسير المنير للزحيلي (٣٠/ ٤٥٨)، النكت والعيون (٦/ ٣٦٨).

٢ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٢٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٩٢).

٣- انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٨/ ٥١٧)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٣٧)، التفسير المنير (٣٠/ ٤٦٠).

٤- أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٦٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طريق النبي ﷺ فأنزل الله بها قرآناً هي وزوجها، وليدلل ذلك على صدق نبوة الرسول ﷺ حيث لم يكن أبو لهب وزوجته قد هلكا والله أعلم.

المطلب الثاني: الجلود.

الجلدُ من أكثر أعضاء جسم الإنسان حساسيةً وتأثراً بالعذاب أو بالحروق، ولهذا عندما يُعذب الإنسان يوم القيامة فإن أكثر ما يُشعره بالألم هو الجلود، وقد بين القرآن الكريم في أكثر من وصفٍ لتعذيب جلود الكفار يوم القيامة، وكيف تُصهرُ ما في قلوبهم وجلودهم من شدة العذاب، وحتى يزيدهم الله عذاباً يُبدل جلودهم كلما تنضج، إضافة لعذاب لنار جهنم التي تنزع وتشوي جلودهم، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾** [الحج: ١٩-٢٠]

التفسير الإجمالي:

يقول تعالى: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) أي: أما الكافر بالله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار، وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حرّا منه، والتقطيع: مبالغة في القطع، وهو فصل بعض أجزاء شيء عن بقيته، والمراد: قطع شقة الثوب وذلك أن الذي يريد اتخاذ قميص أو نحوه يقطع من شقة الثوب ما يكفي كما يريده، فصيغت صيغة الشدة في القطع للإشارة إلى السرعة في إعداد ذلك لهم فيجعل لهم ثياب من نار، والثياب من النار ثياب محرقة للجلود وذلك من شؤون الآخرة.[١]

وقوله: (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) أي: يصبّ على رءوسهم ماء مُغْلَي، وقوله: (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) أي: يذاب بالحميم الذي يصبّ من فوق رءوسهم ما في بطونهم من الشحوم، وتشوى جلودهم منه فتتساقط، والصهر: هو الإذابة.

وإذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فيأكلون منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارّا مرّ بهم يعرفهم، يعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثون فيُغاثوا بماء كالمُهل، وهو الذي قد انتهى حرّه، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود و(يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) يعني أمعاءهم، وتساقط جلودهم، ثم يُضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حاله، يدعون بالويل والثبور.[٢]

١- انظر: جامع البيان (١٨/ ٥٩٠)، التحرير والتنوير (١٧/ ٢٣٠)

٢ - انظر: جامع البيان (١٨/ ٥٩٢)، روح البيان (٦/ ١٨)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء: ٥٦]

أولاً: المعنى اللغوي:

في الآية وعيد من الله للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد ﷺ من اليهود وغيرهم من سائر الكفار وبرسوله، فكلما احترقت جلودهم بدّلناهم جلودًا غيرَها.

ومعنى: (كلما نضجت جلودهم) أي: سرابيلهم، بدلناهم سرابيل من قَطِران غيرها، فجعلت السرابيل من القطران لهم جلودًا، قال تعالى: ﴿**سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ [إبراهيم: ٥] لما صارت لهم لباسًا لا تفارق أجسامهم، جعلت لهم جلودًا، فقيل: كلما اشتعل القَطِران في أجسامهم واحترق، بدلوا سرابيل من قطرانٍ آخر.[١]

وسمي تبديل الجلود بذلك؛ لأن أوصافه تتغير ثم يعاد، وقال ابن عمر: كلما احترقت جلودهم بُدلوا جلودا بيضاء كالقراطيس، وقيل: تبدل عليهم في اليوم سبعين ألف مرة، وقالت فرقة: الجلود في هذا الموضع سرابيل القطران، سماها جلودا للزومها فصارت كالجلود، وهي تبدل دأبا.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

ويقول الرازي في هذه المسألة: "السؤال الأول: لما كان تعالى قادرا على إبقائهم أحياء في النار أبد الآباد فلم لم يبق أبدانهم في النار مصونة عن النضج والاحتراق مع أنه يوصل إليها الآلام الشديدة، حتى لا يحتاج إلى تبديل جلودهم بجلود أخرى؟ والجواب: أنه تعالى لا يسأل عما يفعل، بل نقول: إنه تعالى قادر على أن يوصل إلى أبدانهم آلاما عظيمة من غير إدخال النار مع أنه تعالى أدخلهم النار.

السؤال الثاني: الجلود العاصية إذا احترقت فلو خلق الله مكانها جلودا أخرى وعذبها كان هذا تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز، والجواب: أن الذات واحدة والمتبدل هو الصفة، فإذا كانت الذات واحدة كان العذاب لم يصل إلا إلى العاصي، وعلى هذا التقدير المراد بالغيرية التغاير في الصفة".[٢]

ويرى الباحث أن الحكمة في تبديل جلود الكفار، أن أعصاب الألم هي في الطبقة الجلدية، وأما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية فالإحساس فيها ضعيف، ولذلك يعلم

١- انظر: جامع البيان (٨/ ٤٨٧).

٢ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٠/ ١٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يتجاوز الجلد يحدث ألما شديدا، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة؛ لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألما كثيرا، فالنار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يُجدد كي يستمر الألم بلا انقطاع، ويذوقوا العذاب الأليم، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان؛ ولأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس بحسب عادة خلق الله تعالى، فلو لم يبدل الجلد بعد احتراقه لما وصل عذاب النار إلى النفس.

وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه لا ينافي العدل؛ لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشىء عن الجلد الأول كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها لا يوجب أن تكون أناسا غير الذين استحقوا الثواب والعقاب؛ لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر فقد صارت هي هي ولا سيما إذا كانت إعادتها عن إنبات من أعجاب الأذناب؛ لأن الناشئ عن الشيء هو منه كالنخلة من النواة.[١]

ثالثاً: الإعجاز العلمي في الجلود:

يبين التشريح المجهري للجلد أنه عضو غني بالألياف العصبية التي تقوم باستقبال ونقل جميع أنواع الحس من المحيط الخارجي، وهي تنقل حس الألم والحرارة، والضغط والبرودة، وحس اللمس، والجلد عندما يتعرض للحرق يؤدي ذلك للإحساس بألم شديد جداً؛ لأن النار تنبه مستقبلات الألم والتي هي النهايات العصبية الحرة، كما ينبه إضافة لذلك مستقبلات الحرارة والتي هي جسيمات توجد في الأدمة، و تحت الأدمة، وتكون آلام الحرق على أشدها عندما يبلغ الحرق النسيج تحت الأدمة، و يسمى بالحرق من الدرجة الثالثة، وإذا امتد الحرق للأنسجة تحت الجلد يصبح الألم أخف؛ لأن هذه الأنسجة أقل حساسية للألم، وهكذا أشارت الآية القرآنية إلى أكثر أعضاء الجسم غنى بمستقبلات الألم هو الجلد، كما أن الحروق هي أشد المنبهات الأليمة.

وقد بينت البحوث الحديثة أن مراكز الإحساس بالألم موجودة في الجلد، وليس داخل الجسم، وإن أعظم أنواع الألم هو ألم الحروق، وهذا معروف طبياً؛ لأن حروق الجلد تعني استمرار تنبيه مراكز الإحساس بالألم بشكل دائم، ولذلك نجد القرآن العظيم عندما يتحدث عن عذاب الله يوم القيامة، يصور لنا شدة ألم هؤلاء الذين كفروا بآيات الله ولم يؤمنوا بها، فسوف يكون جزاؤهم نار جهنم، وانظر إلى كلمة (لِيَذُوقُواْ) التي قررت أن مراكز الإحساس بالعذاب موجودة في جلد الإنسان، وأن هذا الجلد كلما نضج أبدله الله جلداً آخر، وكما بينت

١ – انظر: التحرير والتنوير (٥/ ٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البحوث أن الجلد المحترق تماماً يفقد صاحبه الإحساس بالألم؛ لأنه يكون قد بدأ بمرحلة الموت، بينما إذا استمر نضوج الجلد وتبديله بجلدٍ آخر استمر العذاب.[١]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]

بعد أن يتخلى القريب والبعيد عن الإنسان يوم القيامة، ويفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وزوجته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعا، يبدأ الله بالتوعد للمقصر بالعذاب الشديد، وهذا العذاب متمثل بنار جهنم شديدة الحرارة.

أولاً: القراءات:

قوله تعالى: (نَزَّاعَةً لِلشَّوى) روى حفص عن عاصم (نزاعةً للشوى) نصبا، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: (نزاعةٌ) رفعا، فالحجة لمن رفع: أنه جعله بدلا من (لظى) والحجة لمن نصب: أنه نصب على الحال أو القطع، ومعناه: أنّ (لظى) معرفة و (نزاعة) نكرة، وهما جنسان.[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

ومعنى قوله تعالى: (كلا إنها إِنَّهَا لَظَى) لظى: اسم من أسماء جهنم، وقيل: هي الدركة الثانية، وسميت بذلك؛ لأنها تتلظى أي: تتلهب، قال الليث[٣]: اللظى، اللهب الخالص، يقال: لظت النار تلظى لظى، وتلظت تلظيا، ومنه قوله: ﴿**نَارًا تَلَظَّى**﴾ [الليل: ١٤] ولظى علم للنار منقول من اللظى، وهو معرفة لا ينصرف، فلذلك لم ينون، وقوله: (نزاعَةً لِلشَّوَى) أي: أنها تنزع جلدة الرأس وأطراف البدن، وقيل: اللحم دون العظم، وقيل لحم الساق، وقيل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحما ولا جلدا، وقيل: تنزع الجلد واللحم عن العظام، والنزاعة: مبالغة في النزع وهو الفصل والقطع، والشَّوَى: جمع شواة وهي: الأطراف، وجلدة الرأس وهي من جوارح الإنسان.[٤]

ويرى الباحث أنَّ الجلود هي من أكثر أعضاء جسم الإنسان حساسية بالعذاب؛ لذلك ذُكرت الجلود في العذاب لشدة تأثيرها في الكفار، الذين كفروا برسلهم فاستحقوا العذاب الشديد.

---

١ – انظر: كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (١/٣٥– ٣٦).

٢ – انظر: الحجة في القراءات السبع (١/ ٣٥٢)، الحجة للقراء السبعة (٦/ ٣١٩).

٣ – الليث بن سعد أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريا سخيا. وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧).

٤ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ٦٠٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: البطون، والظهور، والأمعاء.

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ* ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾** [الصافات: ٦٦- ٦٧]

التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) أي: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله شجرة الزقوم لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة فمالئون من زقومها بطونهم، والمِلْءُ حَشْوُ الوِعَاء بما لا يحتمل الزِّيادة عليه.[١]

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) ثم إنَّ لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شَوْبا، وهو الخلط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شَوْبا وشيابا (من حميم)، والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أسخن فانتهى حره، وقيل: حميم يُشاب لهم بغساق مما تَغْسِق أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.[٢]

وشجر الزقوم حار يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد ملئ تعذيبا بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم، أو أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بـ (ثم) للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام، ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه، والمعنى: أنه يُذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، فهم يُكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم، فهذا طعامهم، وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة [٣] وإن حال المشروب في البشاعة أعظم من حال المأكول، ثم إن مرجعهم بعد شرب الحميم وأكل الزقوم إلى دار الجحيم، أي إن الحميم يكون في موضع خارج عن الجحيم، فهم يوردون الحميم لشربه، كما تورد الإبل إلى الماء، ثم يردّون إلى الجحيم.[٤] "وملء البطون كناية عن كثرة ما يأكلون منها على كراهتها، وإسناد الأكل وملء البطون إليهم إسناد حقيقي، وإن كانوا مكرهين على ذلك الأكل والملء، والفاء في قوله: (فمالؤن) فاء التفريع، وفيها معنى التعقيب، أي: لا يلبثون أن تمتلئ بطونهم من سرعة الالتقام،

١- انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣١٥).

٢- انظر: جامع البيان (٢١/ ٥٤-٥٥).

٣- انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٧) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٥٧).

٤ - انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٣/ ٢١٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذلك تصوير لكراهتها فإن الطعام الكريه كالدواء إذا تناوله آكله أسرع ببلعه وأعظم لقمه؛ لئلا يستقر طعمه على آلة الذوق".[١]

وشجرة الزقوم هذه التي يأكل الكفار من ثمرها القبيح الرائحة، والطعم، لو أن قطرة منها قُطرت في بحار الأرض لفسدت كما يقول ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢] قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي بِحَارِ الْأَرْضِ لَفَسَدَتْ) وَفِي حَدِيثِ وَهْبِ بْنِ جَرِيرٍ: **(لَأَمَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ طَعَامَهُ؟)**.[٢]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾** [الدخان: ٤٥، ٤٦]

أولاً: القراءات:

"اختلفوا في الياء والتاء من قوله عزّ وجلّ: (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) فقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص: (يغلي) بالياء، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: (تغلي) بالتاء، ومن قال: (تغلي) بالتاء حمله على الشجرة، كأنّ الشجرة تغلي في البطون، ومن قال: (يغلي) جعله على الطّعام؛ لأنّ الطّعام هو الشجرة في المعنى".[٣]

والصواب كما يرى الطبري أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) يقول: يغلي ذلك في بطون هؤلاء الأشقياء كغلي الماء المحموم، وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدّة حرّه، وقيل: حميم وهو محموم، لأنه مصروف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قتيل من مقتول.[٤]

وقوله: (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) أي: إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يُذاب في النار إذا أُذيب بها، فتناهت حرارته، وشدّت حميته في شدّة السواد.[٥]

---

١ – التحرير والتنوير (٢٣/ ١٢٥).

٢ – انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، ح رقم ٣١٥٨ (٢/ ٣٢٢) قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

٣ – الحجة للقراء السبعة (٦/ ١٦٦).

٤– انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٦).

٥ – انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي:

"وقيل: (المهل) ما أذيب من ذهب أو فضة، وقيل: ما أذيب منهما ومن كل ما في معناهما كالحديد، والنحاس، والرصاص، والمَهل بالفتح: التؤدة والرفق ومنه **﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾** [الطارق: ١٧] .[١]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ*فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾** [الواقعة: ٥٣- ٥٥]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) فمالئون من الشجر الزَّقوم بطونهم، أي: فشاربٌ أصحابُ الشمال على الشجر من الزَّقوم إذا أكلوه، فملئوا منه بطونهم من الحميم الذي انتهى غليه وحرّه.[٢]

يقول قطب في معنى قوله تعالى: (فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ)" فالجوع طاغٍ، والمحنة غالبة، وإن الشوك الخشن ليدفع إلى الماء لتسليك الحلوق وري البطون! وإنهم لشاربون (شَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) الساخن الذي لا يبرد غلة ولا يروي ظمأ".[٣]

والحكمة من قوله: (فمالؤن منها البطون) تفظيع حالهم في جزائهم على ما كانوا عليه من الترف في الدنيا بملء بطونهم بالطعام، والشراب ملئا أنساهم إقبالهم عليه وشربهم من التفكر في مصيرهم، وقد زيد تفظيعا بالتشبيه في قوله: (فشاربون شرب الهيم).-والله أعلم-

ثانياً: المعنى اللغوي:

و(الهيم) جمع (أهيم وهيماء) "وهي إبل عطاش لاتروى والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل، فإذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم، الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم، وإنما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتان متفقتان؛ لأن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا وكانتا صفتين مختلفتين".[٤] "وقيل إن الهيام داء يصيب الإبل فلا

١ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٦٢٧).
٢ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ١٣٤).
٣ – في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٦٥).
٤ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٤٢٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك، وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى بالماء، وقيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون".[١]

"واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الشجر في قوله: (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ) أي: من الشجر، (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ)؛ لأن الشجر تؤنث وتذكر، وأنث؛ لأنه حمله على الشجرة؛ لأن الشجرة قد تدلّ على الجميع".[٢]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾** [الأنبياء: ٣٩]

التفسير الإجمالي:

ومعنى الآية: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم (وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) فلا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله، لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء، ولا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم إلا مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم (فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) ولا يطيقون حين تبغتهم دفعها عن أنفسهم فلا يكفون يمنعون عن وجوههم النار، ولا عن ظهورهم السياط ولا هم ينصرون.[٣]

وذكر(الوجوه) خاصة لشرفها من الإنسان، وأنها موضع حواسه وهو أحرص على الدفاع عنه، ثم ذكر (الظهور) ليبين عموم النار لجميع أبدانهم، وقيل: إنما خصت الوجوه، والظهور؛ لأن مس العذاب لهما أعظم موقعا؛ ولكثرة ما يستعمل ذكرهما في دفع المضرة عن النفس.[٤]

---

١ – لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٢٣٩).

٢ – جامع البيان (٢٣/ ١٣٣).

٣ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٤٤٥)، بحر العلوم (٢/ ٤٢٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٢٧٦).

٤ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٨٣)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ١٤٦)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٤٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٨٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٤]

التفسير الإجمالي:

قال الطبري: "يعني تعالى بقوله: (أولئك) هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد ﷺ بالخسيس من الرِّشوة يُعطَوْنها، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويغيِّرون معانيها (ما يأكلون في بطونهم) بأكلهم ما أكلوا من الرُّشا على ذلك، وما أخذوا عليه من الأجر (إلا النار) أي: إلا ما يوردهم النار ويُصْليهموها، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ [سورة النساء:١٠] أي: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم، فاستغنى بذكر(النار) وفهم السامعين معنى الكلام، عن ذكر"ما يوردهم، أو يدخلهم".[١]

فهؤلاء الكاتمون لكتاب الله والمتجرون به، ما يأكلون في بطونهم من ثمنه إلا ما يكون سببا لدخول النار، وانتهاء مطامعهم بعذابها، وهذا أظهر من القول بأنهم لا يأكلون في دار الجزاء إلا النار، أو طعام النار من الضريع، والزقوم، وعبر عن المنافع بالأكل؛ لأنه أعمها والمعنى: لا تملأ بطونهم إلا النار، فإن الأكل لما كان لا يكون إلا في البطن كان لا بد من نكتة لذكر البطن.[٢] وجيء باسم الإشارة (أولئك)؛ لإشهارهم لئلا يخفى أمرهم على الناس، وللتنبيه على أن ما يخبر به عن اسم الإشارة استحقوه بسبب ما ذكر قبل اسم الإشارة، وفعل (يأكلون) مستعار لأخذ الرشا المعبر عنها بالثمن، والظاهر أنه مستعمل في زمان الحال، أي: ما يأكلون وقت كتمانهم واشترائهم إلا النار لأنه الأصل في المضارع.

والأكل مستعار للانتفاع مع الإخفاء؛ لأن الأكل انتفاع بالطعام، وتغييب له فهو خفي لا يظهر كحال الرشوة، ولما لم يكن لآكل الرشوة على كتمان الأحكام أكل نار، تَعين أن في الكلام مجازا، فقيل هو مجاز عقلي في تعلق الأكل بالنار، وليست هي له، وإنما له سببها (أعني الرشوة).[٣]

---

١ – جامع البيان (٣/ ٣٢٩).

٢ – انظر: تفسير المنار (٢/ ٨٤)، الوجيز للواحدي (١/ ١٤٥).

٣– انظر: التحرير والتنوير (٢/ ١٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية السادسة: قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** [النساء: ١٠]

أولاً: القراءات:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي (وسيَصلون) بفتح الياء، وقرأ ابن عامر: (وسيُصلون) سعيرا بضم الياء، ومثاله: **﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾** [الغاشية: ٤] بالضم أيضا، وهما لغتان، فالحجة لمن ضمّ: أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله، والحجة لمن فتح: أنه جعله فعلا لهم، ودليله قوله: **﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾** [الصافات: ١٦٣] وقال بعض اللغويين: صليته النار: شويته بها، وأصليته النار: أحرقته فيها.(١)

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري: يعني بقوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا) أي: "بغير حق (إنما يأكلون في بطونهم نارًا) يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلمًا في الدنيا، نارَ جهنم (وسيصلون) بأكلهم (سعيرًا) يقول السدي(٢) في معنى الآية قال: إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلمًا، يُبعث يوم القيامة ولهبُ النار يخرج من فيه ومن مسامعه، ومن أذنيه، وأنفه، وعينيه، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم. فتأويل الكلام إذًا: وسيصلون نارًا مسعَّرة، أي: موقودة مشتعلة شديدًا حرُّها، ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾** [التكوير: ١٢] فوصفها بأنها مسعورة". (٣)

وأكل مال اليتيم من الكبائر التي نهى عنها رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ).**(٤)

ومعنى الآية: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظلماً: ظالمين، أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم، يقال: أكل فلان في بطنه، وفي بعض بطنه، ومعنى (يأكلون نارا) أي: ما يجر إلى النار، فكأنه نارٌ في الحقيقة، أو مجازٌ بأن أطلق

---

١ – انظر: الحجة للقراء السبعة (٣/ ١٣٦)، الحجة في القراءات السبع (١/ ١٢٠).

٢ – إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. الأعلام للزركلي (١/ ٣١٧).

٣ – جامع البيان (٧/ ٢٦).

٤ – صحيح البخاري كتاب الوصايا باب قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ..." ح ٢٧٦٦ (٤/ ١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسبب وأراد السبب، وفي هذه الآية وعيد لمن يأكل أموال اليتامى ظلماً، وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله؛ لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى، فدلت هذه الآية على أن مال اليتيم قد يؤكل غير ظلم، وإلا لم يكن لهذا التخصيص فائدة، وقوله: (إنما يأكلون في بطونهم نارا) والمراد: أنّ أكل مال اليتيم جار مجرى أكل النار من حيث إنه يفضي إليه ويستلزمه، وقد يطلق اسم أحد المتلازمين على الآخر، كقوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ [الشورى:٤٠] وقيل وهذا أولى؛ لأن في الآية إشارة إلى كل واحد يأكل مال اليتيم سواء كان مسلما أو لم يكن. والأكل لا يكون إلا في البطن فما فائدة قوله: (إنما يأكلون في بطونهم نارا)؟ وجوابه: أنه كقوله: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفهم، وقال: ﴿**وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦] والقلب لا يكون إلا في الصدر، وقال: ﴿**ولا طائر يطير بجناحيه إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ [الأنعام: ٣٨] والطيران لا يكون إلا بالجناح، والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة، ولا يُقصد الأكل على إطلاقه؛ لأن المراد منه كل أنواع الإتلافات، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل، أو بطريق آخر، وإنما ذكر الأكل وأراد به كل التصرفات المتلفة.[١]

والخلاصة أنه يجب على المسلم أن يهتم باليتيم وبأمواله، وأن ينميها ويرعاه، ويكفله حتى ينال رضا الله، ويكون بجانب النبي ﷺ في الجنة كما روى سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى.[٢]

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٥]

جاءت هذه الآية بعد أن توعد الله في الآية السابقة الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فقد توعدهم بالعذاب الأليم.

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في معنى الآية: "فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة، ولا يخرجون حقوق الله منها، يا محمد بعذاب أليم (يوم يحمى عليها في نار جهنم) فـ (اليوم) من صلة

---

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٧٩)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٥٠٦)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٣/ ٥٩٤).

٢ – صحيح البخاري كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ح ٦٠٠٥ (٨/ ٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العذاب الأليم كأنه قيل: يبشرهم بعذاب أليم، يعذبهم الله به في يومٍ يُحمى عليها، أي: على الذهب والفضة التي كنزوها (في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ويقال لهم: هذا ما كنزتم في الدنيا، أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) فيقال لهم: فاطعَمُوا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوقَ الله وتكنزونها مكاثرةً ومباهاةً".[١]

وخص الجباه، والجنوب، والظهور بالكي؛ لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته، وذوى ما بين عينيه وولاه جنبيه، فإذا رآه أتى إليه من جنبه ولاه ظهره وأعرض عنه بكشحه، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ، والقلب، والكبد، أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن، ومآخيره وجنباه، أو لأنها هي أشرف أعضائهم؛ لأنها مجمع الوجوه، والرؤوس، وموضع الجاه الذي يجمع المال لأجله لتعبيسهم بها في وجوه الفقراء، وقوله: (وجنوبهم) التي يحوونه لملئها بالمآكل المشتهاة، والمشارب المستلذة، ولانصرافهم عن الفقراء، وقوله: (وظهورهم) التي يحوونه لتقويتها، وتحميلها بالملابس وتجليتها، ولتوليتهم إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء في مكان، وقال بعض الصحابة: هذه الآية في أهل الكتاب، وقال الأكثرون: هي عامة في أهل الكتاب والمسلمين.[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

ومعنى الإحماء الإيقاد: أي: يوقد عليها فتكوى، والكي: أن يوضع على الجلد جمر أو شيء مشتعل، والكي: إلصاق الحار من الحديد والنار بالعضو حتى يحترق الجلد.

والجباه: جمع جبهة وهي أعلى الوجه مما يلي الرأس، وهو مستوى ما بين الحاجب إلى الناصية، وجبهت فلانا بكذا، أي: استقبلته به وضربت جبهته.

والجنوب: جمع جنب وهو جانب الجسد من اليمين واليسار، والظهور: جمع ظهر وهو ما بين العنفقة[٣] إلى منتهى فقار العظم، والمعنى: تعميم جهات الأجساد بالكي فإن تلك الجهات متفاوتة ومختلفة في الإحساس بألم الكي، فيحصل مع تعميم الكي إذاقة لأصناف من

---

١ – جامع البيان (١٤/ ٢٢٩– ٢٣٠).

٢– انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٣٤٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٨٠)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٦٧٧) ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٤٤٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٦٣).

٣ – (العنفقة) شعيرات بَين الشّفة السُّفْلى والذقن لخفة شعرهَا (ج) عنافق. المعجم الوسيط (٢/ ٦٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآلام، والكي في الوجه أشهر وأشنع، وفي الجنب والظهر آلم وأوجع، فلذلك خصها بالذكر من بين سائر الأعضاء.[١]

وبين النبي ﷺ خطورة من يموت ويكنز صفائحه ولا ينفقها في سبيل الله، بأنها ستحمى عليه يوم القيامة، فعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **(مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ)**.[٢]

والخلاصة: أن من أعظم الجرائم الاجتماعية أكل أموال الناس بالباطل، كالرشاوى والغصوبات، وخيانة الأمانات، والصدّ عن دين الله الحق المتمثل في القرآن، واكتناز المال أو ادخاره، وحبسه من غير إنفاق ولا أداء زكاة عنه، وقد بينت الآية عقوبة من يكنز المال ولا ينفق منه في سبيل الله وهي عقوبة شديدة.

الآية الثامنة: قال تعالى: **﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾** [الأنعام: ٣١]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري في تفسير الآية: (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) "قد هلك ووُكس في بيعهم الإيمان (الذين كذبوا بلقاء الله) أي: الذين أنكروا البعثَ بعد الممات، والثواب والعقابَ، والجنةَ والنارَ، من مشركي قريش ومَنْ سلك سبيلهم في ذلك (حتى إذا جاءَتهم الساعة) أي: حتى إذا جاءتهم السَّاعة التي يَبْعثُ الله فيها الموتى من قبورهم".[٣]

ومعني قوله تعالى: (بغتة) فجأةً من غير علم، ويقال منه:"بغتُّه أبغته بَغْتةً"، إذا أخذته كذلك. وقوله تعالى: (قالوا يا حَسْرتَنا على ما فرّطنا فيها) وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسرون والمُتَحَسَّرُ عليهم، بخلاف قول القائل: يا حسرة، فإنه في الغالب تحسر لأجل غيره فهو يتحسر لحال غيره، و(الحسرة): الندم الشديد، وهو التلهف، وهي فعلة من حسر يحسر حسرا، من باب فرح، ويقال: تحسر تحسرا.[٤]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٧٩)، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٢٩).

٢ – صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ح ٩٨٧ (٢/ ٦٨٠).

٣ – جامع البيان (٣٢٥/١١).

٤– انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٩٠– ١٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) ذكر الطبري: أي: وهؤلاء الذين كذَّبوا بلقاء الله (يحملون أوزارهم على ظهورهم) أي: آثامهم وذنوبهم.

ثانياً: المعنى اللغوي:

أوزار: واحدها (وِزْر) يقال منه: وَزَر الرجل يزِر إذا أثم، وقوله: (ألا ساء ما يزرون) فإن أريد أنهم أُثِّموا، قيل: (قد وُزِر القوم فهم يُوزَرُون، وهم موزورون).

وخص تعالى: (على ظهورهم)؛ لأن الحمل قد يكون على الرأس، والمنكِب، والكاهل، وغير ذلك، فبيَّن موضع حملهم ما يحملون منْ ذلك[1] وذكر أنّ حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم، وهذا كما في قوله: ﴿**فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ**﴾ [الأنعام: ٧]؛ لأن اليد أقوى في الإدراك اللمسي من غيرها.

وذكر (على ظهورهم) هنا مبالغة في تمثيل الحالة، كقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠] فذكر الأيدي؛ لأن الكسب يكون باليد، فهو يشبه تخييل الاستعارة ولكنه لا يتأتى التخييل في التمثيلية؛ لأن ما يذكر فيها صالح لاعتباره من جملة الهيئة، فإن الحمل على الظهر مؤذن بنهاية ثقل المحمول على الحامل.[2]

وعن عمرو بن قيس الملائي[3] قال: (إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبُه ريحًا، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد طيَّب ريحك وحسَّن صورتك! فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم! وتلا ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾ [مريم: ٨٥] وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنُه ريحًا، فيقول، هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد قَبّح صورتك وأنتن ريحك! فيقول: كذلك كنتُ في الدنيا، أنا عملك السيئ، طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك وتلا (وهم يحملون أوزارهم على ظُهورهم ألا ساء ما يزرون)[4]

ويقول الرازي: "اعلم أن المقصود من هذه الآية شرح حالة أخرى من أحوال منكري البعث والقيامة وهي أمران: أحدهما: حصول الخسران، والثاني: حمل الأوزار العظيمة. وهذا

١- انظر: جامع البيان (٣٢٧/١١).

٢ - انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٩٢).

٣ - هو عمرو بن قيس الملائي كوفي ثقةٌ وزاهدٌ وحافظٌ، توفي سنة ست وأربعين ومائة. انظر: إكمال تهذيب الكمال (١٠/ ٢٤٨).

٤ - انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ١٤٤)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤/ ٥٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخسران إنما يحصل لمن كان منكرا للبعث والقيامة، وكان يعتقد أن منتهى السعادات ونهاية الكمالات، هو هذه السعادات العاجلة الفانية.

والمراد (بالساعة) القيامة، وفي تسمية يوم القيامة بهذا الاسم إما؛ لأن يوم القيامة يسمى الساعة؛ لسرعة الحساب فيه كأنه قيل: ما هي إلا ساعة الحساب، أو الساعة هي الوقت الذي تقوم القيامة فيه وسميت ساعة؛ لأنها تفاجئ الناس في ساعة لا يعلمها أحد إلا الله تعالى".[1]

والخلاصة: أنهم ينادون الحسرة التي أحاطت بهم أسبابها وهم في أسوأ حال بما يحملون من أوزارهم على ظهورهم، وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم؛ ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسرون والمتحسر عليهم؛ لأنهم اختاروا الكفر على الإيمان.

المطلب الرابع: الرؤوس، والنواصي، والوجوه، والخرطوم.

لقد كرم الله الإنسان، ومن كرم أعضاءه التي خصها الله بالتكريم الوجه والأنف، وحيث إن هذا الكافر نتيجة كفره بالله، واستهزائه بدينه عاقبه الله، وكان من ضمن الأعضاء التي خصها الله في العذاب الوجوه والأنوف لما يظهر لها في النفس من سرور أو غم، وقد تضمن القرآن الكريم أكثر من آية تحدثت عن هذا الموضوع، منها.

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾** [الدخان: ٤٧، ٤٨]

أولاً: سبب النزول:

عَنْ عِكْرِمَة ﷺ قَالَ: (لقي النبيُّ ﷺ أَبَا جَهْلٍ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي أَمْنَعُ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ، وَأَنَا الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ. قَالَ: فَقَتَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَذَلَّهُ وَعَيَّرَهُ بِكَلِمَتِهِ، وَنَزَلَ فِيهِ: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ).[2]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (خُذُوهُ) يعني هذا الأثيم بربه، الذي أخبر جلّ ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام، وقوله: (فاعْتِلُوهُ): فادفعوه وسوقوه، يقال منه: عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالدفع والجذب؛ والعتل: السّوق بعنف وإهانة ودفع قوي متصل.

والسواء: الوسط، وفي الآية ما يقتضي أن الكافر يصب على رأسه من حميم جهنم. وقوله: (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) إلى وسط الجحيم، ومعنى الكلام: يقال يوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه

---

١ – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٥١٢).

٢ – انظر: أسباب النزول للواحدي (١/ ٣٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دفعا في ظهره، وسحبا إلى وسط النار.[١] والصب: إفراغ الشيء المظروف من الظرف وفعل الصب لا يتعدى إلى العذاب؛ لأن العذاب أمر معنوي لا يصب، فالصب مستعار للتقوية والإسراع، فهو تمثيلية اقتضاها ترويع الأثيم حين سمعها، فلما كان المحكي هنا القول الذي يسمعه الأثيم صيغ بطريقة التمثيلية تهويلا، بخلاف قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩] الذي هو إخبار عنهم في زمن هم غير سامعيه، فلم يؤت بمثل هذه الاستعارة إذ لا مقتضى لها.[٢]

وقوله (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) أي: ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، أي: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء، أي: أنه يثقب وسط رأس أبي جهل ويصب فيه الحميم، فتخرج أمعاؤه من أسفله. وقال مقاتل: إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره.[٣]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]

وقوله: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أي: يُعرف الكفّار بسود الوجوه وزرقة العيون، فتعرفهم الملائكة فيُأخذون بنواصيهم، ويُجرّون مرة بها ومرة بأقدامهم ثم يُلقون في النار، ويقال: يجمع بين نواصيهم وأقدامهم ويشد، ثم يلقى في النار [٤]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ذكر الطبري في معنى الآية: إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذّبونك ويجحَدون نبوّتك، ليوم تشخص فيه الأبصار، يقول: إنما يؤخِّر عقابهم وإنزال العذاب بهم، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق، وذلك يوم القيامة. وعن قتادة: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] شخصت فيه والله أبصارهم، فلا ترتدّ إليهم، (مُهْطِعِينَ) قيل معناه: مسرعين، وقيل:

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٢/ ٤٧)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٧٧)، النكت والعيون (٥/ ٢٥٧)، تفسير غريب القرآن – الكواري (٤٤/ ٤٧)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٢٠٢٦).

٢ – انظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٣١٦)

٣ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ٥٢)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ١٨٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٦٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ١٢٠).

٤ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ٣٣٨)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢١٢)، تفسير الجلالين (١/ ٧١١)، لطائف الإشارات (٣/ ٥١١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٤٥١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٤٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منطلقين عامدين إلى الداعي، وقيل: مديمي النظر، وعن الضحاك[1] (مُهْطِعِينَ) قال: شدة النظر الذي لا يطرف، وقال آخرون: لا يرفع رأسه. [2]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقيل: يعني بالإهطاع: النظر من غير أن يطرف، وقيل: إن إقناع الرأس نكسه وقيل: يقال أقنع إذا رفع رأسه، وأقنع: إذا طأطأ ذلة وخضوعا، وقوله:(لا يرتد إليهم طرفهم) أي: لا ترجع إليهم أبصارهم، وأصل الطرف: تحريك الأجفان وسميت العين طرفا؛ لأنه يكون بها.

وقوله: (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) انتزعت حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم، ولا تعود إلى أمكنتها، والمعنى: أن قلوبهم خالية عن العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع، والحيرة، والدهش، وجعلها نفس الهوى مبالغة، ومنه قيل للأحمق والجبان قلبه هواء، أي: لا رأي فيه ولا قوة، وقيل: معنى الآية: أنها خرجت قلوبهم عن مواضعها فصارت في الحناجر، ومما يقارب معنى هذه الآية قوله تعالى: **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾** [القصص: ١٠] أي: خاليا من كل شيء إلا من هَمِ موسى، وأولى هذه الأقوال عند الطبري: أنها خالية ليس فيها شيء من الخير، ولا تعقل شيئا، وذلك أن العرب تسمي كلّ أجوف خاو: هواء[3]

وقال السدي: هوت أَفْئِدَتُهُمْ بين موضعها وبين الحنجرة، فلم ترجع إلى موضعها، ولم تخرج كقوله: **﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾** [غافر: ١٨] وهكذا قال مقاتل، وقال أبو عبيدة: هَواءٌ أي مجوفة لا عقول فيها.[4]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾** [الكهف: ٢٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) أي: فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم

---

١ – الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر. كان يؤدب الأطفال.ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم، على حمار! وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم) . له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان. الأعلام للزركلي (٣/ ٢١٥)

٢ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩– ٣٥).

٣ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٢٩– ٣٥)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٤٤)، اللباب في علوم الكتاب (١١/ ٤٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣٨)، القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥١٥).

٤ – انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته، (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) أي: إنا أعددنا، وهو من العُدّة، وقوله: (للظالمين) الذين كفروا بربهم (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) أي: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين بربهم، وقيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط[1]، وقيل: هي حائط من نار، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **(بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قَالَ: (كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ، وَلَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غِسْلِينَ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ بِأَهْلِ الدُّنْيَا)**[2]

وقوله: (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) أي: وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدّة ما بهم من العطش، فيطلبونَ الماء يُغاثوا بماء كالمُهْل.

ثانياً: المعنى اللغوي:

و(المهل) هو كلّ شيء أذيب وانماع، وقيل: القيح والدم، وقيل: ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود، وقيل: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت، وقال آخرون: هو الشيء الذي قد انتهى حرّه.[3] وهذه الأقوال كما يقول الطبري وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعنى.

وقوله: (بِئْسَ الشَّرَابُ) أي: بئس الشراب، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم، الذي صفته ما وصف في هذه الآية، وقوله: (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) أي: وساءت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا، والمرتفق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتفقت إذا اتكأت، وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقا، وكان مجاهد يتأول قوله: (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) يعني المجتمع.[4]

١- بَيت يتَّخذ من الشّعْر ومدينة مصر العتيقة الَّتِي بناها عَمْرو بن الْعَاصِ فِي مَوضِع فسطاطه وَالْجَمَاعَة من النَّاس (ج) فساطيط. المعجم الوسيط (٢/ ٦٨٨).

٢ – المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، تفسير سورة الحاقة، ح ٣٨٥٠ (٢/ ٥٤٤) قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٣- انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٩٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٨٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٥٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٦٥)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ٥٢٢)، التفسير المنير للزحيلي (١٥/ ٢٣٩).

٤ – انظر: جامع البيان (١٨/ ١٣- ١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (يشوي الوجوه) إذا قَدِمَ ليشرب انشوى الوجه لحرارته فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار.[1]

والخلاصة أن الله في غنى عن متابعتهم، وأنه لا يبالى بهم ولا بإيمانهم، وأمرُ ذلك إليهم، وبيد الله التوفيق والخذلان، والهوى والضلال، وهو لا ينتفع بإيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين كما قال: ﴿**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**﴾ [الإسراء: ٧]

والله توعد كل من ظلم نفسه وأنف من قبول الحق، ولم يؤمن بما جاء به الرسول، نارا يحيط بهم لهيبها المستعرة من كل جانب، كما يحيط السرادق بمن حلَّ فيه، فلا مخلص منه، ولا ملجأ إلى غيره، ولن تنفع استغاثة هؤلاء الظالمين يوم القيامة وهم في النار، فيطلبون الماء لشدة ما هم فيه من العطش لحر جهنم فيؤتى لهم بماء غليظ كدرديّ الزيت، وإذا قرب إليهم للشرب سقطت جلود وجوههم ونضجت من شدة حره، فالوجه أشد الأعضاء تألما من حر النار قال تعالى: ﴿ **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ [المؤمنون: ١٠٤] نسأل الله أن يعافينا منها.

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ* كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ**﴾ [القيامة: ٢٤-٢٦]

وقوله: (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) أي: ووجوه يومئذ متغيرة الألوان، مسودة كالحة، كاشرة، عابسة، يقال: بسرت وجهه أبسره بسرًا: إذا فعلت ذلك، وبسر وجهه فهو باسر بيِّن البسور، والبسور أشد العبوس، والباسر: الشديد العبوس والباسل أشد منه، ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه، والمعنى: أنها عابسة كالحة قد أظلمت ألوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها، لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله، ولما سودها الله حين ميز الله أهل الجنة والنار، ومنه قوله: ﴿ **ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**﴾ [المدثر: ٢٢] وقوله: (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) أي: تعلم أنه يفعل بها داهية، والفاقرة: الداهية وتظن أنها ستدخل النار، وقيل: تلك الفاقرة، وأصل الفاقرة: الوسم الذي يُفْقَر به على الأنف، وقيل: هي قاصمة الظهر.[2]

والظن هاهنا بمعنى اليقين، وذكره هاهنا على سبيل التهكم كأنه قيل: إذا شاهدوا تلك الأحوال، حصل فيهم ظن أنّ القيامة حق، أو بمعنى اليقين.

١- انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٢٠).

٢- انظر: جامع البيان (٢٤/ ٧٣)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٨٨)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٧٣٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٦٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وإنما ذكر تعالى الوجوه؛ لأنه فيها يظهر ما في النفس من سرور أو غم، والمراد أصحاب الوجوه."[١] "وأما الوجوه الباسرة فنوع ثان من وجوه الناس يومئذ هي وجوه أهل الشقاء، وأعيد لفظ يومئذ تأكيدا للاهتمام بالتذكير بذلك اليوم."[٢]

وقوله: (كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ) ويعني النفس كناية عن غير مذكور، والتراقي[٣]: العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال، والتراقي جمع ترقوة وهو عظام أعلى الصدر.[٤]

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ [القلم: ١٦]

التفسير الإجمالي:

وقوله: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) أي: سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وسمة ثابتة فيه ما عاش، ومعناه: شَيْن لا يفارقه آخر ما عليه، وقيل: سيمَى على أنفه، سنكويه. وقيل: أي: سنسمه سِمَة أهل النار: أي: سنسوِّد وجهه.

والراجح كما يقول الطبري: "سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفي السمة على الخرطوم، وإن كان الخرطوم خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤديّ عن بعض، والعرب تقول: والله لأسمنك وسما."[٥]

والوجه: أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولهذا قيل: الجمال في الأنف ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة، وقالوا الأنف في الأنف، وحمى أنفه، وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورَغِمَ أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإذلال، فكيف بها على أكرم موضع منه.[٦]

"والضرب، والوسم، ونحوهما على الأنف كناية عن قوة التمكن، وتمام الغلبة، وعجز صاحب الأنف عن المقاومة؛ لأن الأنف أبرز ما في الوجه، وهو مجرى النفس، ولذلك غلب ذكر الأنف في التعبير عن إظهار العزة في قولهم: شمخ بأنفه، وهو أشم الأنف، وهم شم

---

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٥).

٢– التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٥٦).

٣ – (الترقوة) عَظمَة مشرفة بَين ثغرة النَّحْر والعاتق وهما ترقوتان (ج) تراق وَبَلغت الرّوح التراقي كِنَايَة عَن مشارفة الْمَوْت. المعجم الوسيط (١/ ٨٤)

٤ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣٤)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٦٨).

٥ – جامع البيان (٢٣/ ٥٤١).

٦ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرانين، وعبر عن ظهور الذلة والاستكانة بكسر الأنف، وجدعه، ووقوعه في التراب في قولهم: رغم أنفه، وعلى رغم أنفه".[١]

والخرطوم: الأنف وهو هنا عبارة عن الوجه كله من باب التعبير عن الكل بالجزء؛ لأنه أظهر ما فيه وأعلاه، وفى التعبير بلفظ (الخرطوم) استخفاف به؛ لأنه لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير، وفي استعمال أعضاء الحيوان للإنسان كالمشفر للشفة، والظّلف للقدم دلالة على التحقير.[٢] والْخُرْطُومِ يُستعار في أنف الإنسان، وحقيقته في مخاطم السباع، ولم يقع التوعد في هذه الآية بأن يوسم هذا الإنسان على أنفه بسمة حقيقة، بل هذه عبارة عن فعل يشبه الوسم على الأنف بمعنى: أن ذلك سيكون في عذاب الآخرة في جهنم، وهو تعذيب بنار على أنوفهم، فيوسم على أنفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره، وهذا من باب الذم له والمقت والإشهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به.[٣]

الآية السابعة: قال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى الآية أي: والله يعلم إسرار هؤلاء المنافقين، فكيف لا يعلم حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وأدبارهم، أي: فحالهم أيضا لا يخفى عليه في ذلك الوقت ويعني بـ (الأدبار) الأعجاز، وكل ما تفعله الملائكة بهؤلاء المنافقين؛ من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط الله، فأغضبه عليهم من طاعة الشيطان، وكرهوا ما يرضيه عنهم من قتال الكفار به، بعد ما افترضه عليهم، فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه؛ لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت، ولم تنفع عاملها.[٤]

و(الْمَلائِكَةُ) أي: ملك الموت ومَنْ معه، والضمير في (يَضْرِبُونَ) لِلْمَلائِكَةُ أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعصت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف، والقهر، والضرب، كما قال: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الأنفال: ٥٠] وقال: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي**

١ – التحرير والتنوير (٢٩/ ٧٨).

٢ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٤٠٨)، تفسير المراغي (٢٩/ ٣٣).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٤٨).

٤ – انظر: جامع البيان (٢٢/ ١٨٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: بالضرب ولهذا قال ها هنا: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾** [محمد: ٢٨] [١]

ثانياً: الإعراب:

وقوله: (فكيف) إما خبر مقدم أي: فكيف علمه بإسرارهم إذا توفتهم؟ وإما منصوب بفعل محذوف أي: فكيف يصنعون؟ وإما خبر لـ (كان) مقدرة أي: فكيف يكونون؟ والظرف معمول لذلك المقدر، وقوله: (يضربون) حال: إما من الفاعل، وهو الأظهر، أو من المفعول والمقصود من هذه الحال: وعيدهم بهذه الميتة الفظيعة التي قدرها الله لهم، وجعل الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم، أي: يضربون وجوههم التي وقوها من ضرب السيف.[٢]

وقوله: (وجوههم) اختص الوجه؛ لأنه هو أشرف جوارحهم التي جبنوا عن الحرب صيانة لها عن ضرب الكفار، ولما كان حالهم في جبنه مقتضياً لضرب الأقفاء، صَوَرَه بأشنع صُوَرِه فقال: (وأدبارهم) التي ضربها أدل ما يكون على هوان المضروب وسفالته، ثم تتصل بعد ذلك آلامهم وعذابه وهوانهم إلى ما لا آخر له.[٣]

والخلاصة من هذا الفصل أن الله سيحاسب كل الكفار، والعصاة، والمنافقين، والمتغطرسين، ومانعي الزكاة، وغيرهم يوم القيامة، ويكون ذلك العذاب في مواطن حساسة من الجسم كالظهور، والوجوه، والأنوف، والبطون، والجلود وغيرها ليعلموا أنه لن يُفلت الظالمون من عذاب الله- والله أعلم-.

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٣٢١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٨٢)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٢٠).

٢- انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٧٠٣)، التحرير والتنوير (٢٦/ ١١٨).

٣ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٨/ ٢٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة اللّه، والعبادة، والطمأنينة.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله في خلقه.

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في العبادة، والطاعة.

المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في الطمأنينة، والبشرى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة اللّه في خلقه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: البطون، والصدور.

المطلب الثاني: الألسنة.

المطلب الثالث: العظام، والبنان.

المطلب الرابع: الأعناق، والحلاقيم، والأوردة، والظهور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله في خلقه.

المطلب الأول: البطون، والصدور.

من نعم الله على الإنسان أنه خلقه في بطن أمه، وتكفل برعايته مدة تسعة أشهر، وسخر له من الراحة والطعام والشراب ما يساعده على بناء جسمه في هذه الفترة، وهو لا يملك حولاً ولا قوةً، والآيات الآتية تبين قدرة الله تعالى على رعاية الجنين في بطن أمه:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** [النجم: ٣٢]

أولاً: المعنى اللغوي:

واختلف العلماء في القول بـ (إلا اللمم) قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: (إلا) بمعنى الاستثناء المنقطع، ووجّه معنى الكلام إلى (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلا اللَّمَمَ) بما دون كبائر الإثم، ودون الفواحش الموجبة للحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فإن ذلك معفوّ لهم عنه، وذلك كقوله تعالى: **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَرِيمًا﴾** [النساء: ٣١] فوعد جلّ ثناؤه باجتناب الكبائر، العفو عما دونها من السيئات، وهو اللمم".[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ) أي: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم.[٢]

وقوله: (وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) والأجنة: جمع جنين، وهو الولد ما دام في البطن، سمّي جنينا لاجتنانه أي استتاره في البطن، وفائدة قوله تعالى: (في بطون أمهاتكم) للتنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة، ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد.

وقوله: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) قال ابن عباس: لا تمدحوها، وقال الحسن: فلا تبرؤوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها، وقال الكلبي ومقاتل: كان الناس

---

١ – جامع البيان (٢٢/ ٥٣٤–٥٣٩).

٢ – انظر: المرجع السابق (٢٢/ ٥٣٤–٥٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا، فالله تعالى هو أعلم بمن اتقى، أي: بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.[١]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾** [الإسراء: ٥١]

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) وجائز أن يكون عنى به الموت؛ لأنه عظيم في صدور بني آدم؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض، وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه؛ لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء."[٢]

وأما قوله: (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) أي: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة (مَنْ يُعِيدُنا) خلقا جديدا، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدكم (الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسا أحياء، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أوّل مرّة، أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا، ثم صرتم بشرا تنتشرون؛ فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال كقوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** [الروم: ٢٧].

وقوله: (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض، وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم[٣] نَغْضا؛ لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، وعن ابن عباس ﷺ (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) قال: (يحرّكون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو).[٤]

---

١ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ٣١٢)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ١٥٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٢٧١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٣٩٤)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ١٠١).

٢ – جامع البيان (١٧/ ٤٦٥).

٣ – (الظليم) ذكر النعام (جمعه) ظلمان. المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٧).

٤– انظر: جامع البيان (١٧/ ٤٦٥– ٤٦٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾** [الزمر: ٦]

وقوله تعالى: (خَلَقَكُمْ) أيها الناس (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يعني من آدم (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضِلَع من أضلاعه.

والراجح في قوله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أنه يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم يكسو العظام لحما، ثم يُنْشئه خلقا آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقا بعد خلق؛ لأن الله أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث، ولم يخبر أنه يخلقنا فى بطون أمهاتنا من بعد خلقنا في ظهر آدم، وذلك نحو قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** [المؤمنون: ١٢-١٤] والتعبير بصيغة الماضي لإفادة تجدد الخلق وتكرره مع استحضار صورة هذا التطور العجيب استحضارا بالوجه والإجمال الحاصل للأذهان على حسب اختلاف مراتب إدراكها، ويعلم تفصيله علماء الطب والعلوم الطبيعية وقد بينه الحديث عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: **قال: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ)**[1]

وقوله: (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) أي: في ظلمة البطْن، وظلمة الرّحِم، وظُلْمة المَشِيمَة، وهي غشاء من جلد يخلق مع الجنين محيطا به ليقيه، وليكون به استقلاله مما ينجر إليه من الأغذية في دورته الدموية الخاصة به دون أمه، وفي ذكر هذه الظلمات تنبيه على إحاطة علم الله تعالى بالأشياء ونفوذ قدرته إليها في أشد ما تكون فيه من الخفاء[2] وقد تضمنت الآية دلائل على عظم القدرة في خلق الناس من ذكر وأنثى وقوله: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) أي: هذا الذي فعل هذه

١ – صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح ٣٢٠٨ (٤/ ١١١).
٢ – التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعا، ولا يدفع عنها ضرّا، ولا يسوق إليكم خيرا، ولا يدفع عنكم سوءا من أوثانكم وآلهتكم.[١]

وقوله: (لَهُ الْمُلْكُ) يقول جلّ وعزّ: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقُدرته ما بين لكم المُلك، ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره، فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهما شيئا دون شيء، فإنما له خاص من الملك، وأما المُلك التام الذي هو المُلك بالإطلاق فلله الواحد القهار، وهذه الآيات كلها هي معتبر وتنبيه لهم على الخالق الصانع الذي لا يستحق العبادة غيره، وهذا كله في رد أمر الأصنام والإفساد لها، ثم قال تعالى لهم: (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) وقد قامت على ذلك البراهين واتسقت الأدلة (فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) أي: من أي جهة تضلون وبأي سبب؟[٢]

وقوله: (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) فإطلاق الإنزال هنا بمعنى التذليل والتمكين على نحو قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾** [الحديد: ٢٥] أي: سخرناه للناس فألهمناهم إلى أن يتخذونه سيوفا، ودروعا، ورماحا، وعتادا مع شدته وصلابته، ويجوز أن يكون إنزال الأنعام إنزالها الحقيقي، أي: إنزال أصولها من سفينة نوح كقوله تعالى: **﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾** [هود: ٤٠] فيكون الإنزال هو الإهباط قال تعالى: **﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾** [هود: ٤٨] فهذان وجهان حسنان لإطلاق الإنزال، وهما أحسن من تأويل المفسرين إنزال الأنعام بمعنى الخلق، أي: لأن خلقها بأمر التكوين الذي ينزل من حضرة القدس إلى الملائكة.

وخص (الأنعام) بالذكر مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها؛ لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، ولاختصاصها بأشياء لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدي، والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالدية.[٣]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [النحل: ٧٨]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري في معنى الآية: "والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئا ولا تعلمون، فرزقكم عقولا تفقهون بها، وتميزون بها

١ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٢٥٩).
٢ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٠).
٣ – انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٣٢)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخير من الشرّ، وبصَّركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم، والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص، فتتعارفون بها وتميزون بها بعضا من بعض، (وَالأفْئِدَةَ) أي: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء، فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها، (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي: فعلنا ذلك بكم فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك".[١]

"ورزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات، والأفئدة – وهي العقول– التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده.

وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان؛ ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه"[٢] فقد روى أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)** [٣]

فمعنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل، فلا يسمع إلا الله، ولا يبصر إلا الله، أي: ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل، مستعينا بالله في ذلك كله؛ ولهذا جاء في روايةٍ أخرى بعد قوله: (ورجله التي يمشي بها: "فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)؛ ولهذا قال تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) كما قال تعالى في الآية الأخرى: **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الملك: ٢٣، ٢٤]

---

١ – جامع البيان (١٧/ ٢٦٥).

٢ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٥٩٠).

٣ – صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع، ح ٦٥٠٢ (٨/ ١٠٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة)؛ لأن الله تعالى جعل العبادة، والسمع، والأبصار، والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وأعطاهم العلم، والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم، أَيْ: خلق لكم الحواسَّ التي بها تعلمون وتقفون على ما يجهلون، فالله أعطاهم هذه الحواس ليستفيدوا بها المعارف والعلوم، ولكي يشكروا النعمة.

وخص هذه الأعضاء الثلاثة؛ لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء، والقوى الظاهرة، والباطنة هي من الله وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة. [1]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والأفئدة: جمع فؤاد، وهو وسط القلب، منزل منه بمنزلة القلب من الصدر، وقد قُدم السمع على الأبصار والأفئدة، لكونه مصدرا في الأصل يتناول القليل والكثير لعلكم تشكرون، أو إما كان تقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقي الوحي أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر كقوله تعالى: ﴿**أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ**﴾ [يونس: ٣١] وكقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ**﴾ [الأنعام: ٤٦].[2]

ويرى الباحث أن من مظاهر قدرته تعالى: الخلق والإبداع، فالله أخرج الناس من بطون أمهاتهم، لا يعلمون شيئا، وخلق لهم طرق العلم وسبل الإدراك، وهي السمع، والبصر، والفؤاد، لمعرفة أحوال البيئة التي يعيشون فيها، وجعل الله العقل للإنسان مفتاح الفهم، وتمييز الخير من الشر، والنفع من الضرر، والله أمدكم أيها الناس بهذه النعم؛ لتشكروا نعم الله عليكم، باستعمال كل عضو فيما خلق من أجله، ولتتمكنوا من عبادة ربكم، وتطيعوه فيما أمركم، وليس الشكر مجرد تردد التعبير باللسان، وإنما امتثال لحكم الله وأمره.

والآية تبين أن (بُطُونِ الأُمَّهاتِ) هي مولد كل عالم وكل باحث، ومخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً! وما كسبه بعد ذلك من علم هبة من الله بالقدر الذي أراده للبشر، وجعل فيه كفاية

---

١ – انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ٣٣)، الوجيز للواحدي (١/ ٦١٤)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٩٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٢٥٠)، بحر العلوم (٢/ ٢٨٤)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٤٥).

٢ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٣٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢١٩)، التحرير والتنوير (١٤/ ٢٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حياتهم على هذا الكوكب، في المحيط المكشوف لهم من هذا الوجود، فالإنسان حين يولد لم يكن له علم بشيء ثم تأخذ حواسه تنقل الأشياء تدريجا، فجعل الله فيه آلات الإدراك وأصول التفكر، وأصل (الأمهات) أمات، فزيدت الهاء للتأكيد كما زادوها في أهرقت الماء وأصله أرقت، (والبطن) ما بين ضلوع الصدر إلى العانة، وفيه الأمعاء، والمعدة، والكبد، والرحم.[١]

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [النور: ٤٥]

أولاً: القراءات:

قوله: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ) قرأ حمزة والكسائي: (والله خالق كل دابة) بألف، وقرأ الباقون: خلق كل دابة بغير ألف. وحجّة من قرأ: (خالق) قوله: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** [الزمر: ٦٢] وقوله: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾** [الأنعام: ١٠٢]، ومن قرأ: (خلق) فلأنّه فعل ذلك فيما مضى، وحجّته قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾** [إبراهيم: ١٩]

وقوله: **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾** [الفرقان:٢]".[٢] وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.[٣]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ) أي: من نطفة، وقوله: (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ) كالحيات وما أشبهها، والمشي لا يكون على البطن؛ لأن المشي إنما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ما له قوائم ما لا قوائم له جاز، كما قال: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ) كالطير، (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ) كالبهائم.

فإن قيل: كيف يتصور المشيء على البطن؟ والجواب: أن المراد منه السير، والسير عام في القوائم وعلى البطن، وقوله: (ومنهم من يمشي على رجلين) أي: مثل بني آدم والطير، فإن قيل: أيسمى الطير دابة؟ قلنا: بلى؛ لأن كل ما يدب على الأرض فهو دابة.

وعلى القراءة المعروفة فإنما لم يزد على الأربع؛ لأن القوائم وإن زادت فاعتماد الحيوان على جهاته الأربعة، فكأنها تمشي على أربعة، ويقال: إنها وإن مشيت على أكثر من الأربع فهي في الصورة كأنها تمشي على أربع، فإن قيل: قال: (ومنهم من يمشي) وكلمة (من) لمن

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٤/ ٢٣٢).

٢– انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٢٦).

٣ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعقل ليس لما لا يعقل، والجواب عنه: أنه إنما ذكر بكلمة (من)؛ لأن الكلام إذا جمع من يعقل، ومن لا يعقل غلب من يعقل على ما لا يعقل.[١]

وقوله: (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) يقول: يحدث الله ما يشاء من الخلق (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول: إن الله على إحداث ذلك وخلقه، وخلق ما يشاء من الأشياء غيره، ذو قدرة لا يتعذّر عليه شيء أراد.[٢]

وأحسن كلام يقال في هذا الموضع قوله سبحانه: (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)؛ لأنه هو القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات، فأي عقل يقف عليها وأي خاطر يصل إلى ذرة من أسرارها، بل هو الذي يخلق ما يشاء ولا يمنعه منه مانع ولا دافع.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم نكر الماء في قوله من ماء؟ قلت: لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة، فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس. فإن قلت: لم سمى الزحف على البطن مشيا؟ قلت: على سبيل الاستعارة، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، ويقال: فلان لا يتمشى له أمر".[٣]

واكتفى الله بذكر ما يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ عن ذكر ما يمشي على الأكثر؛ لأن جميع الحيوان إنما اعتماده على أربع وهي قوام مشيه، وكثرة الأرجل في بعضه زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه إلى جميعها.[٤]

المطلب الثاني: الألسنة، والتراقي، والسيقان، والعيون.

من أفضل النعم التي أنعمها الله على الإنسان الألسن والعيون، فبدون اللسان لا يستطيع الإنسان أن يعبر عما يجول في خاطره، وعما يريده من قضاء حوائجه، فكانت نعمة اللسان من أفضل النعم، إضافة لذلك نعمة العين فهي من أغلي النعم على الفرد، فبدونها لا يستطيع الفرد أن يبصر الأشياء، ولا يستدل على الطريق، ولا يستطيع أن يتأمل في مخلوقات الله، وقد ذكر القرآن أكثر من آيةٍ في القرآن الكريم تتحدث عن الألسنة والعيون، ومن هذه الآيات:

---

١ – انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٥٤٠)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٤٢٣).

٢ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٠٤).

٣ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٤٦)، وانظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٠٧)، التحرير والتنوير (١٨/ ٢٦٦).

٤ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾** [القيامة: ١٦]

أولاً: سَبَبُ النُّزُولِ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) قَالَ: فَكَانَ يُحَرِّكُ بِهِ شَفَتَيْهِ، وَحَرَّكَ سُفْيَانُ شَفَتَيْهِ)**[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

ويقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: لا تحرّك يا محمد بالقرآن لسانك لتعجل به، واختلفوا في السبب الذي من أجله قيل له: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) فقال بعضهم: قيل له ذلك؛ لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنَّا سَنحفظُه عليك، وكان يحرّك شفتيه ليحفظه، فأنزل الله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ).

والراجح كما يقول الطبري: "وأشبه القولين بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، القول الذي ذُكر عن ابن عباسﷺ ، وذلك أن قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) (ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلا فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك)."[٢]

والواضح من المعنى: (لا تحرك به لسانك) أي: بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به، لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك، وكأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما نرى بعض الحراص على العلم، ونحوه.

واختلف المتأولون في السبب الموجب أن يؤمر رسول الله ﷺ هذا الأمر، فكان رسول الله ﷺ لحرصه على أداء الرسالة والاجتهاد في ذات الله تعالى، ربما أراد النطق ببعض ما أوحي إليه قبل كمال إيراد الوحي فأُمر، ونظير هذه الآية: **﴿وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآن مِن قَبْلِ إَن يُقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾** [طه: ١١٤] وقيل: كان سببها أن رسول الله ﷺ كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشق، فنزلت الآية في ذلك.[٣]

١- سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة القيامة، ح ٣٣٢٩ (٥/ ٢٨٧) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٢ - جامع البيان (٢٤/ ٦٥-٦٦).

٣- انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٤)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٧١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٢٧٩)، اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٥٥٩)، التفسير المنير للزحيلي (٢٩/ ٢٦٢)، روح المعاني (١٥/ ١٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾** [القيامة: ٢٦]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله: (كلا) ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة [١] (إذا بلغت) أي: الروح وجاز وإن لم يجرِ لها ذكر؛ لأن الآية تدل عليها.[٢] والمعنى إذا بلغت حالة الموت، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة.[٣]

ثانياً: المعنى اللغوي:

(والتَّراقِي): جمع تَرْقُوَة، أصلُها (تَراقِوُ) قُلِبَتْ واوُها ياءً لانكسار ما قبلها، والتَّرْقُوَة إحدى عِظامِ الصدرِ، قال الزمخشري: ولكلِّ إنسانٍ تَرْقُوَتان فعلى هذا تكونُ مِنْ باب: غليظِ الحواجب وعريضِ المناكب، والتراقِي: موضِعُ الحَشْرَجَةِ.

وذكر الراغب: التَّرْقُوَةُ عَظْمٌ وُصِلَ ما بين ثُغْرَةِ النحرِ والعاتِق، وذكر الزمخشري: العِظامُ المكتنِفةُ لثُغْرَةِ النَّحْرِ عن يمينٍ وشِمالٍ ووزنها فَعْلُوة، فالتاءُ أصلٌ والواوُ زائدةٌ، يَدُلُّ عليه إدخالُ أهل اللغةِ إياها في مادة (تَرَق) وذكر أبو البقاء[٤]: (والتراقي): جمع تَرْقُوَة وهي فَعْلُوة، وليست تَفْعُلَة، إذ ليس في الكلام (رقو).[٥] (والتراقي) وهي عظمة قريبة من الحلقوم، أي: عظم بين نقرة النحر والعاتق. [٦]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾** [القيامة: ٢٩]

التفسير الإجمالي:

واختلف في معنى قوله: (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) فقيل: هذه استعارة لشدة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها؛ لأنه بين الحالين قد اختلطا له، وهذا كما تقول شمرت الحرب عن ساق، وعلى بعض التأويلات في قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ﴾** [القلم: ٤٢] وقيل: هي حقيقة، والمراد ساق الميت عند تكفينه أي: لفهما الكفن، وقيل: هو التفافهما بشدة المرض؛ لأنه يقبض ويبسط ويركب هذا على هذا، وقال الضحاك: المراد أسوق

---

١ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٦٧).

٢ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥٧٣).

٣ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٣٤)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٠٠).

٤– عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الإمام محب الدين أبو البقاء العكبريّ البغداديّ الضّرير النحويّ الحنبلي صاحب الإعراب، المقرئ الفقيه المفسر الفرضيّ اللغويّ، ولد ببغداد في اوائل سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٣١).

٥ – انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٥٧٨).

٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٨/ ٢٨١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حاضريه من الإنس والملائكة؛ لأن هؤلاء يجهزون روحه إلى السماء وهؤلاء يجهزون بدنه إلى قبره.[١]

والمراد بقوله: (التفت الساق بالساق) أي: التفت شدة مفارقة الدنيا ولذاتها وشدة الذهاب، أو التفت شدة ترك الأهل، وترك الولد، وترك المال، وترك الجاه، وشدة شماتة الأعداء، وغم الأولياء، وبالجملة فالشدائد هناك كثيرة، كشدة الذهاب إلى الآخرة والقدوم على الله، أو التفت شدة ترك الأحباب والأولياء، وشدة الذهاب إلى دار الغربة، أو: أن المراد من الساق هذا العضو المخصوص.[٢] وقيل: (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت.[٣]

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: ٨ – ١٠]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ) للجمال، والبصر، والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين، فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك، وعدد تعالى على الإنسان نعمه التي بها تقوم الحجة، وهي جوارحه، وقوله تعالى: (ألم نجعل له عينين) أي: عينان يبصر بهما المرئيات، ولسانا يترجم به عن ضمائره، وشفتين يطبقهما على فيه، ويستعين بهما على النطق، والأكل، والشرب، والنفخ، وغير ذلك، وقرن تعالى (الشفتين) باللسان؛ لأن نعمة العبارة والكلام لا تصح إلا بالجميع، ولم يذكر السمع؛ لأن الكلام يستلزمه، والمعنى: ألسنا قادرين بالقدرة التي جعلنا له بها ما ذكر على أن نجعل لغيره مثل ما جعلنا له وأكثر فيقاومه ويغلبه.[٤]

والاقتصار على العينين؛ لأنهما أنفع المشاعر؛ ولأن المعلل إنكار ظنه أن لم يره أحد، وذكر الشفتين مع اللسان؛ لأن الإبانة تحصل بهما معا فلا ينطق اللسان بدون الشفتين، ولا

---

١ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣٧٢).

٢ – انظر: مفاتيح الغيب (٣٠/ ٧٣٥).

٣ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤١٠)، أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٤٧٩).

٤ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٨٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٥٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٣)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٥٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ١٦١)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تنطق الشفتان بدون اللسان، ومن دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان، ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه؛ لأن المقام مقام استدلال فجيء فيه بما له مزيد تصوير لخلق آلة النطق.[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

(والشفتان) هما الجلدتان اللتان تستران الفم وأسنانه وبهما يمتص الماء، ومن انفتاحهما وانغلاقهما تتكيف أصوات الحروف التي بها النطق وهو المقصود هنا.

وقوله: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) اختلف أهل العلم بمعنى (النجدين) فمنهم من قال: أنه نجد الخير ونجد الشر، ومنهم من قال: أنه الثديين، وهناك أقوالٌ متعددة،؛ لكن الراجح كما ذكره الطبري: " قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ، وذلك أنه لا قول في ذلك نعلمه غير القولين اللذين ذكرنا، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾** [الإنسان: ٢]، وإنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)".[٢]

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾** [طه: ٢٧]

أولاً التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) اُختُلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله: **﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾** [طه: ٣٦] ومن لم يقل احتج بقوله: **﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾** [القصص: ٣٤] وقوله: **﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾** [الزخرف: ٥٢] وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الأمر، ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل.[٣]

وقد سأل موسى عليه السلام ربه سلامة آلة التبليغ وهو اللسان بأن يرزقه فصاحة التعبير والمقدرة على أداء مراده بأوضح عبارة، فشبه حبسة اللسان بالعقدة في الحبل أو الخيط ونحوهما؛ لأنها تمنع سرعة استعماله.

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٤).

٢ – جامع البيان (٢٤/ ٤٣٩).

٣ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي:

والعقدة: موضع ربط بعض الخيط أو الحبل ببعض آخر منه، وهي بزنة فعلة بمعنى مفعول أطلقت على عسر النطق بالكلام أو ببعض الحروف على وجه الاستعارة لعدم تصرف اللسان عند النطق بالكلمة وهي استعارة مصرحة، ويقال لها حبسة، ويقال: عقد اللسان كفرح، فهو أعقد إذا كان لا يبين الكلام واستعار؛ لإزالتها فعل الحل المناسب العقدة على طريقة الاستعارة المكنية، ولم يأت بذلك مع قوله: (واحلل عقدة من لساني)؛ لأن ذلك سؤال يرجع إلى تبليغ رسالة الله إلى فرعون فليست فائدتها راجعة إليه حتى يأتي لها بلام التبيين، وتنكير عقدة للتعظيم، أي: عقدة شديدة.[١]

الآية السادسة: قال تعالى: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥]

أولاً: القراءات:

اختلفوا في قوله تعالى: (نزل به الروح الأمين) "فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: (نَزَلَ به) بتخفيف الزاي (الروح الأمين) رفعاً، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي: (نزّل به) مشدّدة الزّاي، (الرّوح الأمين) نصبا."[٢]

فمن قرأ: رفعا بمعنى: أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد، وهو جبريل، ومن قرأ: نصباً، بمعنى: أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين، وهو جبريل عليه السلام.

والصواب من القول فى ذلك: إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الروح الأمين إذا نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل.[٣]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقيل: سُميَ جبريل بالروح؛ لأنه نجاة الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تثبت معه الحياة، وقيل: ؛لأنه روح كله لا كالناس الذين في أبدانهم روح وسماه أمينا؛ لأنه مؤتمن على ما يؤديه إلى الأنبياء عليهم السلام، وإلى غيرهم.[٤]

١- انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٢١٢)، تفسير الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٩٢).

٢ – الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٦٨).

٣- انظر: جامع البيان (١٩/ ٣٩٦).

٤ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) أي: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك، والقلب: يطلق على ما به قبول المعلومات كما قال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** [ق: ٣٧] أي: إدراك وعقل، وذكر القلب هاهنا؛ لأنه كان إذا قرئ عليه وعاه قلبه، و قال الزجاج: أي: نزل عليك فوعاه قلبك، فثبت، فلا تنساه أبدا.(١)

وأما قوله: (على قلبك) ففيه قولان: الأول: أنه إنما قال: على قلبك وإن كان إنما أنزله عليه ليؤكد به أن ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإنذار الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود ولذلك قال: (لتكون من المنذرين) الثاني: أن القلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التمييز والاختبار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له.(٢)

ومعنى قوله: (على قلبك لتكون من المنذرين) أي: "نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، (على قلبك) يا محمد، سالما من الدنس، والزيادة، والنقص؛ (لتكون من المنذرين) أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له، وقوله: (بلسان عربي مبين) أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك (أنزلناه) بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا، قاطعا للعذر، مقيما للحجة، دليلا إلى المحجة".(٣)

وقوله: (على قلبك) إن أريد به العضو فتخصيصه به؛ لأن المعاني الروحانية تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب؛ لما بينهما من التعلق.(٤)

ووجه تخصيص القلب؛ لأنه أول مدرك من الحواس الباطنة.(٥)

الآية السابعة: قال تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾** [الروم: ٢٢]

التفسير الإجمالي:

وقوله: (وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ) يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها، واختلاف ألسنتكم فعربي وأعجمي (وَأَلْوَانِكُمْ) يقول: واختلاف ألوان أجسامكم، وأنتم بنو رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ.

١- انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٦٦)، جامع البيان (١٩/ ٣٩٦)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣٤٨).

٢ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٣٠)

٣ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٦٢).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٦٤).

٥- انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٣٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (واختلاف ألسنتكم) أي: لغاتكم بأن علم كل صنف لغته، وألهمه وضعها وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله، فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده، وتوسطه فيما بينهما، أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها، وألوانها وحلاها، بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما، وأسبابهما والأمور المتلاقية لهما في التخليق، يختلفان في شيء من ذلك لا محالة، وإن كانا في غاية التشابه، وقوله: (إن في ذلك) أي: فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان، وقوله: (لآيات) عظيمة في أنفسها، كثيرة في عددها، وقوله: (للعالمين) أي: المتصفين بالعلم.[١]

ولما أشار الله إلى دلائل الأنفس والآفاق، ذكر ما هو من صفات الأنفس بالاختلاف الذي بين ألوان الإنسان، فإن واحدا منهم مع كثرة عددهم، وصغر حجم خدودهم، وقدودهم لا يشتبه بغيره، والسموات مع كبرها وقلة عددها مشتبهات في الصورة، واختلاف كلامهم فإن عربيين هما أخوان، إذا تكلما بلغة واحدة يعرف أحدهما من الآخر، حتى أن من يكون محجوبا عنهما لا يبصرهما، يقول: هذا صوت فلان وهذا صوت فلان الآخر، وفيه حكمة بالغة وذلك؛ لأن الإنسان يحتاج إلى التمييز بين الأشخاص؛ ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق؛ ليحترز قبل وصول العدو إليه؛ وليقبل على الصديق قبل أن يفوته الإقبال عليه، وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور، وقد يكون بالسمع فخلق اختلاف الأصوات، وأما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز، ومن الناس من قال المراد اختلاف اللغة كالعربية، والفارسية، والرومية، وغيرها والأول أصح، ثم قال تعالى: (لآيات للعالمين) لما كان خلق السموات والأرض لم يحتمل الاحتمالات البعيدة، التي يقولها أصحاب الطبائع واختلاف الألوان كذلك، واختلاف الأصوات كذلك قال: (للعالمين) لعموم العلم بذلك.[٢]

وقيل: أراد باختلاف الألسنة اختلاف الأصوات، بحيث تتمايز أصوات الناس المتكلمين بلغة واحدة، فنعرف صاحب الصوت وإن كان غير مرئي، وأما اختلاف ألوان البشر فهو آية أيضا؛ لأن البشر منحدر من أصل واحد وهو آدم، وله لون واحد لا محالة، ولعله البياض المشوب بحمرة، فلما تعدد نسله جاءت الألوان المختلفة في بشراتهم، وذلك الاختلاف معلول لعدة علل، أهمها المواطن المختلفة بالحرارة والبرودة، ومنها التوالد من أبوين مختلفي اللون مثل

١ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٥٦).
٢ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٥/ ٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتولد من أم سوداء وأب أبيض، ومنها العلل والأمراض التي تؤثر تلوينا في الجلد، ومنها اختلاف الأغذية، ولذلك لم يكن اختلاف ألوان البشر دليلا على اختلاف النوع، بل هو نوع واحد، فللبشر ألوان كثيرة أصلاها البياض والسواد.[١]

وقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) أي: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم[٢]

والخلاصة أن اختلاف لغات البشر آية عظيمة، فهم مع اتحادهم في النوع كان اختلاف لغاتهم آية دالة على ما كونه الله في غريزة البشر من اختلاف التفكير، وتنويع التصرف في وضع اللغات، وتبدل كيفياتها باللهجات والتخفيف، والحذف والزيادة، بحيث تتغير الأصول المتحدة إلى لغات كثيرة، مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، ورغم ذلك لا نجد تشابه في الصوت أو اللون، وكل ذلك بقدرة الله وإرادته، وما اختلفت اللغات إلا بانتشار قبائل البشر في المواطن المتباعدة.

المطلب الثالث: العظام، والبنان، والآذان.

لقد أظهر الله تعالى قدرته في خلق الإنسان، وهذه المظاهر موجودة في أكثر من آيةٍ في القرآن الكريم، من باب التفكر والتأمل فيها، ولندرك بعد هذا النظر والتأمل قدرة الله على إعادة خلقه بعد الموت، فالتفكر في خلق الله عبادةٌ عظمى لا تقل أهمية عن الصلاة، والصوم والزكاة؛ لأن هذا التفكر يهذِّب النفس ويجعل الإنسان أكثر تواضعاً أمام عظمة الخالق، بل ويزيد المؤمن إيماناً وتسليماً لله عز وجل، وفي هذا المطلب سوف نتأمل في مراحل خلق الإنسان كما صوَّرتها الآيات الكريمة، ومنها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** [القيامة: ٣، ٤]

أولاً: سبب النزول:

نزلت فِيْ عَدِيّ بن رَبيعةَ[٣]ﷺ وذلك: أَنَّهُ أتَى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: حدثِّني عَنْ يومِ القيامة متى يكونُ ؟ وكيف أمرُها وحالها ؟ فأخبره النبيُّ ﷺ بذلك فقال: لو عاينت ذَلِكَ اليومَ لَمْ أصدقْك يا محمدُ، ولم أُومِن بِهِ ، أوَ يَجْمَعُ الله هَذِهِ العظامَ ؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤]

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢١/ ٧٤).

٢– انظر: جامع البيان (٢٠/ ٨٧).

٣ – هو عدي بْن رَبِيعة ذكروه فيمن أدرك النَّبِيّ ﷺ من مسلمة الفتح. انظر: أسد الغابة (٤/ ١٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٣٩١).

٤ – انظر: أسباب النزول (٢١/ ٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) أي: أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها، بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه.

وما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُما في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبدا، والهمزة للإنكار، و(أن) هي المخففة من الثقيلة. وقوله: (عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) أي: نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خفّ البعير.[1]

ثالثا: المعنى اللغوي:

و(البنان): الأصابع، فكأن الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام، قيل لهم: إنما تجمع ويسوى أكثرها تفرقا وأدقها أجزاء، وهي عظام الأنامل ومفاصلها، وهذا كله عند البعث.[2] وقال ابن عباس ﷺ وجمهور المفسرين: (نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) (معناه نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه، فكأن المعنى قادرين لأن في الدنيا على أن نجعلها دون تفرق، فتقل منفعته بيده، فكأن التقدير بَلى نحن أهل أن نجمعها قادِرِينَ على إزالة منفعة بيده، ففي هذا توعد ما، والآية فيها تقرير وتوبيخ وتوعد).

وذكر العظام، وإن كان المعنى إعادة الإنسان وجمع أجزائه المتفرقة؛ لأن العظام هي قالب الخلق. وخص البنان بالذكر؛ لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل: نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام، وثانيها: بنانه أي: نجعل بنانه مع كفه صفيحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة، والخياطة، وسائر الأعمال اللطيفة التي يستعان عليها بالأصابع، والقول الأول أقرب إلى الصواب.[3] فهذا وجه تخصيص البنان بالذكر. والعظام: كناية عن الجسد كله، وإنما خصت بالذكر؛ لحكاية أقوالهم **﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾** [يس: ٧٨] **﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾** [الإسراء: ٤٩] **﴿أَإِذَا**

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٤/ ٥٠ –٥١).

٢ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٠٢).

٣– انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٧٢٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥٧١)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٣٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [النازعات: ١١] فهم احتجوا باستحالة قبول العظام للإعادة بعد البلى، على أن استحالة إعادة اللحم، والعصب، والفؤاد بالأولى، فإثبات إعادة العظام اقتضى أن إعادة بقية الجسم مساوٍ لإعادة العظم، وفي ذلك كفاية من الاستدلال مع الإيجاز.[١] وذكر العظام والمراد نفسه كلها؛ لأن العظام قالب الخلق.[٢]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** [الصافات: ٥١-٥٣]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ؟ أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَدِينُونَ؟) أي: قال قائل من أهل الجنة: (إني كان لي قرين) في الدنيا يوبخني على التصديق بالبعث والقيامة، ويستنكره أشد الاستنكار، ويقول متعجبا: (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أإنا لمحاسبون بعد ذلك على أعمالنا وما قدمته أيدينا؟ ألا إن ذلك لا يدخل في باب الإمكان ولا يقبله عاقل، فأجدر بمن يصدق بمثل هذا أن يعدّ من البله والمجانين الذين لا ينبغي مخاطبتهم ولا الدخول معهم في باب الجدل والخصام، فهم ساقطون من درجة الاعتبار لدى العقلاء والمنصفين.[٣]

ومعنى الآية: أي: لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء، وكونهم (ترابا وعظاما) حينئذ لتأكيد إنكار الجزاء المبني على إنكار البعث.[٤] ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد للبعث عنده وفي زعمه فقال: (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون) أي: مجزيون بأعمالنا ومحاسبون بها بعد أن صرنا ترابا وعظاما، بمعنى: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا فصرنا ترابا وعظاما، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟ فذلك أمر مستحيل غير معقول ولا مقدور لأحد، فهل أنت مصدق مثل هذه الخرافات؟ وقيل معنى (مدينون): مسوسون، يقال دانه: إذا ساسه.[٥]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ٣٤٠).

٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٣).

٣ – انظر: تفسير المراغي (٢٣/ ٥٩).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٩٢).

٥ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٥٤)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٠٣)، أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٤٠٨)، التفسير المنير للزحيلي (٢٣/ ٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو بمعنى: "أي: يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب، والمعنى: فهنا قد صدقنا ربنا وعده، وأحل بالقرين وعيده."[١]

ثانياً: الإعراب:

"والاستفهام في (أإنك لمن المصدقين) مستعمل في الإنكار، أي: ما كان يحق لك أن تصدق بهذا، وسلط الاستفهام على حرف التوكيد؛ لإفادة أنه بلغه تأكد إسلام قرينه، فجاء ينكر عليه ما تحقق عنده، أي: أن إنكاره إسلامه بعد تحقق خبره، ولولا أنه تحققه لما ظن به ذلك، والمصدق هو: الموقن بالخبر".[٢]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ [الكهف: ١١]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ) أي: "فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف، أي: ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج، بمعنى ابتلاه الله به، وأرسله عليه".[٣] وتقدير الكلام أنه تعالى ضرب على آذانهم حجابا يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة، والتقدير ضربنا عليهم حجابا، إلا أنه حذف المفعول الذي هو الحجاب، ثم إنه تعالى بين أنه ضرب على آذانهم في الكهف وهو ظرف المكان.[٤]

"ولما كانت مدة لبثهم نكرة بما كان لأهل ذلك الزمان من الشرك، عبر بما يدل على النكرة فقال تعالى: (سنين)".[٥]

وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم؛ لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالبا، لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق، وقيل: الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة، وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية، أي: منعهم من التصرف.[٦] وأما تخصيص الآذان بالذكر؛ فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا من تعطل السمع، وقد ذكرت الأذن في النوم في حديث عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (**ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَقَالَ: بَالَ**

---

١ – محاسن التأويل (٨/ ٢١٠).

٢ – التحرير والتنوير (٢٣/ ١١٦).

٣ – جامع البيان (١٧/ ٦١٣).

٤ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢١/ ٤٢٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٧٤).

٥ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ١٩).

٦ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ)[١] أشار عليه السلام إلى رجل طويل النوم، لا يقوم الليل.[٢] "والضرب على الآذان كناية عن الإنامة؛ لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع؛ لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم، بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان، وهذه الكناية من خصائص القرآن لم تكن معروفة قبل هذه الآية وهي من الإعجاز". [٣] والمعنى أي: سددنا هذه الآذان بحجاب وضربنا عليه ضربا محكماً؛ لكيلا يصل إلى داخلها أي صوت ينبههم من رقادهم، ويصح أن يقال شبهت حالهم في عدم السماع لأي صوت مع حياتهم بمن سدت آذانهم بحجاب قد ضرب عليها، فلا يصل إليها صوت مهما يكن عاليا أو مزعجا، فهم أحياء لَا يحسون بالأحياء.[٤]

ثانياً: الإعراب:

وانتصاب (سنين) على الظرفية، و(عددا) صفة لسنين أي: ذوات عدد على أنه مصدر أو بمعنى معدودة على أنه لمعنى المفعول، ويستفاد من وصف السنين بالعدد الكثرة، ذكر الزجاج: إن الشيء إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج إلى العدد، وإن كثر احتاج إلى أن يعد، وقيل: يستفاد منه التقليل؛ لأن الكثير قليل عند الله **﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** [الحج: ٤٧] [٥]

وقوله: (سنين عددا) "وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة".[٦]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾** [المؤمنون: ١٢-١٤]

أولاً: القراءات:

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله جلَّ وعزَّ: (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) "قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا) بغير

---

١ – صحيح البخاري، كتاب التهجد، بَابُ إِذَا نَامَ وَلَمْ يُصَلِّ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ، ح ١١٤٤ (٢/ ٥٢).

٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٦٣).

٣ – التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٨).

٤– انظر: زهرة التفاسير (٩/ ٤٤٩٧).

٥– انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣).

٦– تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ألف، وقرأ الباقون (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) على الجمع، قال أبو منصور: العظم واحد، والعظام جماعة، وقد ينوب العظم عن العظام وكل ما قرئ به فهو جائز".[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

"وسميت سلالة الذكر نطفة؛ لأنها تنطف، أي: تقطر في الرحم في قناة معروفة وهو القرار المكين."[٢]

و(السلالة): الخلاصة؛ لأنها تسل من بين الكدر، فإن قلت: ما الفرق بين من ومن؟ قلت: الأول للابتداء، والثاني للبيان، فإن قلت: ما معنى: (جعلناه نطفة)؟ أي: معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفةً. (القرار): المستقر والمراد الرحم، وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها.[٣]

وتطلق (السلالة) على صفوة الماء يعني المني، وقال مجاهد (سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ): مني آدم.[٤] وقوله: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) أي: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة، علقة، وهي القطعة من الدم، (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغة، وهي القطعة من اللحم (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما، وسميت (المضغة) بذلك لأنها؛ بقدر ما يمضغ، كما قيل غرفة بقدر ما يغرف.[٥]

(والعلقة): قطعة من دم عاقد، (والمضغة): القطعة الصغيرة من اللحم مقدار اللقمة التي تمضغ".[٦]

ثالثا: التفسير الإجمالي:

اختلف المفسرون في معنى (السلالة): ورجح الطبري قول من قال: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه، واستدل بقوله: (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والمراد بـ (القرار المكين): الرحم، وعبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة، والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته سليله

---

١ – معاني القراءات للأزهري (٢/ ١٨٧–١٨٨).

٢ – التحرير والتنوير (١٨/ ٢٢).

٣ – انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧/ ٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٦٤)، تيسير التفسير للقطان (٢/ ٤٧٢).

٤ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٣٨).

٥ – انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٥٣).

٦ – التحرير والتنوير (١٨/ ٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسلالته؛ لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم: فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير؛ لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول الشاعرة:

وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً سُلالَةَ أفْراسٍ تجَللها بَغْلُ[1]

ووضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس؛ لأن الإنسان ذو عظام كثيرة، وقوله: (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) يقول: فألبسنا العظام لحما، وقوله: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر، وهذه الهاء التي في: (أَنْشَأْنَاهُ) قد تكون عائدة على الإنسان، وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم، والنطفة، والمضغة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد، فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) وأولى الأقوال كما يقول الطبري: قول من قال: "عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة، وعلقة، ومضغة، وعظم، وبنفخ الروح فيه، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه".[2] وقوله: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) أي: خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها، حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيرا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره- بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه- عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح.[3]

والمراد من الآية أي: خرج من بطن أمه بعد ما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه أن دُلّ على ثدي أمه، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه إلى أن قعد، إلى أن حبا، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد.[4]

١- البيت لهند بنت النعمان (اللسان: سلل) وروايته: "وما هند إلا مهرة"، وهو شاهد على أن السليل الولد، والأنثى سليلة، قال أبو عمرو: السليلة بنت الرجل من صلبه، وتجللها: علاها. والمراد بالبغل هنا: الرجل الشبيه بالبغل والبغل مذموم عند العرب. وفي اللسان: سلل: قال ابن بري: وذكر بعضهم أنها تصحيف، وأن صوابه "نغل" بالنون، وهو الخسيس من الناس والدواب، لأن البغل لا ينسل. وقال ابن شميل: يقال للإنسان أول ما تضعه أمه: سليل. والسليل والسليلة: المهر والمهرة. انظر جامع البيان (١٥/١٩).

٢ - جامع البيان (١٩/ ١٨).

٣- انظر: انظر جامع البيان (١٧/١٩). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٧٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٦١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٦٤).

٤ - انظر: جامع البيان (١٩/ ١٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧/ ٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ) أي: استحق التعظيم والثناء بأنّه لم يزل ولا يزال، وأصله من البروك وهو الثبوت، وقوله: (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) أي: المصوّرين والمقدّرين، وإنما جمع الخالقين؛ لأنّ عيسى كان يخلق، فأخبر جلّ ثناؤه أنّه يخلق أحسن ممّا كان يخلق.[١]

عن عمر ﷺ قال: (وافقت ربي في أربع نزلت (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ) فلما نزلت قلت: (فتبارك الله أحسن الخالقين)).[٢] وقد خلق الله تعالى من هذه النطفة ألوان الناس، وهذا ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ: جَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ)**. [٣]

التفسير الإجمالي:

ويقول ابن كثير في معنى الآية: (ثم خلقنا النطفة علقة) أي: "ثم صيرنا النطفة، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل –وهو ظهره– وترائب المرأة– وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الثندوة[٤]– فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة، قال عكرمة: "وهي دم" وقوله: (فخلقنا العلقة مضغة) وهي قطعة كالبضعة من اللحم، لا شكل فيها ولا تخطيط، (فخلقنا المضغة عظاما) يعني: شكلناها ذات رأس، ويدين، ورجلين، بعظامها، وعصبها، وعروقها".[٥]

ومن قدرة الله في خلق الإنسان أنه يُدخل الملك على النطفة ليكتب أشقيٌ هو أم سعيدٌ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ﷺ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ)**[٦] والإنسان من أحسن مخلوقات الله، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** [التين: ٤] ولهذا كان من أفضل المخلوقات

١– انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧/ ٤٣).

٢– لباب النقول (١/ ١٣٧).

٣– سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ح ٤٦٩٣ (٤/ ٢٢٢)، سنن الترمذي، ابواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ح ٢٩٥٥ (٥/ ٥٤) وقال الألباني: حديث صحيح، وقال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤ – ثدي الرجل وطرف الأنف ومقدمه (ج) ثناد. المعجم الوسيط (١/ ١٠١)

٥ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٦٦).

٦ – صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ح٢٦٤٤ (٤/ ٢٠٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأكملها عند الله، وقد بينت هذه الآية أطوار خلق الإنسان التي قال عنها تعالى في سورة نوح: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]

ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العلقة فإنه وضع بديع لهذا الاسم، إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم، بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم.(١)

والخلاصة أنه بعد كل هذه الأطوار التي خلقها الله في الإنسان، نقول: (تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) وتَعَاظَمَ وَكَثُرَ خَيْرُهُ، فَخَلْقُهُ كُلُّهُ حَسَنٌ، والإنسانُ مِنْ أَحْسَنِ مَخْلُوقَاتِهِ، وقد كرمه الله تعالى على سائر المخلوقات حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]

التفسير الإجمالي:

قوله: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا) أي: قالوا لهم: أيعدكم رسولكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا في قبوركم، وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء، كما كنتم قبل مماتكم؟(٢) (إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) أي: يقول: "ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء".(٣)

(أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً) مجردة عن اللحوم والأعصاب، (أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود، وأَنَّكُمْ تكرير للأول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره، أي: إنكم إذا متم وقع إخراجكم.(٤)

ويقول الشوكاني: في الآية أي: "كان بعض أجزائكم ترابا، وبعضها عظاما نخرة لا لحم فيها ولا أعصاب عليها، وقيل: وتقديم التراب لكونه أبعد في عقولهم، وقيل: المعنى: كان متقدموكم ترابا، ومتأخروكم عظاما أنكم مخرجون أي: من قبوركم أحياء كما كنتم".(٥)

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٢٤).

٢– انظر: جامع البيان (١٩/ ٢٩).

٣– جامع البيان (١٩/ ٣١).

٤– انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٨٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٣٤).

٥ – فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الصابوني[١] في معنى الآية: (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ) "استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد أي: أيعدكم بالحياة بعد الموت أن تصبحوا رفاتاً وعظاماً بالية؟ (أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ) أي: أنكم ستخرجون أحياء من قبوركم وكرَّر لفظ (أَنَّكُمْ) تأكيداً لأنه لمّا طال الكلام حسن التكرار (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ) أي: بَعُدَ هذا الذي توعدونه من الإخراج من القبور، وغرضهم بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدنيا) أي: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا، (نَمُوتُ وَنَحْيَا) أي: يموتُ بعضنا ويُولد بعضنا إلى انقراض العصر (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) أي: لا بعث ولا نشور".[٢]

والاستفهام للإنكار، أي: استنكار هذا الوعد؛ لإنكار الواقع، فهو في معنى التوبيخ للنبيين على هذا الوعد الذي وعدوه، والذي هو جزء من رسالتهم، ويذكرون سبب الإنكار في أمرين: أولا: أنهم ماتوا، وثانياً: أنهم صاروا ترابا وعظاما بالية، وهي رميم، وإن ذلك يجعل الإعادة في نظرهم مستحيلة؛ لأن الأرواح زهقت بالموت، والأجسام بليت، ونسوا أن الذي بدأهم وأنشاهم من العدم، كما قال سبحانه: **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾** [الأعراف: ٢٩]، وأن الذي فطرهم أولا هو الذي يعيدهم ثانية، ويزيدون في استبعادهم أو إنكارهم أنهم مخرجون من دفائن القبور إلى ظاهر الوجود، وكل ذلك من سيطرة المادة.[٣]

المطلب الرابع: الأعناق، والحلاقيم، والأوردة، والظهور.

من قدرة الله في خلقه، أن خلق لهم أعضاءً سوية تتحمل الأعباء، والمصاعب، فليشكر الإنسان ربه عليها، ولكن هذه الأعضاء تذكر أحياناً عند العذاب؛ لأن صاحبها قصر من خلالها في طاعة الله، فاستحق العذاب من خلال هذه الأعضاء للدلالة على أهميتها، والآيات على ذلك كثيرة منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق: ١٦]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) أي: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدِّث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه.[٤]

---

١ – ولد الشيخ الصابوني بمدينة حلب الشهباء بسوريا عام ١٩٣٠م. انظر: صفوة التفاسير (النشأة).

٢ – صفوة التفاسير (٢/ ٢٨٢).

٣ – انظر: زهرة التفاسير (١٠/ ٥٠٧١).

٤ – انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٩٩)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١/ ٤٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) فقال بعضهم: معناه: نحن أملك به، وأقرب إليه في المقدرة عليه، وقال آخرون: بل معنى ذلك (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) بالعلم بما تُوَسْوس به نفسه.[١] و"أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا؛ لأنه موجب له".[٢]

والوسوسة: الصوت الخفي ومنها: وسواس الحلي، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس، والباء يجوز أن تكون للتعدية والضمير للإنسان، أي: ما تجعله موسوسا، و(ما) مصدرية، وقوله: (ونحن أقرب إليه) مجاز، والمراد: قرب علمه منه، و(الحبل): العرق، شبه بواحد الحبال و(الوريدان): عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمهما متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه، وقيل: سمى وريداً؛ لأن الروح ترده، فإن قلت: ما وجه إضافة الحبل إلى الوريد، والشيء لا يضاف إلى نفسه؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن تكون الإضافة للبيان، والثاني: أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد و(الحبل) : اسم مشترك فخصصه بالإضافة إلى الْوَرِيدِ، وليس هذا بإضافة الشيء إلى نفسه بل هي كإضافة الجنس إلى نوعه كما تقول: لا يجوز حي الطير بلحمه، (حبل الوريد): جهاز من الدورة الدموية. والقصد من التعبير هنا بيان شدّة القرب.[٣]

وقال الأثرم[٤]: "وقد تختلف أسماء أجزائه باختلاف مواقعها من الجسد فهو في العنق يسمى الوريد، وفي القلب يسمى الوتين، وفي الظهر يسمى الأبهر، وفي الذراع والفخذ يسمونه الأكحل والنسا، وفي الخنصر يدعى الأسلم".[٥]

ويرى الباحث أنه من لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لخفائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان، فلذلك اختير تمثيل

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٢/ ٣٤١).

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ١٢٨).

٣– انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٨٣–٣٨٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٥٩)، التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٠٠)، التفسير الحديث (٢/ ٢٣١).

٤ – هو أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أو الكلبي، الإسكافي، أبو بكر الأثرم ثقة من حفاظ الحديث له تصانيف من الحادية عشرة ، وهو من المجتهدين مات سنة ثلاث وسبعين. الأعلام للزركلي (١/٢٠٥)، انظر: تقريب التهذيب (١/ ٨٤)، الموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ٣٥).

٥ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/ ٢٤)، وانظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا القرب بقرب حبل الوريد، وبذلك فاق هذا التشبيه لحالة القرب كل تشبيه من نوعه ورد في كلام البلغاء، والأدباء، والحكماء.

ويلاحظ من هذه الآيات أن فيها إقامة حجج على الكفار في إنكارهم البعث والجزاء، وفيها بيان قدرة الله على العبد، وكون العبد في قبضة القدرة، والعلم قد أحيط به، فالقرب هو بالقدرة والسلطان، إذ لايخفى عن علم الله باطن ولا ظاهر، وكل قريب من الأجرام فبينه وبين قلب الإنسان حجب.

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** [الأعراف: ١٧٢]

أولاً: القراءات:

قوله تعالى: (مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي (من ظهورهم ذريتهم) واحدة. وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: (ذرياتهم) جماعة.[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في معنى الآية: "واذكر يا محمد ربَّك إذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقرَّرهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادَتَهم بذلك، وإقرارَهم به"[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **(أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ ذُرِّيَّةً ذَرَاهَا فَنَثَرَهُمْ نَثْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ)**[٣] وسُئِلَ عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: ١٧٢] فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ**

---

١ – انظر: الحجة في القراءات السبع (١/ ١٦٧)، حجة القراءات (١/ ٣٠١)، الحجة للقراء السبعة (٤/ ١٠٤).

٢ – جامع البيان (١٣/ ٢٢٢).

٣ – المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الإيمان، ح ٧٥، (٢/ ٣٥٤) التعليق من تلخيص الذهبي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ (١/ ٨٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الرَّجُلَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[1]

والأحاديث السابقة دالةٌ على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل الجنة وأهل النار، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، والشهادة تارة تكون بالقول كقوله: **﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾** [الأنعام: ١٣٠] وتارة تكون حالا كقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾** [التوبة: ١٧] أي: حالهم شاهد عليهم بذلك، لا أنهم قائلون ذلك، كقوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾** [العاديات: ٧].[2]

فتعين أن يكون المعنى: أخذ ربك كل فرد من أفراد الذرية، من كل فرد من أفراد بني آدم، فيحصل من ذلك أن كل فرد من أفراد بني آدم أقر على نفسه بالمربوبية لله تعالى، و(من) في قوله: من بني آدم وقوله: (من ظهورهم) ابتدائية فيهما، و(الذريات) جمع ذرية، والذرية: اسم جمع لما يتولد من الإنسان، وجمعه هنا للتنصيص على العموم.

وأخذ العهد على الذرية المخرجين من ظهور بني آدم يقتضي أخذ العهد على الذرية الذين في ظهر آدم بدلالة الفحوى، وإلا لكان أبناء آدم الأدنون ليس مأخوذا عليهم العهد مع أنهم أولى بأخذ العهد عليهم في ظهر آدم، ومما يثبت هذه الدلالة أحاديث كثيرة رويت عن النبي ﷺ وعن جمع من أصحابه، متفاوتة في القوة غير أن كثرتها يقوي بعضها بعضا.[3]

والإشهاد على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار أو الحمل عليه، وهو هنا الحمل على الإقرار، واستعير لحالة مغيبة تتضمن هذا الإقرار يعلمها الله؛ لاستقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم، والضمير في أشهدهم عائد على الذرية باعتبار معناه؛ لأنه اسم يدل على جمع.

والقول في: (قالوا بلى) مستعار أيضا لدلالة حالهم على الاعتراف بالربوبية لله تعالى، وجملة (ألست بربكم) مقول لقول محذوف هو بيان لجملة أشهدهم على أنفسهم أي: قررهم بهذا

---

١ – انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، ح (٣٢٥٦) قال الحاكم: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي (٢/ ٣٥٤)، مسند أحمد، ح ٣١١ (١/ ٢٩٨)، صحيح ابن حبان، باب ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته، ح (٦١٦٦) (١٤/ ٣٧)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ح ٤٧٠٣ (٤/ ٢٢٦)، السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، باب قوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ)، ح ١١١٢٦ (١٠/ ١٠٢).

٢ – انظر: تفسير المنار (٩/ ٣٣١).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٦٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القول وهو من أمر التكوين، والمعنى واحد؛ لأن الذرية لما أضيفت إلى ضمير بني آدم كان على معنى التوزيع.[١]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٤]

التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) أي: فهلا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم أيها الناس حلاقيمكم (وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) يقول ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذ إليهم ينظر، وخرج الخطاب ها هنّا عاما للجميع، والمراد به: من حضر الميت من أهله وغيرهم وذلك معروف من كلام العرب وهو أن يخاطب الجماعة بالفعل.[٢] وقوله: (فلولا إذا بلغت) "النفس أي: الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب".[٣] والمعنى: أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، (ولكن لا تبصرون) وقيل: المعنى فهلا إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع وأنتم حضور أمسكتم روحه في جسده، مع حرصكم على امتداد عمره، وحبكم لبقائه، وقيل: هو خطاب لمن هو في النزع، أي: إن لم يك ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح، وقوله: (ونحن أقرب إليه منكم) أي: بالقدرة والعلم والرؤية.[٤]

وهذه الآية فيها رد على من ينكر البعث، إذا كنتم تزعمون أنكم غير مبعوثين، ولا محاسبين ومجازين، فها هي الروح تخرج أمامكم وأنتم تنظرون، فهل تستطيعون أن ترجعوا الروح إلى بدنها، مع إقراركم بأنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها، فحينئذ إما أن تقروا بالحق الذي جاءكم به محمد ﷺ وإما أن تعاندوا وتعلموا حالكم وسوء مآلكم.

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا**﴾ [الإسراء: ١٣]

أولا: القراءات:

قوله تعالى: (كتابا يلقاه منشورا) قرأ ابن عامر وحده: (كتابا يُلَقَّاه) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ الباقون: (يَلْقاه) بفتح الياء وتسكين اللام وتخفيف القاف، حمزة والكسائي: يميلان القاف، والحجة لمن خفف: أنه جعل الفعل للكتاب والهاء للإنسان، والحجة لمن شدّد:

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٦٧).

٢ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ١٥٦).

٣ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٤٣٠).

٤ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (٨٣٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنه جعل الفعل لما لم يسمّ فاعله، واسمه مستتر فيه، والهاء للكتاب، وقوله: (وَيخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا) (ونخرج) " قرأ أبو جعفر: (ويُخرَجُ لَهُ) بالياء التحتية المضمومة وفتح الراء، ويعقوب (ويَخرُجُ لَهُ) بالياء التحتية المفتوحة وضم الراء، والباقون (ونُخرِجُ لَهُ) بالنون المضمومة وكسر الراء[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال الزجاج: "ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس:" طائره" عمله وما قدر عليه من خير وشر، وهو ملازمه أينما كان، وقال مقاتل والكلبي: "خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به"، وقال مجاهد: "عمله ورزقه".[٢]

فإن قال قائل: وكيف قال: (ألزمناه طائره في عنقه) إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم، وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله: (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ).[٣]

وقال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، وسمي طائر على عادة العرب فيما كانت تتفاءل، وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها، وقيل: أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم: طار سهم فلان بكذا وكذا، وخص العنق من بين سائر الأعضاء؛ لأنه موضع القلائد والأطواق، وغيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق، (ونخرج له) أي: ونحن نخرج له يوم القيامة كتابا.[٤]

"وخاطب الله العرب في هذه الآية بما تعرف، وذلك أنه كان من عادتها التيمن، والتشاؤم بالطير في كونها سانحة وبارحة، وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلاة، وسميت

---

١ – انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٧)، الحجة في القراءات السبع (٢١٤/١)، حجة القراءات (٣٩٨/١)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (١/ ١٨٤).

٢ – الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٩).

٣ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٣٩٨).

٤ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ١٢٤)، أوضح التفاسير (١/ ٣٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك كله تطيرا، وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية بما يلقى الإنسان من خير وشر، فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية في أوجز لفظ، وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقى الإنسان من خير، وشر قد سبق به القضاء، وألزم حظه وعمله وتكسبه في عنقه" [١] وروي عن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ[٢]، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ)**[٣].

وقوله: (في عنقه) تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي: ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزوم القلادة، أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال.[٤] وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازما له، لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره، ولا يحاسب غيره بعمله، وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف ما عليه من الحق الموجب للعقاب.[٥]

والطائر عند العرب الحظ، ويقال له البخت، فالطائر ما وقع للشخص في الأزل بما هو نصيبه من العقل، والعمل، والعمر، والرزق، والسعادة، والشقاوة، كأن طائرا يطير إليه من وكر الأزل، وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له، ولا غاية إلى أن انتهى إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص، وقال الأزهري[٦]: الأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعا، وشقاوة من علمه عاصيا، فطار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، وذلك قوله: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) أي: ما طار له في علم الله، (وفي عنقه) عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة العنق من بين ما يلبس، قال الزجاج: ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة العنق.[٧]

---

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٤٢).

٢ – التطير من الشَّيْء والتشاؤم بِهِ والكراهية لَهُ واشتقاقه من الطير كالغراب وَمَا أشبهه، انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٣٠٦).

٣ – صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، ح ٥٧٠٧ (٧/ ١٢٦).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٦١).

٥ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٥٥).

٦ – هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت ٣٧٠هـ أحد الأئمة في اللغة والأدب انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣١١).

٧ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥٣-٢٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة من هذا المبحث أن الله بين عِظَم قدرته وشأنه في خلق الإنسان، أن هناك أعضاءً في جسمه كان لها دورٌ واضح في العبادات والطاعة كالبطون والصدور، والألسنة، والعظام والبنان، والأعناق والحلاقيم، والأوردة والظهور.

وهذا اثبات على قدرة الله في خلقه ليتأمل الإنسان في نفسه، ويستدل على العبادة الصحيحة والقويمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في العبادة، والطاعة.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرؤوس، والوجوه.

المطلب الثاني: العيون، والفروج.

المطلب الثالث: الجنوب، والجبين.

المطلب الرابع: الأذقان، والبطون، والألسنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في العبادة، والطاعة.

المطلب الأول: الرؤوس، والوجوه.

جاء في القرآن الكريم أكثر من آية تبين بعض الأعضاء التي ذكرت في طاعة الله وعبادته، ومن هذه الأعضاء الرؤوس، والوجوه، ومن هذه الآيات التي ذكرتها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف: ٢٨]

أولاً: سبب النزول:

١- روي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ، قَالَ: جَاءَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ﷺ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ[١] ﷺ وَذَوُوهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَوْ جَلَسْتَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَنَحَّيْتَ عَنَّا هَؤُلَاءِ وَأَرْوَاحَ جِبَابِهِمْ - يَعْنُونَ سَلْمَانَ وَأَبَا ذَرٍّ وَفُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ جِبَابُ الصُّوفِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ غَيْرُهَا - جَلَسْنَا إِلَيْكَ وَحَادَثْنَاكَ وَأَخَذْنَا عَنْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)[٢]

٢- وروى الإمام مسلم بسنده عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ ﷺ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: **(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ ﷺ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** [الأنعام: ٥٢]) [٣]

٣- روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) قَالَ: (نَزَلَتْ فِي أُمَيَّةَ ابْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى أَمْرٍ كَرِهَهُ مِنْ طَرْدِ الْفُقَرَاءِ عَنْهُ

---

١ - هو بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعيّ الدرامي، قال ابن إسحاق: وفد على النبي ﷺ ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة [قلوبهم] وقد حسن إسلامه. الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٥٢).

٢ - انظر: أسباب النزول (١/ ٢٩٧).

٣ - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ح ٢٤١٣ (٤/ ١٨٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَتَقْرِيبِ صَنَادِيدِ أَهْلِ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) يَعْنِي مَنْ خَتَمْنَا عَلَى قَلْبِهِ عَنِ التَّوْحِيدِ (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) يَعْنِي الشِّرْكَ).[١]

ثانياً: القراءات:

قرأ ابن عامر (بالغُدوة والعشي) بضم الغين وقرأ الباقون بالفتح وحجتهم أن (غداة) نكرة تُعرف بالألف واللام و(غدوة) معرفة فلا يجوز دخول تعريف على تعريف كما لا يقال مررت بالزيد، وحجة ابن عامر هي أن العرب تدخل الألف واللام على المعرفة إذا جاورت ما فيه الألف واللام ليزدوج الكلام.[٢]

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

وقد اختلف المفسرون في قوله: (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) والصواب من القول في ذلك كما يقول الطبري[٣]: "إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا ﷺ أن يطرُد قومًا كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي، و"الدعاء لله"، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها، وغيرُها من النوافل، ويجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي؛ لأن الله قد سمى"العبادة"،"دعاء"، فقال تعالى: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [سورة غافر: ٦٠] وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء".[٤]

رابعاً: المعنى اللغوي:

وقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: (واصْبِرْ) يا محمد (نَفْسَكَ مَعَ) أصحابك (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة أي: دائبين على الدعاء في جميع الأوقات وقيل: في طرف في النهار (يُرِيدُونَ) بفعلهم ذلك (وَجْهَهُ) لا يريدون عرضا من عرض الدنيا.[٥]

و(الصبر) الشد بالمكان بحيث لا يفارقه ومنه سميت المصبورة، وهي الدابة تشد لتجعل غرضا للرمي، و(الغداة) اسم الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس، و(العشي): المساء،

---

١ – انظر: أسباب النزول (١/ ٢٩٨).

٢ – انظر: حجة القراءات (١/ ٤١٥)، الحجة للقراء السبعة (٥/١٤٠).

٣ – محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. الأعلام للزركلي (٦/ ٦٩).

٤ – جامع البيان (١١/ ٣٨٧).

٥ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمقصود أنهم يدعون الله دعاء متخللا سائر اليوم والليلة، و(الدعاء) المناجاة والطلب، والمراد به ما يشمل الصلوات، والتعبير عنهم بالموصول للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم، أي: لأنهم أحرياء بذلك لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة.[١]

وقوله تعالى: (بالغداة) أي: التي الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة، (والعشي) أي: التي الانتقال فيها من اليقظة إلى النوم كالانتقال من الحياة إلى الموت؛ ثم مدحهم بقوله تعالى معللاً لدعائهم: (يريدون) أي: بذلك (وجهه) لا غير ذلك في رجاء ثواب أو خوف عقاب، وقوله: (وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يقول تعالى لنبيه ﷺ : ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تجاوزهم إليه.[٢] ولما أمره ﷺ بمجالسة المسلمين، نهاه عن الالتفات إلى الغافلين، وأكد الإعراض عن الناكبين فقال تعالى: (ولا تطع من أغفلنا) بعظمتنا (قلبه) أي: جعلناه غافلاً؛ لأن الفعل فيه لنا لا له (عن ذكرنا) بتلك الزينة، والمراد بإغفال القلب جعله غافلا عن الفكر في الوحدانية حتى راج فيه الإشراك، فإن ذلك ناشىء عن خلقة عقول ضيقة التبصر مسوقة بالهوى والإلف.

وأصل (الإغفال): إيجاد الغفلة، وهي الذهول عن تذكر الشيء، وأريد بها هنا غفلة خاصة، وهي الغفلة المستمرة المستفادة من جعل الإغفال من الله تعالى كناية عن كونه في خلقة تلك القلوب، وما بالطبع لا يتخلف.

وقد اعتضد هذا المعنى بجملة (واتبع هواه) فإن اتباع الهوى يكون عن بصيرة لا عن ذهول، فالغفلة خلقة في قلوبهم، واتباع الهوى كسب من قدرتهم، وقوله: (واتبع هواه) بالميل إلى ما استدرجناه به منها والأنفة من مجالسة أوليائنا الذين أكرمناهم بالحماية منها؛ لأن ذكر الله مطلع الأنوار، فإذا أفلت الأنوار تراكمت الظلمة فجاء الهوى فأقبل على الخلق.[٣]

وقوله: (وكان أمره فرطاً) أي: متجاوزاً للحد مسرفاً فيه متقدماً على الحق، فيكون الحق منبوذاً به وراء الظهر مفرطاً فيه بالتقصير، فإن ربك سبحانه سينجي أتباعك على ضعفهم منهم كما أنجى أصحاب الكهف، ويزيدك بأن يعليهم عليهم ويدفع الجبابرة في أيديهم؛ لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه، وغيرهم مقبل على غيره معرض عنه، و(الفرط) يحتمل أن يكون بمعنى التفريط والتضييع، أي: أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى الإفراط

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠٤).
٢ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٤٩-٥٠).
٣ – انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإسراف، أي: أمره وهواه الذي هو بسبيله، و(الفُرُط) بضمتين: الظلم والاعتداء، وهو مشتق من الفروط وهو السبق؛ لأن الظلم سبق في الشر، والتفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان، وقيل: من الإفراط ومجاوزة الحد، وكأن القوم قالوا: نحن أشراف مضر إن أسلمنا أسلم الناس، وكان هذا من التكبر والإفراط في القول. و(الأمر): الشأن والحال.[١]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾** [البقرة: ١٤٤]

أولاً: التفسير الإجمالي:

ومعنى قوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ) قال الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: قد نرى يا محمد نحنُ تقلُّبَ وجهك في السماء، وكان النبي ﷺ يقلِّب وجهه في الصلاة وهو يصلي نحو بيت المقدس، وكان يهوى قبلةَ البيت الحرام، فولاه الله قبلةً كان يهواها.

ويعني: بـ (التقلب) التحوُّل والتصرُّف، ويعني بقوله:(في السماء) نحو السماء وقِبَلها، وإنما قيل له ذلك ﷺ لأنه كان قَبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة، يرفع بصره إلى السماءِ ينتظر من الله جل ثناؤه أمرَه بالتحويل نحو الكعبة".[٢] وروي عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: (صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ عَلِمَ اللَّهُ هَوَى نَبِيِّهِ ﷺ فَنَزَلَتْ: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا)[٣] وعَنه أيضاً قَالَ: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ))**[٤] وروى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **(كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَتْ: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلَا إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ)**[٥]

---

١ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٩٢).

٢ – جامع البيان (٣/ ١٧٢-١٧٣).

٣ – انظر: أسباب النزول (١/ ٤٤).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ح ٣٩٩ (١/ ٨٨).

٥ – صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى مكة، ح ٥٢٧ (١/ ٣٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و"هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى، فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع".[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (فلنولينك قبلة) فلنحولنك إلى قبلة ترضاها، أي: تحبها وتهواها، (فول) أي: حول وجهك شطر المسجد الحرام، أي: نحوه، وأراد به الكعبة، و(الحرام): المحرم، (وحيث ما كنتم) من بر أو بحر، شرق أو غرب: (فولوا وجوهكم شطره) عند الصلاة، وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين (فول وجهك شطر المسجد الحرام) والمراد بالشطر هنا: الناحية والجهة.[٢]

وقوله: (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أي: وفي أي مكان كنتم فاستقبلوا جهته بوجوهكم في صلاتكم، وهذا يقتضي أن يصلي المسلمون في بقاع الأرض إلى جميع الجهات، لا كالنصارى الذين يلتزمون جهة المشرق، وجُعل شطر المسجد الحرام كناية عن الكعبة؛ لأنها واقعة من المسجد الحرام في نصف مساحته من جميع الجوانب (أي: تقريبا).[٣]

وربما كان يقصد بتقلب الوجه الدعاء، وحقيقته: شعور القلب بالحاجة إلى عناية الله تعالى فيما يطلب، وصدق التوجه إليه فيما يرغب، ولا يتوقف على تحريك اللسان بالألفاظ، فإن الله ينظر إلى القلوب وما أسرت، فإن وافقتها الألسنة فهي تبع لها، وإلا كان الدعاء لغوا يبغضه الله تعالى، ولا تدل الآية على أنه كان يدعو بلسانه طالبا هذا التحويل ولا تنفي ذلك ومن كمال أدبه ﷺ أنه انتظر ولم يسأل.

ويخبر الله سبحانه في هذه الآية عن الحال التي كان يعانيها النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة، وقلبه معلّق بمكة والبيت الحرام، ووجهه يتردد في السماء بين مطالع المسجدين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهما على سمت واحد، فقطع الله عليه طريق التردد، وأمسك وجهه على القبلة التي تهفو إليها نفسه.[٤]

---

١ – معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ١٧٧).

٢ – انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ١٧٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ١٧٨).

٣ – انظر: تفسير المنار (٢/ ١٣)، التحرير والتنوير (٢/ ٢٨).

٤ – انظر: التفسير القرآني للقرآن (١/ ١٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: العيون، والفروج.

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** [المائدة: ٨٣]

أولاً: سبب النزول:

قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ مِنَ الْحَبَشَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا بَعَثَهُمُ النَّجَاشِيُّ وَفْدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَثَمَانِيَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَهُمْ بَحِيرَا الرَّاهِبُ وَأَبْرَهَةُ وَإِدْرِيسُ وَأَشْرَفُ وَتَمَّامٌ وَقُثَيْمٌ وَدُرَيْدٌ وَأَيْمَنُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ "يس" إِلَى آخِرِهَا، فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَآمَنُوا وَقَالُوا: مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتِ.[1]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) قال أبو جعفر: أي: "وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا: إنا نَصَارى الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ما أنزل إليك من الكتاب يُتْلى (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) وفيض العين من الدمع امتلاؤها منه، ثم سيلانه منها، كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه

وقوله: (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) أي: ترى أيها الناظر إليهم أعينهم تفيض من الدمع، أي: تمتلئ دمعا حتى يتدفق الدمع من جوانبها لكثرته، أو حتى كأن الأعين ذابت وصارت دمعا جاريا، ذلك من أجل ما منع غيرهم من العتو والاستكبار، وقوله: (من الحق) بيان لقوله: (مما عرفوا) أي: إن أعينهم فاضت عبرةً ودموعاً، عبرةً منهم وخشوعاً؛ لمعرفتهم بعض الحق، إذ سمعوا بعض الآيات دون بعض، فكيف لو عرفوا الحق كله بسماع جميع القرآن، ومعرفة ما جاءت به السنة من الأسوة الحسنة.[2] ويفيض منها الدمع؛ لأن حقيقة الفيض أن يسند إلى المائع المتجاوز حاويه فيسيل خارجا عنه، ومثال ذلك ما رواه البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ،**

---

١ – انظر: أسباب النزول (١/ ٢٠٤).

٢ – انظر: تفسير المنار (٧/ ١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)[١] "وتعريف الدمع تعريف الجنس، مثل: طبت النفس".[٢]

والبكاء هنا لبيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه، أي: تمتلىء بالدمع فاستعير له الفيض[٣] (تفيض من الدمع) أي: "تمتلئ فتفيض؛ لأن الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء، جعل الأعين تفيض، والفائض: إنما هو الدمع قصدا للمبالغة كقولهم دمعت عينه".[٤]

وقوله تعالى: (يقولون ربنا آمنا) أنهم يقولون: يا ربنا، صدَّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد ﷺ من كتابك، وأقررنا به أنه من عندك، وأنه الحق لا شك فيه.[٥]

وقوله:(فاكتبنا مع الشاهدين) أي: من أمة محمد ﷺ؛ فَإِنَّهُم الشاهدون على سَائِر الْأُمَم، أي: يقولون هذا القول يريدون به إنشاء الإيمان، والتضرع إلى الله تعالى بأن يقبله منهم، ويكتبهم مع أمة محمد ﷺ [٦] و(الشاهدين): "جمع شاهد: من شهد لله بالوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك".[٧]

والمراد (بالشاهدين) الذين شهدوا بعثة الرسل وصدقوهم، وهذه فضيلة عظيمة لم تحصل إلا في أزمان ابتداء دعوة الرسل، ولا تحصل بعد هذه المرة، وتلك الفضيلة أنها المبادرة بتصديق الرسل عند بعثتهم حين يكذبهم الناس بادىء الأمر، كما قال ورقة بن نوفل: يا ليتني أكون جذعا إذ يخرجك قومك، أي: تكذيبا منهم، أو أرادوا (فاكتبنا مع الشاهدين) الذين أنبأهم عيسى- عليه السلام- ببعثة الرسول الذي يجيء بعده، فيكونوا شهادة على مجيئه وشهادة بصدق عيسى.[٨]

وهذا مشهد حي يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس، الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا، إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم، ولانت قلوبهم، وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه، وهي حالة معروفة

---

١ – صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ح ٦٦٠ (١/ ١٣٣).
٢ – التحرير والتنوير (٧/ ١١).
٣ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٧٢)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٧٨).
٤ – فتح القدير للشوكاني (٢/ ٧٨).
٥ – انظر: جامع البيان (١٠/ ٥٠٦).
٦ – انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٥٨)، تفسير المنار (٧/ ١١).
٧ – أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥).
٨ – انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول، فيفيض الدمع؛ ليؤدي ما لا يؤديه القول؛ وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف، ثم هم لا يكتفون بهذا الفيض من الدمع، ولا يقفون موقفا سلبيا من الحق الذي تأثروا به هذا التأثر عند سماع القرآن والشعور بالحق، الذي يحمله والإحساس بما له من سلطان، إنهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع، ثم ينتهي أمره مع هذا الحق! إنما هم يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفا إيجابيا صريحا.[١]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١- "قرب النصارى الصادقين في نصرانيتهم من المسلمين.

٢- فضل التواضع، وقبح الكبر.

٣- فضل الأمة الإسلامية وكرامتها على الأمم قبلها.

٤- فضل الكتابي إذا أسلم وحسن إسلامه".[٢]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾** [النور: ٣١]

أولاً: سبب النزول:

عن مقاتل قال: "بلغنا أن جابر بن عبد الله ﷺ حدث أن أسماء بنت مرثد[٣] كانت في نخل لها فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله في ذلك (وقل للمؤمنات) الآية وأخرج ابن جرير عن حضرمي أن امرأةً اتخذت صرتين من فضة، واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت، فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن".[٤]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) يقول تعالى: لنبيه محمد ﷺ (وَقُلْ) يا محمد (لِلْمُؤْمِنَاتِ) من أمتك (يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) أي: ويحفظن فروجهنَّ عن أن يراها من لا يحلّ له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم.

---

١ - انظر: في ظلال القرآن (٢/ ٩٦٢).

٢ - أيسر التفاسير (٢/ ٦-٧).

٣ - هي أسماء بنت مرثد، من بني حارثة، ذكرها أبو عمر، وقال: لا يصح حديثها. انفرد به حرام بن عثمان. عثمان. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٨).

٤ - لباب النقول (١/ ١٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) أي: ولا يُظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهنّ، وهما زينتان: إحداهما: ما خفي وذلك كالخلخال، والسوارين، والقرطين، والقلائد، والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنيّ منه بهذه الآية، فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة.

واختُلف في الزينة في قوله: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) أي: الوجه والثياب.

والراجح كما يقول الطبري: "قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان، يدخل في ذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب، وإنما قلنا ذلك؛ لإجماع الجميع على أن على كلّ مصلٍ أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها، فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعا، كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة؛ لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره؛ وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره، بقوله: (إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) لأن كل ذلك ظاهر منها".[1] فإبداء الزينة واقعة في مواضع من الجسد (وهى الذراع، والساق، والعضد، والعنق، والرأس، والصدر، والأذن) لا يحل النظر إليها إلا لمن استثنى في الآية بعد؛ لأن النظر بريد الزنا.[2] روى أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ[3] يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ)**.[4] وقوله تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ {وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) أي: عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه، ومنه قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾** [المؤمنون: ٥] ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه: لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب بشهوة، ولا بغير شهوة أصلا، عَنْ نَبْهَانَ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ وَمَيْمُونَةَ ﷺ قَالَتْ: **(فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُمِرْنَا بِالحِجَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: احْتَجِبَا مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا**

---

١ – جامع البيان (١٩/ ١٥٨).

٢ – انظر: تفسير المراغي (١٨/ ٩٩).

٣– الفرج: وهو مَا بَين الرجلَيْن وكنى بِهِ عَن السوءة و {وَالَّذين هم لفروجهم حافظون} .المعجم الوسيط (٢/ ٦٧٩)

٤ – انظر: معجم ابن الأعرابي، باب الباء، ح ١٢٤٨(٦٨٣/٢)، السنن الصغير للبيهقي، كتاب النكاح، باب غض البصر، ح ٢٣٥٩ (١٣/٣)، شعب الإيمان للبيهقي، كتاب المناسك، باب تحريم الفروج، ح ٥٠٤٤ (٣٠٣/٧) القضاء والقدر للبيهقي، باب ذكر البيان أن ما كتب على ابن آدم، ح ٢١٥ (٢٠٣/١) صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ).[1] وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة، كما ثبت أن رسول ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة رضي الله عنها تنظر إليهم من ورائه، وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت.[2]

ولما ذكر سبحانه حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر على العموم، فيندرج تحته غض البصر من المستأذن، فلا يجوز للإنسان النظر إلى ما حرّم الله، والدليل عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ[3] رضي الله عنه قَالَ: **(اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ).**[4] وخص المؤمنين مع تحريمه على غيرهم؛ لكون المؤمنين أحق ممن سواهم بقطع ذرائع الزنا التي منها النظر، وقيل: إن في الآية دليلا على أن الكفار غير مخاطبين بالشرعيات، كما يقوله بعض أهل العلم، ومعنى غض البصر: إطباق الجفن على العين بحيث تمتنع الرؤية، وقيل: ووجه المجيء بـ (من) في الأبصار دون الفروج أنه موسع في النظر، فإنه لا يحرم منه إلا ما استثني، بخلاف حفظ الفرج فإنه مضيق فيه، فإنه لا يحل منه إلا ما استثني، وقيل: الوجه أن غض البصر كله كالمتعذر، بخلاف حفظ الفرج، فإنه ممكن على الإطلاق، والإشارة بقوله: (ذلك) إلى ما ذكر من الغض والحفظ.[5]

والحكمة من غض البصر: أن في غض البصر سداً لباب الشر، ومنعاً لارتكاب المآثم والذنوب، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ).**[6]

---

١ – سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء في احتجاب النساء، ح ٢٧٧٨ (٥/ ١٠٢) وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٢ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤٤)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٧٠).

٣ – هو سهل بْن سعد بْن مالك بْن خَالِد بن ثعلبة بْن حارثة بْن عمرو بْن الخزرج بْن ساعدة بْن كعب بْن الخزرج الأنصاري، وكان اسمه حزنًا، فسماه رَسُول اللَّهِ ﷺ سهلًا، انظر: أسد الغابة (٢/ ٥٧٥).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل النظر، ح ٦٢٤١ (٨/ ٥٤).

٥ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٦-٢٧).

٦ – صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، ح ٢٤٦٥ (٣/ ١٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: المعنى اللغوي:

والزينة: ما يحصل به الزين، والزين: الحسن، مصدر زانه، يقال: زين بمعنى حسن، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾ [آل عمران: ١٤] وقال: ﴿**وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ [الحجر: ١٦] والزينة قسمان خلقية ومكتسبة، فالخلقية: الوجه والكفان أو نصف الذراعين، والمكتسبة: سبب التزين من اللباس الفاخر، والحلي، والكحل، والزينة نوعان: خلقية ومصطنعة، فأما الخلقية: فمعظم جسد المرأة وخاصة: الوجه، والمعصمين، والعضدين، والثديين، والساقين، والشعر، وأما المصطنعة: فهي ما لا يخلو عنه النساء عُرفاً مثل: الحلي، وتطريز الثياب، وتلوينها ومثل الكحل، والخضاب بالحناء، والسواك.[١]

الآية الرابعة: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]

أولاً: سبب النزول:

عن ابن عباس ﷺ قال أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني[٢] فقال: يا رسول الله احملنا فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه فولوا ولهم بكاء وعَزّ عليهم أن يحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فأنزل الله عز وجل (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم...).[٣]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري في معنى الآية: "ولا سبيل أيضًا على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداءِ الله معك، يا محمد، قلت لهم: لا أجد حَمُولةً أحملكم عليها (تولوا) أي: أدبروا عنك، (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون، ويتحمَّلون به للجهادِ في سبيل الله".[٤]

وقوله: (تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) فيه مجاز في إسناد الفيض إلى العين؛ لأن معناه أن العين ذاتها تفيض كأنها صارت دمعا؛ لامتلائها، واغروراقها.[٥] إنَّ رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ٢٠٦).

٢ – هو عَبْد اللَّه بْن أَبِي معقل الْأَنْصَارِيّ شهد أحدًا مَعَ أبيه، انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٩٤).

٣ – انظر: لباب النقول (١/ ١٠٩).

٤ – جامع البيان (١٤/ ٤٢١).

٥ – انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٤١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.[١]

"والحمل يطلق على إعطاء ما يحمل عليه، أي: إذا أتوك لتعطيهم الحمولة، أي: ما يركبونه ويحملون عليه سلاحهم ومؤنهم من الإبل".[٢] ومثل هؤلاء ذكرهم النبي ﷺ عند أصحابه في الحديث الذي يرويه أَنَسٍ ﷺ: **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ)**.[٣]

وقوله: (أَلَّا يَجِدُوا) أي: لأنهم لَا يجدون ما ينفقون، ولا يجدون ما يحملهم، ففيه تقدير حرف محذوف، وهذا يتضمن أنهم لَا يجدون مركبا يركبونه، ولا نفقة ينفقونها.[٤]

المطلب الثالث: الجنوب، والجبين.

كما ذكر الله تعالى من قبل بعض الآيات التي تتحدث عن عذاب الجنوب، عندما كان صاحبها يكنز الذهب والفضة، فقد جاءت آياتٌ أخرى تبين أن هذه الأعضاء تأتي في طاعة الله، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم، منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** [الصافات: ١٠٣]

أولاً: المعنى اللغوي:

والمعنى: فلما أسلما أمرهما لله وفوّضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه، أي: أسلما جميعا لأمر الله ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، ورضي ابنه بأن يُذبَح تصديقاً للرؤيا وطاعة للَّهِ، فذلك قوله: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) للوجه جبينان، والجبهة بينهما، وقيل: أكبه على جبهته، أي: جبينه.[٥] والمعنى أي: وصَرَعَه للجَبِين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.[٦] ومعنى (تله): "أكبَّهُ لوجهه" و"أَكْبَبْتُهُ لِوَجْهِهِ" لأنه في المعنى شبه "أَقْصَيْتُهُ".[٧] والتل من الأرض مأخوذ من هذه كأنه تل في

---

١ – انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٩٧).

٢ – التحرير والتنوير (١٠/ ٢٩٥).

٣ – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من حبسه العذر عن الغزو، ح ٢٨٣٩ (٤/ ٢٦).

٤ – انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٤١٣).

٥ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٧٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ١٥)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣١١).

٦ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٧٦).

٧ – انظر: معانى القرآن للأخفش (٢/ ٤٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في ذلك الموضع، أي: صرعه وأسقطه على شقه، وقيل: هو الرمي بقوة، (وِلِلْجَبِينِ) أي: لتلك الجهة.[١]

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١- وجوب تنفيذ أوامر الله تعالى، مهما بلغت التضحيات.

٢- وجوب بر الوالدين وطاعتهما في المعروف.

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** [السجدة: ١٦]

أولاً: سبب النزول:

"قَالَ مالك بن دينار[٢]: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فِيمَنْ نَزَلَتْ، فَقَالَ: كَانَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ".[٣] "وأخرج الترمذي وصححه أنس ﷺ أنّ هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة".[٤]

ثانياً: المعنى اللغوي:

يقول الطبري في معنى الآية: "تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا) في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته (ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه، (وتتجافى) أي: تتفاعل من الجفاء، والجفاء: النبو، وإنما وصفهم تعالى بتجافي جنوبهم عن المضاجع؛ لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة، واختلف أهل التأويل في معنى: (تتجافي جنوبهم عن المضاجع) والراجح أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وهو وصف منه بجفائهم عن النوم في وقت منام الناس المعروف، ويدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري ﷺ في صفة نبيّ الله ﷺ ."[٥]

---

١ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٨٢)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٩/ ٣٢٤).

٢ – مالك بن دينار البصري، أبويحيى: من رواة الحديث. كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي في البصرة. الأعلام للزركلي (٥/ ٢٦١)، وفيات الأعيان (٤/ ١٣٩).

٣ – أسباب النزول (١/ ٣٤٨).

٤ – لباب النقول (١/ ١٥٥).

٥ – جامع البيان (٢٠/ ١٧٨-١٨١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: **(كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) " ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)** [١]

وسبب التجافي أنهم يدعون ربهم ويعبدونه؛ لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وهم المتهجدون.[٢]

ويُعني بذلك: قيام الليل، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة.[٣]

والتجافي: التباعد والمتاركة، والجنوب: جمع جنب وهو الشق، والمضجع: موضع الاضطجاع للنوم، وقال الجمهور من المفسرين: أراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل وهو الذي فيه المدح.[٤]

"وهذا تعريض بالمشركين إذ يمضون ليلهم بالنوم لا يصرفه عنهم تفكر بل يسقطون كما تسقط الأنعام".[٥]

المطلب الرابع: الأذقان، والبطون، والألسنة.

إن الله ذكر هذه الأعضاء في مواطن سابقة في العذاب للعصاة، وجاءت هنا في مواطن الطاعة لله تعالى، وهذا من حِكم الله، حيث كلما كان صاحب هذا العضو عاصٍ لله فإن أعضاءه تعذب، وكلما كان صاحبها في طاعة الله نالت أعضاءه السكون والطمأنينة، ومن الآيات التي ذكرت الأعضاء في طاعة الله، ما يلي:

---

١ – سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، ح ٣٩٧٣ (٢/ ١٣١٤) حكم الألباني صحيح.

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥١١).

٣ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٦٣).

٤– انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٦٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٩)، تفسير المراغي (٢١/ ١١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٩٩).

٥– التحرير والتنوير (٢١/ ٢٢٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾** [الإسراء: ١٠٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا) أي: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

وقوله: (أوَ لا تؤمنوا به) فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تركككم الإيمان به يُنقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيما له وتكريما، وعلما منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجدا بالأرض.

واختلف أهل التأويل في قوله: (يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ) فقال بعضهم: عُنِي به: الوجوه، وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك اللِّحَى، والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَن وهو مجمع اللَّحيين.[١]

والمراد بقوله: (يخرون) من خر لله ساجدا يخر خرورا أي: سقط، قيل: خروا لله سجدا، وقوله عز وجل: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾** [الفرقان: ٧٣] وتأويله: إذا تليت عليهم خروا سجدا وبكيا سامعين مبصرين لما أمروا به ونهوا عنه وخر أيضا: مات، وذلك لأن الرجل إذا مات خر.[٢]

قال مجاهد في: (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد ﷺ (القرآن) قالوا: (سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا).

والراجح عند الطبري في: (إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) القرآن؛ لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر، فيصرف الكلام إليه، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله (مِنْ قَبْلِهِ) من ذكر القرآن؛ لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: **﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾** [الإسراء: ١٠٦] وما بعده في سياق الخبر عنه.[٣]

وقد أمر ﷺ بالإعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم، وأن لا يكترث بهم وبإيمانهم وبامتناعهم عنه، وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان، ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك، فإن خيرا منهم وأفضل– وهم العلماء الذين قرءوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا

---

١ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٧٧).

٢ – انظر: لسان العرب (٤/ ٢٣٥).

٣ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به وصدقوه، فإذا تُلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه، ويزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين، فإن قلت: ما معنى الخرور للذقن؟ قلت: السقوط على الوجه، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين؛ لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن، وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل إذ حينئذ يتحقق الخرور عليها، وإيثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها، واكتفى بالذقن من الوجه كما يكتفى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس.[١]، ويجازي الله كل من يخشى الله ويقوم الليل بأن لن يدخل النار، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ نَارِ جَهَنَّمَ).**[٢]

وقوله: (وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) هذا جواب وتفسير للآية **﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾** [مريم: ٥٨] فهم يخرون أي: يقعون على الوجوه يبكون، والبكاء مستحب عند قراءة القرآن، (ويزيدهم) نزول القرآن، خشوعا، خضوعا لربهم.[٣] وهؤلاء يسقطون على وجوههم تعظيماً؛ لأمر الله أو شكراً لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد ﷺ على فَتْرَةٍ مِّنَ الرسل وإنزال القرآن عليه، [٤] والخرور: سقوط الجسم، قال تعالى: **﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** [النحل: ٢٦].

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (سجدا) جمع ساجد، وهو في موضع الحال من ضمير (يخرون) لبيان الغرض من هذا الخرور، ومن السنة سجود القارئ والمستمع له بقصد هذه الآية اقتداء بأولئك الساجدين، بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع القرآن، إلا وهو يرى نفسه أجدر بالسجود عند تلاوة القرآن وهكذا أيضا معنى الآية: **﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾** [الإسراء: ١٠٩] وذكر (يبكون) بصيغة المضارع لاستحضار الحالة، والبكاء بكاء فرح وبهجة، والبكاء: يحصل من انفعال باطني ناشئ عن حزن أو عن خوف أو عن شوق. [٥]

---

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٩٩)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٩)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٢٨٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٩٩).

٢ – سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ح ٣١٠٨ (٦/ ١٢) وقال الألباني: حديث صحيح.

٣ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٧٩)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ١٦٨).

٤ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٦٩).

٥ – انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٤-٢٣٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١- القرآن حق من الله وما نزل به كله حق.

٢- من السنة ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس.

٣- تقرير نبوة محمد ﷺ بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب.

٤- حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض.

٥- مشروعية السجود للقارئ أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة (يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) فيخر ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلاً: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء.[١]

الخلاصة من هذا المبحث أنه قد ورد العديد من أعضاء جسم الإنسان في العبادة، والطاعة مثل الرؤوس، والوجوه، والعيون، والجنوب، والبطون، والألسنة، وأنه يجب على المؤمن أن يُسَخِّرَ كل أعضاءه في طاعة الله تعالى.

١ - انظر: أيسر التفاسير (٤/٤٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في الطمأنينة، والبشرى.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأعضاد، والصدور، والألسنة، والأيدي مع النبي محمد ﷺ وموسى عليه السلام، وفي حق الذين يدخلون الإسلام.

المطلب الثاني: الرؤوس، والوجوه مع رسول الله ﷺ، ويوسف عليه السلام.

المطلب الثالث: قُرة العيون، ونضارة الوجوه للصالحين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الأعضاء التي ذُكرت في الطمأنينة، والبشرى.

المطلب الأول: الأعضاد، والصدور، والألسنة، مع النبي محمد ﷺ وموسى عليه السلام، وفي حق الذين يدخلون الإسلام.

لقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تتحدث عن أعضاء من جسم الإنسان، ذُكرت مع أصحابها لتبشيرهم بالخير، أو للصبر على الأذى والهموم، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ**﴾ [الشرح: ٣]

التفسير الإجمالي:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ مذكِّره آلاءه عنده، وإحسانه إليه، حاضا له بذلك على شكره، على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ) يا محمد، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحقّ (صَدْرِكَ) فنلِّين لك قلبك، ونجعله وعاء للحكمة: (وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ) أي: وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها، (الَّذِي أَنْقَض ظَهْرَكَ) أي: الذي أثقل ظهرك فأوهنه.[١]

ومعنى: شرحنا لك صدرك: فسحناه حتى وسع عموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أي: نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥] أو حتى احتمل المكاره التي تعرض لها من كفار قومه وغيرهم، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل.[٢] والمعنى: أن الله أزال عنه كل ما كان يتحرج منه من عادات أهل الجاهلية التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من السمو والرفعة ولا يجد بداً من مسايرتهم عليه فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرسالة.

وقوله: (الذي أنقض ظهرك) أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت، أي: خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها.[٣] وأنقض جعل الشيء ذا نقيض، والنقيض صوت صرير

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٩٣).

٢ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٧٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٤٢٩).

٣ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٥/ ٢٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحمل، والرحل، وصوت عظام المفاصل، وفرقعة الأصابع.[١] "وإنما خص الصدر؛ لأنه محل أحوال النفس من العلوم والإدراكات"[٢]

ولمَ ذكر الصدر ولم يذكر القلب؟ والجواب؛ لأن محل الوسوسة هو الصدر على ما قال: ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس: ٥] فإزالة تلك الوسوسة وإبدالها بدواعي الخير هي الشرح، فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب، والقلب محل العقل والمعرفة، وهو الذي يقصده الشيطان، فالشيطان يجيء إلى الصدر الذي هو حصن القلب، فإذا وجد مسلكا أغار فيه ونزل جنده فيه، وبث فيه من الهموم والغموم والحرص، فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للإسلام حلاوة، وإذا طرد العدو في الابتداء منع وحصل الأمن ويزول الضيق وينشرح الصدر ويتيسر له القيام بأداء العبودية.

ولمَ قال: (ألم نشرح لك صدرك) ولم يقل (ألم نشرح صدرك)؟ والجواب: من وجهين أحدهما: كأنه تعالى يقول أنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: ١٤] وهذه الآية في حق سول الله ﷺ فأنا أيضا جميع ما أفعله لأجلك وثانيها: أن فيها تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه السلام، كأنه تعالى قال: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي، ولمَ قال: ألم نشرح ولم يقل ألم أشرح؟ والجواب: إن حملناه على نون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدل ذلك على أن ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنه جلالتها، وإن حملناه على نون الجميع، فالمعنى كأنه تعالى يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك، فأديت الرسالة وأنت قوي القلب ولحقتهم هيبة، فلم يجيبوا لك جوابا، فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك، فسبحان من جعل قوة قلبك جبنا فيهم، وانشراح صدرك ضيقا فيهم.[٣] وتقول حليمة السعدية في حديث الملكين اللذين شقا بطنه ﷺ: فرجعنا به فو الله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم[٤] لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد[٥] فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٣٠/٤١٠).

٢ – فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٦٢).

٣ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٠٦).

٤ – البهم: صغار الغنم واحدتها: بهمة. انظر: مقاييس اللغة (١/ ٣١١).

٥ – اشتد في عدوه: وشد في العدو شدا واشتد: أسرع وعدا. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليهما ثياب بيض، فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه[١] قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدنا[٢] قائما منتقعا[٣] وجهه، قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بني، قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو، قالت: فرجعنا به إلى خبائنا.[٤]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾ [مريم: ٩٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) أي: فإنما يسَّرنا يا محمد ﷺ هذا القرآن بلسانك، تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنة (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش، فإنهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق. واللدّ: جمع الألد، وهو شدة الخصومة، عن مجاهد، قوله: (لُدًا) قال: لا يستقيمون، وعن ابن عباس ﷺ: (قومًا) ظَلَمة، وقيل: الألدّ: الظلوم، كقول الله: ﴿**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾ [البقرة: ٢٠٤] [٥] (قَوْمًا لُدًّا): جمع أَلَدّ مثل أصمّ وَصُمّ، والأَلَدُّ الشديدُ الخُصُومَةِ.[٦]

فهذا القرآن الذي كذب به المشركون سهلنا قراءته عليك إذ أنزلناه بلسانك (لتبشر به المتقين) من عبادنا المؤمنين وهم الذين اتقوا عذاب الله بالإيمان، وصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي، وتنذر به كفار قريش وكانوا ألداء أشداء في الجدل والخصومة.[٧]

ثانياً: المعنى اللغوي:

واللسان: اللغة أي: بلغتك، وهي العربية، كقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء:١٩٢ – ١٩٥] فإن

---

١ – يقال: سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه: إذا ضربت بعضه ببعض، وسمي السوط سوطا لأنه إذا سيط به إنسان أو دابة خلط الدم باللحم، وهو مشتق من ذلك لأنه يخلط الدم باللحم ويسوطه. انظر: لسان العرب (٧/ ٣٢٦).

٢ – (فوجدنا) هكذا كتبت في سيرة ابن هشام (١/١٦٤) مع أنني أرى أن تكتب (فوجدناه) والله أعلم.

٣ – منتقعا: قال النضر: يقال ذلك إذا ذهب دمه وتغيرت جلدة وجهه، إما من خوف، وإما من مرض. انظر: لسان العرب (٨/ ٣٦٣).

٤ – انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٦٤)، صحيح السيرة النبوية (١/ ١٦).

٥ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٢٦٣).

٦ – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٤٧).

٧ – أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٣٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نزول القرآن بأفضل اللغات وأفصحها، هو من أسباب فضله على غيره من الكتب، وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب، وعبر عن الكفار بقوم (لُدّ) ذماً لهم بأنهم أهل إيغال في المراء والمكابرة، أي: أهل تصميم على باطلهم.[١] وروى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ)**.[٢]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾** [طه: ٢٥]

التفسير الإجمالي:

قوله: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) يقول: ربّ اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون، ولفهم ما يرد عليَّ من الأمور[٣] ومعنى شرح الصدر توسيعه، تضرع عليه السلام إلى ربه وأظهر عجزه.[٤]

وقوله: (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) أي: وسهل عليّ القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة.[٥] أي: إن لم تكن أنت عوني ونصيري، وعضدي وظهيري، وإلا فلا طاقة لي بذلك، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم.

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾** [القصص: ٣٤-٣٥]

المعنى اللغوي:

والعضد[٦]: قوام اليد، وبشدّتها تشتد، ويقال في دعاء الخير: شدّ الله عضدك، وفي ضده، فت الله في عضدك، فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد، فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة سُلْطاناً غلبة وتسلطا.[٧]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ١٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦٢)، التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ١٧١).

٢ – صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قوله تعالى: " وهو ألد الخصام" ح ٢٤٥٧ (٣/ ١٣١).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢).

٤– انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٩).

٥ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٢٩٩).

٦ – عضدا أصَاب عضده وأعانه وَنَصره. المعجم الوسيط (٢/ ٦٠٦).

٧ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤١٠)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٩٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) أي: نقوّيك ونعينك بأخيك، تقول العرب إذا أعزّ رجل رجلا وأعانه عليه ممن أراده بظلم: قد شدّ فلان على عضد فلان، وهو من عاضده على أمره: إذا أعانه. و جاء هنا على طريق التمثيل؛ لأن قوة اليد بالعضد[١] وفي الكلام المنقول من العرب أن رجلا قيل له: (مات أبوك، قال: ملكت نفسي، قيل له: مات ولدك، قال: تفرغ قلبي، قيل: ماتت زوجتك، قال: تجدد فراشي، قيل: مات أخوك، قال: وانفصام ظهراه)، وقال الشاعر[٢]:

أَخَاك أَخَاك إِن من لَا أَخا لَهُ كساع إِلَى الهيجا بِغَيْر سلَاح

وَإِن ابْن عَم الْمَرْء فَاعْلَم جنَاحه وَهل ينْهض الْبَازِي بِغَيْر جنَاح؟ !

وقدم الله الأخ على سائر الأقارب في قوله تعالى: **﴿يَوْم يفر الْمَرْء من أَخِيه﴾** [عبس: ٣٤]؛ لأن الإنسان إلى أخيه أميل، وبه آنس، وإليه أسكن.[٣]

وقال بعض السلف: ليس أحد أعظم منة على أخيه، من موسى على هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه إلى فرعون ومَلَئِهِ، وقوله تعالى: (ونجعل لكما سلطانا) أي: حجة قاهرة، (فلا يصلون إليكما بآياتنا) أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله، كما قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾** [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** [الأحزاب: ٣٩] أي: وكفى بالله ناصرا ومعينا ومؤيدا، ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة، فقال: (أنتما ومن اتبعكما الغالبون).[٤]

والشد: الربط، وشأن العامل بعضو إذا أراد أن يعمل به عملا متعبا للعضو أن يربط عليه؛ لئلا يتفكك أو يعتريه كسر، وفي ضد ذلك قال تعالى: **﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** [الأعراف: ١٤٩] وقولهم: فت في عضده، وجعل الأخ هنا بمنزلة الرباط الذي يشد به، والمراد: أنه يؤيده

---

١ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٨٧).

٢ – مِسكِين الدارِمي ربيعة بن عامر بن أنيف (بالتصغير) بن شريح الدارميّ التميمي: شاعر عراقيّ شجاع. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٦).والبيت موجود في كتاب الحكم والأمثال في الشعر العربي تأليف أحمد قبش بن محمد نجيب (١٢٨/١).

٣– انظر: تفسير السمعاني (٤/ ١٤٠).

٤ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بفصاحته، فتعليقه بالشد ملحق بباب المجاز العقلي، (والسلطان) هنا مصدر بمعنى التسلط على القلوب والنفوس، أي: مهابة في قلوب الأعداء ورعبا منكما، كما ألقى على موسى عليه السلام محبة حين التقطه آل فرعون.[١]

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾** [الزمر: ٢٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) أي: أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته (فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) أي: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق، واتباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، والمعنى أي: وسع صدره للإسلام، وعلى الهدى من ربه، وذكر شرح الصدر للإسلام؛ لأن الانتفاع الكامل لا يحصل إلا به فوسعه لقبول الحق، وفتحه للاهتداء إلى سبيل الخير، ويقال اقشعر جلده: إذا تقبض وتجمع من الخوف، والمعنى: أنها تأخذهم منه قشعريرة. قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة.[٢]

وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له، فإنه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام، فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره.[٣] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْهُ قَالَ: **(تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾** [الأنعام: ١٢٥] **فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ؟ قَالَ: نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ).**[٤]

وقوله: (فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أي: فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكرا به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدّق بما فيه.[٥]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٧).

٢ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٢٦).

٣ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٥٠).

٤ – المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الرقاق، ح ٧٨٦٣ (٤/ ٣٤٦).

٥ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٢٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي:

و(القسوة) : "شدة القلب، وهي مأخوذة من قسوة الحجر، شبه قلب الكافر به في ضلالته وقلة انفعاله للوعظ. وقال مالك بن دينار: (ما ضرب العبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب.)[١]

والخلاصة من دخل نور الإسلام قلبه، وانشرح صدره له لمّا رأى فيه من البدائع والعجائب المهيئة للحكمة، الممهدة لقبول الحق والموصلة إلى الرشاد، أصبح قلبه ليناً ومنشرحاً، وعلامة ذلك الانشراح الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت، قبل حلول الموت. فهل يستوي من أنار الله بصيرته ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق؟

المطلب الثاني: الرؤوس، والوجوه والأيدي مع رسول الله ﷺ، ويوسف عليه السلام.

لقد ذكر القرآن الكريم الكثير من المواقف التي حدثت مع الأنبياء عليهم السلام، منها ما كان ابتلاءً، ومنها ما كان بشرى، ومن الأعضاء التي ذكرت في سياق البشرى الوجوه، والرؤوس ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** [يوسف: ٩٦]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قال الطبري في معنى الآية: "أي: فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ والبشير (يهوذا بن يعقوب) أخا يوسف لأبيه، وذلك بريدٌ، فيما ذكر، كان يوسف أرسله إليه. (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين) قال يهوذا: أنا ذهبتُ بالقميص، ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حيٌّ فأفرحه كما أحزنته، فهو كان البشير، وقوله: (فلما أن جاء البشير) ألقى القميص على وجهه (فارتد بصيرًا) أي: رجع وعادَ مبصرًا بعينيه، بعد ما قد عمي".[٢]

وقوله: (فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً) أي: ألقوه على وجهه حين وصولكم إليه دون تأخير، يصبح بصيراً، وقد علم هذا إما بوحي من الله، وإما لأنه علم أن أباه ما أصابه إلا من كثرة البكاء، وضيق النفس فإذا ألقى عليه قميصه شرح صدره، وسر أعظم السرور، وقوي بصره وزالت منه هذه الغشاوة التي رانت عليه.[٣] والقميص ألصق الثياب بالجسم، فإظهار الكرامة به

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٢٧).

٢ – جامع البيان (١٦/ ٢٥٨–٢٥٩).

٣ – انظر: تفسير المراغي (١٣/ ٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أدل على كمال دين صاحبه وعراقته في أمور الإيمان، وهو يؤول في المنام بالدين، وذلك أدخل في كمال السرور ليعقوب عليه السلام.[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (فارتد): يقال رده فارتده وارتده إذا ارتجعه.[٢] "والارتداد: انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها."[٣] فبعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده، وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصرا عليهم، (قال ألم أقل لكم) أي: قوله: (إني لأجد ريح يوسف) أو قوله: (ولا تيأسوا من روح الله) [٤] وقوله: (إني أعلم من الله ما لا تعلمون) أي: أعلم أن الله سيرده إلي.[٥]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح: ١٠]

أولاً: سبب النزول:

"عن سلمة بن الأكوع[٦] ﷺ قال بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فأنزل الله **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾** [الفتح: ١٨]".[٧]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية من أصحابك على أن لا يفرّوا عند لقاء العدوّ، ولا يولُّوهم الأدبار (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) أي: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله؛ لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك، وقوله: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة؛ لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ والآخر: قوّة الله فوق قوّتهم في نصرة رسوله ﷺ ؛ لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نُصرته على العدو، وقوله: (فَمَنْ نَكَثَ

---

١ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٢١٢).

٢ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ١٣٤)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٠٤).

٣ – فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٤).

٤– انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٧٦).

٥ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤١٠).

٦ – وقيل: سلمة بْن عمرو بْن الأكوع، واسم الأكوع سنان بْن عَبْد اللَّهِ بْن قشير، يكنى أبا مسلم، وكان سلمة ممن بايع تحت الشجرة مرتين،وكان شجاعًا راميًا محسنًا خيرًا فاضلًا، ، وقال له رَسُول اللَّهِ ﷺ "خير رجالتنا سلمة بْن الأكوع" انظر: أسد الغابة (٢/ ٥١٧).

٧– لباب النقول (١/ ١٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) أي: فمن نكث بيعته إياك يا محمد، ونقضها فلم ينصرك على أعدائك، وخالف ما وعد ربه فإنما ينقض بيعته؛ لأنه بفعله ذلك يخرج ممن وعده الله الحنة بوفائه بالبيعة، فلم يضرّ بنكثه غير نفسه، ولم ينكث إلا عليها، فأما رسول الله ﷺ فإن الله تبارك وتعالى ناصره على أعدائه، نكث الناكث منهم، أو وَفّى ببيعته.[١] وروى الإمام مسلم بسنده عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: **(كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وقَالَ جَابِرٌ ﷺ : لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَأَرَيْتُكُمْ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ).**[٢] وكانت البيعة على عدم الفرار كما وروى الإمام مسلم بسنده عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ قَالَ: **(لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ، وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ).**[٣] (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) قال ابن عبّاس ﷺ: (يَدُ اللَّهِ بالوفاء لما وعدهم من الخير فَوْقَ أَيْدِيهِمْ بالوفاء)، وقال السدي[٤]: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) وذلك أنّهم كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، (ويَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) عند المبايعة، وقيل: نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة وقيل: قوّة الله ونصرته فوق قوّتهم ونصرتهم.[٥]

وفي الآية (مشاكلة) في مقابلة يده بأيديهم، والمعنى: أن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت بينهما، قاله الزمخشري والكرخي[٦]، وقيل: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم.

وهذه الآية فيها أيضاً دلالة على مشروعية البيعة.[٧] وقوله: (فَمَنْ نَكَثَ) يعني البيعة، والمراد: بيعة الرضوان (فإنما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه، فهم إنما يبايعون الله أي: من يبايعك أيها النبي إذا نكث لا يكون نكثه عائدا إليك؛ لأن البيعة مع الله لأنه لا

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٢/ ٢٠٩).

٢ – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام، ح ١٨٥٦ (٣/ ١٤٨٤).

٣ – صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام، ح ١٨٥٨ (٣/ ١٤٨٥).

٤ – إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس. الأعلام للزركلي (١/ ٣١٧).

٥ – انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٤٥)، الوجيز للواحدي (١/ ١٠٠٨)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ١٢٩).

٦ – هو معروف بن فيروز، ت ٢٠٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢١).

٧ – انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/ ٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتضرر بشيء، فضرره لا يعود إلا إليه.[١] والنكث: كالنقض للحبل قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا**﴾ [النحل: ٩٢]

ثالثاً: سبب البيعة:

قال ابن إسحاق[٢]: (خرج عثمان ﷺ إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص[٣] حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان ﷺ قد قتل) قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله ﷺ يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.[٤] والكلام تحذير من نكث هذه البيعة وتفظيع له؛ لأن الشرط يتعلق بالمستقبل.[٥]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١- "وجوب الإيمان بالله ورسوله ووجوب نصرة الرسول وتعظيمه ﷺ.

٢- وجوب الوفاء بالعهد، وحرمة نقض العهد ونكثه."[٦]

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨/ ٧٣).

٢ – محمد بن إسحاق أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٦).

٣ – أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد مناف القرشي الأموي. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ١٦٨)

٤ – انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥).

٥ – انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٥٨).

٦ – أيسر التفاسير (٥/ ٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: ٢٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) قال: هو دخول محمد ﷺ البيت والمؤمنون، محلقين رءوسهم ومقصرين.

وفي قوله تعالى: (الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) عن مجاهد قال: "أُرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت (لقد صدق الله رسوله الرؤيا)".[١]

واختلف أهل التأويل في الفتح القريب، الذي جعله الله للمؤمنين دون دخولهم المسجد الحرام محلِّقين رءوسهم، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله ﷺ وكان صلح الحُديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عمّ ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك.

"والصواب أن يعمه كما عمه، فيقال: جعل الله من دون تصديقه رؤيا رسول ﷺ بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلِّقين رءوسهم ومقصِّرين، لا يخافون المشركين صلح الحُديبية وفتح خيبر".[٢]

ثانياً: الإعراب:

وقوله: (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة؛ لأنهم في حال حرمهم لم يكونوا محلقين ومقصرين، وإنما كان هذا في ثاني الحال، كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره[٣].

روى الإمام مسلم بسنده عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(حَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحَلَقَ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَصَّرَ بَعْضُهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللهِ ﷺ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: وَالْمُقَصِّرِينَ**[٤] وروى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ**

---

١ – لباب النقول (١/ ١٧٨).

٢ – جامع البيان (٢٢/ ٢٦٠).

٣ – انظر: القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٣٥٦).

٤ – صحيح مسلم، كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير، ح ١٣٠١ (٢/ ٩٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَالمُقَصِّرِينَ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ: **رَحِمَ اللَّهُ المُحَلِّقِينَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ**، قَالَ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ ﷺ: وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: **وَالمُقَصِّرِينَ)**[١]

وقوله:(آمنين محلقين رءوسكم) "أي: جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها".[٢]

وقوله: (ومحلقين رؤسكم) حال من ضمير آمنين وعطف عليه (ومقصرين) والتحليق والتقصير كناية عن التمكن من إتمام الحج والعمرة، وذلك من استمرار الأمن على أن هذه الحالة حكت ما رآه رسول الله ﷺ في رؤياه، أي: يحلق من رام الحلق ويقصر من رام التقصير، أي: لا يعجلهم الخوف عن الحلق فيقتصروا على التقصير.[٣] "والتحليق والتقصير جميعا للرجال، ولذلك غلب المذكر على المؤنث، والحلق أفضل، وليس للنساء إلا التقصير".[٤]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-تقرير أن رؤيا الأنبياء حق.

٢- تعبير الرؤيا قد يتأخر سنة أو أكثر.

٣- مشروعية الحلق والتقصير للتحلل من الحج أو العمرة وإن الحلق أفضل لتقدمه.

٤- مشروعية قول إن شاء الله في كل قول أو عمل يراد به المستقبل.

٥- الإسلام هو الدين الحق وما عداه فباطل.[٥]

المطلب الثالث: قُرة العيون، ونضارة الوجوه للصالحين.

إن من كرم الله على عباده الصالحين، أن يكرمهم في الدنيا والآخرة لما قدموه من طاعات، وعبادات، فكان حقاً على الله أن يكرمهم، ومن هذا الكرم قرة العيون، ونضارة وجوههم، وقد تحدثت عن ذلك بعض آيات القرآن الكريم منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾** [ص: ٥٢]

المعنى اللغوي:

قوله تعالى: (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي: نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم، أي: عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن.[٦] ونظير ذلك قوله تعالى: **﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾** [الصافات: ٤٨] وقاصرات الطرف

١- صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال، ح ١٧٢٧ (٢/ ١٧٤).

٢ - تفسير الجلالين (١/ ٦٨٣).

٣ - انظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٠).

٤ - الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٩١).

٥ - انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ١١٦).

٦ - انظر: جامع البيان (٢١/ ٢٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صفة لموصوف محذوف، أي: نساء قاصرات النظر، وتعريف الطرف تعريف الجنس الصادق بالكثير، أي: قاصرات الأطراف، و(الطرف): النظر بالعين، وقصر الطرف توجيهه إلى منظور غير متعدد، فيجوز أن يكون المعنى: أنهن قاصرات أطرافهن على أزواجهن، فالأطراف المقصورة أطرافهن، وإسناد (قاصرات) إلى ضميرهن إسناد حقيقي، أي: لا يوجهن أنظارهن إلى غيرهم وذلك كناية عن قصر محبتهن على أزواجهن، ويجوز أن يكون المعنى: أنهن يقصرن أطراف أزواجهن عليهن فلا تتوجه أنظار أزواجهن إلى غيرهن اكتفاء منهم بحسنهن، وذلك كناية عن تمام حسنهن في أنظار أزواجهن بحيث لا يتعلق استحسانهم بغيرهن.[١]

وقوله: (أتراب) أي: "أمثال، ويقال: لدات مستويات الأسنان، وعن مجاهد: أتراب متواخيات لا تتعادين ولا تتباغضن، وقيل: لا تتغايرن، قال يحيى بن سلام[٢]: بنات ثلاث وثلاثين سنة، وعن بعضهم: أتراب أي: خلقن على مقادير أزواجهن".[٣] وكأن اللدات سُمِّين أترابا؛ لأن التراب مسهن في وقت واحد، وإنما جعلن على سنّ واحدة؛ لأن التحاب بين الأقران أثبت، وقيل: هنّ أتراب لأزواجهن، أسنانهنّ كأسنانهم.[٤] أو بعضهن لبعض أقرب لا عجوز فيهن ولا صبية.[٥]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾** [مريم: ٢٦]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا) فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السريّ الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعًا ولا عطشًا (وَقَرِّي عَيْنًا) أي: وطيبي نفسا وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني ونصبت العين؛ لأنها هي الموصوفة بالقرار، وإنما معنى الكلام: ولتقرّ عينك بولدك.[٦] وقرة العين مأخوذة من القر، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس، ولذلك قالوا في الدعاء عليه: (أَسْخَنَ اللهُ عينَه) وفي الدعاء له:

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٨٢-٢٨٣).

٢ – يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من " التابعين " وروى عنهم. ولد بالكوفة، توفي في عودته من الحج. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٨).

٣ – تفسير السمعاني (٤/ ٤٤٩).

٤ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٠٠)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٦٠).

٥ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٣١)

٦ – انظر: جامع البيان (١٨/ ١٨١-١٨٢)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٨٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(أقرَّ اللهُ عينَه) وقالت فرقة: الدمع كله سخن، وإنما معنى (قرة العين) أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع إذ لا حزن بهذا الأمر الذي قرت به العين، وقيل: (قَرِّي عَيْناً) أي: نامي، حضها على الأكل والشرب والنوم، واشتقاق (قري) من القرور، وهو الماء البارد، أو القرار أو من القر فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره،[١] لذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه، وقوله: (عَيْناً) نصب على التمييز.[٢]

وقرة العين: كناية عن السرور بطريق المضادة، لقولهم: سخنت عينه إذا كثر بكاؤه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩] وقرة العين تشمل هناء العيش، وتشمل الأنس بالطفل المولود، وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته ونباهة شأنه.[٣]

وقوله: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) أي: فإن رأيتِ من بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أي: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتا ألا أُكَلِّم أحدًا من بني آدم اليوم (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)[٤]

فقولي: (إني نذرت للرحمن صوما) أي: سكوتا أو صمتا، أو صياما (فلن أكلم اليوم إنسيا) أي: لا تخاطبيهم بكلام، لتستريحي من قولهم وكلامهم، فإن رأيت آدميا فقولي فلن أكلم بعد أن أخبرتكم بنذري أحداً وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي فقط، وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها؛ لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعاوى التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا.[٥]

---

١ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٢)، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٢٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٩)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ٥٩٠)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/ ١٥).

٢ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٦٣)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ١٩٠).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٨٩).

٤ – انظر: جامع البيان (١٨/ ١٨٢).

٥ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٩٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٣٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: المعنى اللغوي:

والإنسي: الإنسان، والياء فيه للنسب إلى الإنس، وهو اسم جمع إنسان، فياء النسب لإفادة فرد من الجنس مثل: ياء حرسي لواحد من الحرس، وهذا نكرة في سياق النفي يفيد العموم، أي: لن أكلم أحدا.[١]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١- من مظاهر قدرة الله تعالى حمل مريم ووضعها في خلال ساعة من نهار.

٢- إثبات كرامات الله لأوليائه، إذ أكرم الله تعالى مريم بنطق عيسى ساعة وضعه فأرشدها وبشرها، وأذهب عنها الألم والحزن، وأثمر لها النخلة فأرطبت وأجرى لها النهر بعد يبسه.

٣- تقرير نظام الأسباب فإن الله تعالى قد أثمر لمريم النخلة؛ إذ هذا لا يمكنها القيام به ثم أمرها أن تحرك النخلة من جذعها؛ ليتساقط عليها الرطب الجني.

٤- مشروعية النذر إلاّ أنه بالامتناع عن الكلام، وهو منسوخ في الإسلام.[٢]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾** [طه: ٤٠]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) أي: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: (هل أدلكم على من يكفله) أي: على امْرَأَة ترْضِعه، وتضمه إِلَيْهَا، وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لِما حدث لموسى عليه السلام حيث لما ألقته أمه في اليم (قَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ) فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له المرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ منهن، وقوله: (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ) أي: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك، وقد بَينا معنى قُرَّة الْعين، وَهُوَ إِشَارَة إِلَى فرحها وسرورها، (وَلَا تحزن) أَي: يذهب عَنْهَا الْحزن.[٣] (كي تقر عينها ولا تحزن) فالمراد أن المقصود من ردك إليها حصول السرور لها وزوال الحزن عنها، فإن قيل: لو قال كي لا تحزن

١ - انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٩٤).

٢ - انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٣٠٣).

٣ - انظر: جامع البيان (١٨/ ٣٠٥-٣٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتقر عينها كان الكلام مفيدا؛ لأنه لا يلزم من نفي الحزن حصول السرور لها، وأما لما قال أولا كي تقر عينها كان قوله بعد ذلك: ولا تحزن فضلاً؛ لأنه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة، قلنا: المراد أنه تقر عينها بسبب وصولك إليها فيزول عنها الحزن بسبب عدم وصول لبن غيرها إلى باطنك.[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والمراد بقرة العين: السرور برجوع ولدها إليها بعد أن طرحته في البحر وعظم عليها فراقه (ولا تحزن) أي: لا يحصل لها ما يكدر ذلك السرور من الحزن بسبب من الأسباب، ولو أراد الحزن بالسبب الذي قرت عينها بزواله لقدم نفي الحزن على قرة العين، فيحمل هذا النفي للحزن على ما يحصل بسبب يطرأ بعد ذلك، ولعل المقصود بذكر تنجيته من الغم الحاصل له بذلك السبب، وتنجيته من المحن هو الامتنان عليه بصنع الله سبحانه له، وتقوية قلبه عند ملاقاة ما سيقع له من ذلك مع فرعون وبني إسرائيل.[٢] وهذا مثاله: **﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [القصص: ١٣] بردِّ موسى إليها، (وَلاَ تَحْزَنَ) عطف على (تَقَرَّ) ودمعةُ الفرح قارّةٌ، ودمعةُ التَّرَح حارَّةٌ.

وقوله: (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) أي: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى، وقوله: (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) أي: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك، وقوله: (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا. [٣]

والفتون: يحتمل أن يكون مصدرا كالثبور، والشكور، والكفور أو جمع فتنة، وقوله: (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) أي: الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب (ثم جِئْتَ عَلى قَدَرٍ) أي: بميقات محدود قدره الله لنبوتك.[٤] وقوله:(وفتناك فتونا) أي: وأوقعناك فى محنة بعد محنة وتفضلنا عليك بالخلاص منها، فمن ذلك:

١- إن أمك حملت بك فى السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأبناء، فنجاك الله من الذبح.

٢- إن أمك ألقتك فى البحر بعد وضعك فى التابوت فالتقطك آل فرعون وعنوا بتربيتك ورعايتك.

٣- إنك امتنعت عن الرضاع إلا من ثدى أمك وكان ذلك وسيلة إلى إرجاعك إليها.

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٥٠).

٢ – فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣١-٤٣٢).

٣ – انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٣٣٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦).

٤ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- إنك أخذت بلحية فرعون فغضب من ذلك وأراد قتلك لولا أن قالت له زوجه: إنه صغير لا يفرق بين الجمرة والتمرة وأتى لك بهما فأخذت الجمرة.

٥- قتلك القبطي وخروجك إلى مدين هاربا.[١]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١- مظاهر لطف الله تعالى وحسن تدبيره في خلقه.

٢- مظاهر إكرام الله تعالى ولطفه بعبده ورسوله موسى عليه السلام.

٣- آية حب الله تعالى لموسى، وأثر ذلك في حب الناس له.

٤- تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره في كتابه بمثل هذه الأحداث في قصص موسى.[٢]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٥١]

أولاً: سبب النزول:

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: **(كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقُولُ: وَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ)** " **قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللهِ، مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ).**[٣] وقيل: إن الآية منسوخة بقوله: **﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾** [الأحزاب: ٥٢]

وللعلماء في هذه الآية ثمانية أقوال منهم من قال: هي منسوخة بالسنة ومنهم من قال: هي منسوخة بآية أخرى وكان الله عز وجل قد حظر عليه التزوج بعد من كان عنده ثم أطلقه له وأباحه بقوله تعالى **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾** [الأحزاب: ٥١] ومن العلماء من قال الآية محكمة ولم يكن له ﷺ أن يتزوج سوى من كان عنده ثوابا من الله تعالى لهن حين اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ومنهم من قال: هي محكمة ولكن لما حظر عليهن أن يتزوجن بعد موته حظر عليه أن يتزوج غيرهن ومنهم من قال المعنى لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة يعني.[٤]

---

١ - انظر: تفسير المراغي (١٦/ ١١١).

٢ - انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٣٤٩).

٣- صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، ح ١٤٦٤ (٢/ ١٠٨٥).

٤ - انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٦٢٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وفي رواية أبي بكر (ترجئ) مهموزا، وقرأ عاصم في رواية حفص ونافع وحمزة والكسائي بغير همز (ترجي).[١]

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) والراجح كما يقول الطبري: " أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء، والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن".[٢]

فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك فلا تقربها وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك، أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن، فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك، فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم.

واختلف أهل التأويل في تأويل (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) والراجح كما يقول الطبري: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك (مِمَّنْ عَزَلْتَ) عن ذلك منهن (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ) لدلالة قوله: (ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) على صحة ذلك؛ لأنه لا معنى لأن تقر أعينهن إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهن، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن.[٣]

وقوله: (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن، وقلة حزنهن ورضاهن جميعا؛ لأنه حكمٌ كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن، وذهب التغاير، وحصل الرضا وقرت العيون. [٤] وقوله: (والله يعلم ما فى قلوبكم) أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة والمستحبة، وعند المزاحمة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله؛ لتطمئن قلوب زوجاتك، وفيه وعيد لمن لم يرضَ منهن بما

---

١ – انظر: الحجة للقراء السبعة (٥/ ٤٧٨)، حجة القراءات (١/ ٥٧٨).

٢– جامع البيان (٢٠/ ٢٩٤).

٣ – انظر: المرجع السابق (٢٠/ ٢٩٤).

٤ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٤٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٣٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دبر الله من ذلك، وفوض إلى مشيئة رسوله، فاجتهدوا في إحسانه، وقوله: (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقي ويحذر أي: واسع العلم، كثير الحلم، ومن علمه أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم، ومن حلمه أنه لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر.[١]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه.

٢- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح ما لا يقادر قدره.[٢]

وكانت سودة بنت زمعة ﵂ تعطي ليلتها لعائشة بدليل ما روته عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: **(مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا[٣] مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ ﵂ مِن امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبِرَتْ، جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ ﵂ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ ﵂ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ)** [٤]

وكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به محمولا على بيوت أزواجه، إلى أن استأذنهن أن يقيم في بيت عائشة، جاء في صحيح مسلم عن عُبَيْدِ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ﵁ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂ أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: **(أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَاسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِهَا وَأَذِنَّ لَهُ قَالَتْ: فَخَرَجَ وَيَدٌ لَهُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄ وَيَدٌ لَهُ عَلَى رَجُلٍ آخَرَ، وَهُوَ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ".**[٥] وروى مسلم **عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ ﷺ لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: (أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟) اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي[٦] وَنَحْرِي[٧])**[٨]

---

١ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٧٠).

٢ – أيسر التفاسير (٤/ ٢٨٤).

٣ – (مسلاخها) المسلاخ هو الجلد ومعناه أن أكون أنا هي (من امرأة) كأنها تمنت أن تكون في مثل هديها وطريقتها، ومسلاخ الحية جلدها، والسِّلخُ بالكسر: الجلد. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٨٩/٢).

٤ – صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، ح ١٤٦٣(٢/ ١٠٨٥).

٥ – صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، ح ٤١٨ (١/ ٣١٢).

٦ – السحر: الرئة، أي أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى سحرها منه. وقيل السحر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٦).

٧ – النحر : وهو أعلى الصدر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٧).

٨ – صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة، ح ٢٤٤٣ (٤/ ١٨٩٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى هذا يجب على الرجل أن يعدل بين نسائه لكل واحدة منهن يوما وليلة، هذا قول عامة العلماء، وذهب بعضهم إلى وجوب ذلك في الليل دون النهار ولا يسقط حق الزوجة مرضها ولا حيضها، ويلزمه المقام عندها في يومها وليلتها، وعليه أن يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته، إلا أن يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض، فإذا صح استأنف القسم.[١]

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

التفسير الإجمالي:

وقوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) أي: وجوه يومئذ، أي: يوم القيامة ناضرة: يقول حسنة جميلة من النعيم يقال من ذلك: نَضُر وجه فلان: إذا حَسُن من النعمة، ونضَّرَ الله وجهه: إذا حسَّنه كذلك، واختلف أهل التأويل في (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) اختلف في معنى (ناضرة) فقيل: الناضرة: الناعمة، وقيل: الوجوه الحسنة، وقيل: من السرور والنعيم والغبطة، وقيل: إنها تنظر إلى ربها نظرا، والراجح كما يقول الطبري: "أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها"[٢] فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: **(أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ، قَالُوا: لاَ، قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟: قَالُوا: لاَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا تُضَارُونَ[٣] فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا... أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا).**[٤] وروى وروى مسلم عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ).**[٥]

---

١ – انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢١٧).

٢ – جامع البيان (٢٤/ ٧١).

٣ – (تضارون) ضار أحدهما الآخر ولحقهما ضَرَر وضيم أي: يصيبكم ضرر. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١/ ٥٣٨).

٤ – صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله لا يظلم مثقال ذرة، ح ٤٥٨١ (٦/ ٤٤).

٥ – صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ح ١٨١ (١/ ١٦٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك من الأحاديث الكثيرة التي لا داعي لذكرها التي بينت بالدليل القاطع أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة.

وقال ابن الأنباري[١]: في هذه الآية (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ، إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ) "دليل على إثبات الرؤية؛ لأن النظر إذا قرن بالوجه، وعدّي بحرف الجر، دل على أنه بمعنى النظر بالبصر، فيقال: نظرت الرجل: إذا انتظرته، ونظرت إليه: إذا أبصرته، وكلمة (وُجُوهٌ) مبتدأ، وابتدأ بالنكرة؛ لأنها تخصصت بقوله: (يَوْمَئِذٍ) و(ناضِرَةٌ) خبر (وُجُوهٌ)".[٢]

وحمل جميع أهل السنة هذه الآية على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله عز وجل بلا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم موجود، لا يشبه الموجودات، كذلك هو سبحانه مرئي لا يشبه المرئيات في شيء فإنه ليس كمثله شيء لا إله إلا هو[٣] والناضرة أي: دائماً هم محدقون أبصارهم نحو جوده بالتجلي لا غفلة لهم عن ذلك، فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم.[٤] فهي تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.[٥]

والخلاصة من هذا المبحث أن هناك أعضاءً ذكرت في الطمأنينة والبشربمع الرسولﷺ وغيره من الأنبياء كالأعضاد، والصدور، والألسنة، والرؤوس، والوجوه، وقرة العيون ونضارة الوجوه للصالحين.

---

١ – هو محمد بن القاسم، أبو بكر الأنباري الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون . انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٣).

٢ – التفسير المنير للزحيلي (٢٩/ ٢٦١).

٣ – انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٢٣).

٤ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ١٠٥).

٥ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٨٩٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم، والإعراض عن دعواتهم.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم.

المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الإعراض، والصد عن الدعوة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأيدي، والعيون، والآذان، والأطراف.

المطلب الثاني: الأرجل، والسيقان.

المطلب الثالث: الرؤوس، واللحى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم.

المطلب الأول: الأيدي، والعيون، والآذان، والأطراف.

لقد أيد الله تعالى أنبياءه عليهم السلام بمعجزاتٍ تصديقاً لهم في دعوتهم، وكان لأعضاء جسم الإنسان دورٌ بارز في هذه المعجزات، ومن هذه الأعضاء الأيدي، والعيون، والأطراف، وقد تحدثت عن ذلك العديد من الآيات منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾** [ص: ٤٤]

أولاً: القراءات:

قوله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ) إجماع القراء على لفظ الجمع إلّا ما قرأه ابن كثير من التوحيد، فالحجة لمن جمع: أنه أتى بالكلام على ما أوجب له من تفصيل الجمع بعده والحجة لمن وحّد: أنّه اجتزأ بلفظ الواحد من الجمع؛ لدلالة ما يأتي عليه.[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) أي: وقلنا لأيوب عليه السلام: خذ بيدك ضغثا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرُّطْبة، وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق، وكان أيوب عليه السلام حلف على أن يضرب زوجته، فأخذ من الشجر أكثر من مِئَة عود، فضرب به ضربة واحدة، فذلك مِئَة ضربة، فبرّت يمينه، وقوله: (وَلا تَحْنَثْ) أي: ولا تحنَثْ في يمينك. [٢]

وقال الزجاج: وسبب حنث أيوب أن امرأته قالت: لو ذبحت عناقاً باسم الشيطان؟ فقال: لا، وَلاَ كَفّاً مِن تُرَاب، فلما أغضبته بهذا ونحوه، حلف لها لئن برىء من مرضه ليضربنها مائة سوط، فلما برىء أمره الله أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب وحلف وأمر بأن يبرّ في يمينه.[٣]

وقيل: إنها قطعت الذوائب عن رأسه؛ لأن المضطر إلى الطعام يباح له ذلك بل الأقرب أنها خالفته في بعض المهمات، وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فأبطأت فحلف في مرضه ليضربنها مائة إذا برىء، ولما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها، وقيل: جاءها إبليس في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب عليه السلام، فقال أداويه على

---

١ – انظر: الحجة في القراءات السبع (١/ ٣٠٥).

٢ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٢١٢-٢١٤).

٣ – انظر: بحر العلوم (٣/ ١٦٩)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٠٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنه إذا برىء قال أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب عليه السلام بذلك فحلف ليضربنها.[١]

روي عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعْدٍ[٢] ﷺ قَالَ: كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا رَجُلٌ ضَرِيرُ الْجَسَدِ، فَلَمْ يَرُعْ أَهْلُ الدَّارِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى يَعْنِي جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الدَّارِ يَفْجُرُ بِهَا فَرَفَعَ سَعْدٌ شَأْنَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اضْرِبُوهُ حَدَّهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ ضَرَبْنَاهُ قَتَلْنَاهُ هُوَ أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَخُذُوا عِثْكَالًا فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ[٣]، فَاضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَفَعَلُوا).**[٤]

وقوله: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده، وذهاب ماله، وأهله، وولده، ولا يخل به شكواه إلى الله من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين.[٥] وأثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أي: رجاع منيب.

وقوله: (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) قال مجاهد: "أي: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيره"ا، وكذا قال السدي: "ذكرهم للآخرة وعملهم لها"، وقيل: جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر". [٦]

ثالثاً: المعنى اللغوي:

وقوله: (أولي الأيدي) أي: القوة الشديدة والأعمال السديدة فعبر بالأيدي عن الأعمال؛ لأن أكثرها تباشر بها (والأبصار) أي: الحواس الظاهرة والباطنة التي هي حقيقة بأن تذكر وتمدح بها لقوة إدراكها، وعظمة نفوذها فيما هو جدير بأن يراعى من جلال الله، ومراقبته في الحركات والسكنات سراً وعلناً، وعبر عن ذلك بالأبصار، وعبر بالأبصار عن المعارف؛ لأنها

---

١ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٩٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٠١).

٢ – هو سعيد ابن سعد ابن عبادة الأنصاري الخزرجي صحابي صغير وقد ولي بعض اليمن لعلي. تقريب التهذيب (ص: ٢٣٦).

٣ – شمرخ: الشمراخ والشمروخ: العثكال الذي عليه البسر، وأصله في العذق وقد يكون في العنب. انظر: لسان العرب (٣/ ٣١).

٤ – انظر: السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، باب ذكر الاختلاف على يعقوب...، ح ٧٢٦٨ (٦/ ٤٧٣).

٥ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١)، مسند أحمد بن حنبل، حديث سعد بن عبادة، ح ٢١٩٨٥، (٥/٢٢٢). قال: الأرنؤوط حديث صحيح.

٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٧٦)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧/ ١٩٨)، تيسير الكريم الرحمن (١/٧١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقوى مبادئها، وفيه تعريض بالجهلة وتوبيخ على تركهم المجاهدة، والتأمل مع تمكنهم منهما، ومن لم يكن مثلهم كان مسلوب القوة والعقل، فلم يكن له عقل فكان عدماً، فهو أعظم توبيخ لمن رزقه الله قوة وعقلاً، ثم لا يصرفه في عبادة الله والمجاهدة فيه سبحانه.[١]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١-تقرير نبوة محمد ﷺ .

٢-ابتلاء الله تعالى لمن يحبه من عباده ليزيد في علو مقامه ورفعة شأنه.

٣-فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة.

٤-وجوب الكفارة على من حنث في يمينه.

٦-فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وروى الإمام مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: **(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)**.[٢]

٧-فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائماً؛ لأنها تساعد على الطاعة.

٨-فضل التقوى وأهميتها للمؤمن.

٩-نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون.

١٠-فضيلة الاقتداء بالصالحين والاقتداء في الخير بهم.[٣]

والخلاصة أنه يجوز للرجل إذا حلف ليضربن إنساناً آخر مائة ضربة، فضربه ضربا خفيفا فهو بار في حنثه، ولا يشترط الضرب الذي يؤلم-والله أعلم-

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾** [الأعراف: ١١٦]

التفسير الإجمالي:

قال الطبري: (سحروا أعين الناس) "خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخُدَع أنها تسعى"[٤] فهم صرفوا العيون عن حقيقة إدراكها وخوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى[٥] (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) أي: واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم، حتى خافوا من العصيّ

١ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٣٩٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢١٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٢٩).

٢– صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة...، ح ٢٦٦٤ (٤/ ٢٠٥٢).

٣ – انظر أيسر التفاسير: (٤/ ٤٥٣-٤٥٤).

٤ – جامع البيان (١٣/ ٢٧).

٥ – انظر: تفسير الجلالين (١/ ٢٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحبال، ظنًّا منهم أنها حيات، (وجاؤوا) كما قال الله: (بسحر عظيم) بتخييل عظيم كبير، من التخييل والخداع.[١]

وهؤلاء السحرة كانوا ألف رجل وخمسمائة رجل ومع كل واحد منهم عصا: وقد كانوا خاطوا الحبال وجعلوها مموهة بالرصاص وحشوها بالزئبق، حتى إذا ألقوها تحركت كأنها حيات؛ لأن الزئبق لا يستقر في مكان واحد، فلما طلعت عليه الشمس صارت شبيهاً بالحيات، فنظر موسى فإذا الوادي قد امتلأ بالحيات، فدخل فيه الخوف، ونظر الناس إلى ذلك فخافوا من كثرة الحيات، فذلك قوله: (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) أي: أفزعوهم وأخافوهم، وروى أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة.[٢]

وقيل: إنهم موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى، فأخبر أن ما ظنوه سعيا منها لم يكن سعيا، وإنما كان تخيلا، وقد قيل: إنها كانت عصيا مجوفة قد ملئت زئبقا، وكذلك الحبال كانت معمولة من أدم؛ أي: جلد، محشوة زئبقا، وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع أسرابا، وجعلوا أزواجا ملئوها نارا فلما طرحت عليه، وحمي الزئبق حركها؛ لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير، فأخبر الله أن ذلك كان مموها على غير حقيقته، فعلى هذا يكون سحرهم لأعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية إذا صح خبرها، ويحتمل أن يكون بحيلة أخرى كإطلاق أبخرة أثرت في الأعين، فجعلتها تبصر ذلك أو يجعل العصي والحبال على صورة الحيات، وتحريكها بمحركات خفية سريعة لا تدركها أبصار الناظرين، وكانت هذه الأعمال من الصناعات وتسمى السيمياء[٣].[٤] فهم خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، مع أنه لم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، ولذا لم يقل-سبحانه-سحروا الناس، وتعدية فعل سحروا إلى أعين مجاز عقلي؛ لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك، وهم إنما سحروا العقول، ولذلك لو قيل: سحروا الناس لأفاد ذلك، ولكن تفوت نكتة التنبيه على أن السحر إنما هو تخيلات مرئية.[٥]

١- انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٢٧).

٢ - انظر: بحر العلوم (١/ ٥٣٩)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٤٠).

٣ - (السيمياء) السيما. المعجم الوسيط (١/ ٤٦٦).

٤- انظر: تفسير المنار (٩/ ٥٨).

٥ - انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾** [طه: ٢٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ) أي: كفه تحت عضده، وقوله: (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردّها، فخرجت كما كانت على لونه، وقوله: (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) أي: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقُدرتنا.[١]

وبعض الناس يقولون الجناح اليد، وهذا كله صحيح على طريق الاستعارة، ألا ترى أن جعفر بن أبي طالب يسمى ذو الجناحين؛ بسبب يديه حين أقيمت له الجناحان مقام اليدين، شُبه بجناح الطائر، وكل مرعوب من ظلمة أو نحوها فإنه إذا ضم يده إلى جناحه فتر رعبه، وربط جأشه، فجمع الله لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية في اليد، وروي أن يد موسى عليه السلام خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس، أو كأنها تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر، وسميا جناحين؛ لأنه يجنحهما أي: يميلهما عند الطيران، والمعنى أدخلها تحت عضدك[٣] قال الفراء[٤]: الجناح من أسفل العضد إلى الإبط، وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجنب، ويروى أنه عليه السلام كان شديد الأدمة فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من غير برص ثم إذا ردها عادت إلى لونها الأول بلا نور.[٥] ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى **﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾** [الأعراف: ١٠٨]

ونظير الآية قوله تعالى: **﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** [النمل: ١٢] ، وقوله تعالى: **﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي**

---

١ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٢٩٧).

٢ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢٨٠).

٣ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٣٦١).

٤ – هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ت ٢٠٧هـ، انظر: الأعلام للزركلي (١٤٥/٨).

٥– انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٥٦)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٢٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾** [النمل: ٤٠]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) أي: قال الذي عنده علم من كتاب الله، وهو رجل من الإنس، فقال: أنا أنظر في كتاب ربي، ثم آتيك به (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) أي: وكان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، ومن ضمن كلامه "يا إلهنا وإله كلّ شيء إلها واحدا، لا إله إلا أنت، ائتني بعرشها، قال: فمثل بين يديه"، وقوله: (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) اختلف أهل التأويل في تأويل الطرف، ورجح الطبري قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن يتناهى ما امتدّ نوره.[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والطرف[٢]: أنه الجفن عُبِّر به عن سرعة الأمر، كما تقول لصاحبك: افعل ذلك في لحظة، وهذا قول مجاهد والزمشخري: وهو تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، أو أنه بمعنى المطروف، أي: الشيء الذي تَنْظُره، والأول هو الظاهر[٣].

ويأتي معنى الطرف بمعنى إدامة النظر حتى يرتد إليك الطرف خاسئا، وارتداد الطرف أن يرى ببصره حيث بلغ ثم يرد طرفه.[٤]

"والطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها".[٥] وارتداد الطرف: المراد به السرعة العظيمة على سبيل الاستعارة، كما يقال: آتيك به مثل لمح البصر،

---

١ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٦٥-٤٦٧).

٢ –الْبَصَر طرفا تحرّك جفناه قَالُوا مَا بقيت مِنْهُم عين تطرف بادوا وَقَالُوا شخص بَصَره فَمَا يطرف وَإِلَيْهِ نظر وَعَيْنَيْهِ وَبِهِمَا حرك جفنيه. المعجم الوسيط (٢/ ٥٥٥).

٣ – انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ١٦٦).

٤ – انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٣٦١).

٥ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٨٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو قبل أن تغمض عينك، ويراد الإسراع الشديد في الإحضار مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ساكنا حاصلا بين يديه قالَ: هذا أي الإتيان لي به فَضْلٌ تفضل وإحسان.[١]

وقوله: (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ؟) أي: فلما رآه سليمان ساكنا ثابتا على حاله لم يتبدل منه شيء ولم يتغير وضعه الذي كان عليه، قال هذا تفضل من الله ومنّة ليختبرنى: أأشكر بأن أراه فضلا منه بلا قوة منى أم أجحد فلا أشكر بل أنسب العمل إلى نفسى؟ وإن النعم الجسمية والروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله بها عباده، فمن ضل بها هوى، ومن شكرها ارتقى، ومن شكر ففائدة الشكر إليه؛ لأنه يجلب دوام النعمة، ومن جحد ولم يشكر فإن الله غني عن العباد وعبادتهم، كريم بالإنعام عليهم وإن لم يعبدوه، كما قال: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [فصلت: ٤٦] وقال: **﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾** [إبراهيم: ٨] [٢]

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾** [الأنبياء: ٦١]

التفسير الإجمالي:

قوله: (فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) أي: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب، ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقيل: معنى ذلك: على رءوس الناس، وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس، كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) فقال بعضهم: معناه: لعلّ الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.[٣]

وقوله: (لعلهم يشهدون) أي: يحضرون عقوبتنا له، وقيل: لعلهم يشهدون بفعله أو بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم أو معهود.[٤]

---

١ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٣٠٠).

٢ – انظر: تفسير المراغي (١٩/ ١٤١).

٣– انظر: جامع البيان (١٨/ ٤٦٠).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي: على رءوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم، وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا، ولا تملك لها نصرا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟ [١]

الآية السادسة: قال تعالى: **﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) يقول تعالى ذكره: إنا لما كثر الماء فتجاوز حدّه المعروف وذلك زمن الطوفان، وقيل: إنه زاد فعلا فوق كلّ شيء بقدر خمس عشرة ذراعا؛ وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام، على قومه حين كذبوه وخالفوه، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته.[٢]

والمعنى أنه لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزَّان، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله، فطغى على الخزان، فخرج ما لا يعلمون ما هو، وقوله: (حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) والجارية: سفينة نوح التي حُملتم فيها؛ وقيل: حَملناكم، فخاطب الذين نزل فيهم القرآن، وإنما حمل أجدادهم نوحا وولده؛ لأن الذين خوطبوا بذلك ولد الذين حملوا في الجارية، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد حملا لذريتهم. وقوله: (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً) أي: لنجعل السفينة الجارية التي حملناكم فيها لكم تذكرة، يعني عبرة وموعظة تتعظون بها.[٣] وقيل: وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾** [الزخرف: ١٣] وقال تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** [يس: ٤١] وفي هذا دلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته.[٤] وقوله: (وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ) أي: ليحفظها قلب حافظ ويقال: تسمع هذا الأمر أذن سامعة، فتنتفع بما سمعت.[٥] "وهذا بخلاف أهل الإعراض

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٤٩).

٢ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٢١٠).

٣ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ٥٧٧–٥٧٨).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٢٣).

٥ – انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ٥٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وفكرهم بآيات الله".[١] وهي للاستدلال بها على عظيم قدرة الله، وبديع صنعه، وشدة انتقامه.[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والطغيان: مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيها لها بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب فإن الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغي.

والجارية: صفة لمحذوف وهو السفينة، وقد شاع هذا الوصف حتى صار بمنزلة الاسم قال تعالى: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٤]، وأصل الحمل وضع جسم فوق جسم لنقله، وأطلق هنا على الوضع في ظرف متنقل على وجه الاستعارة، وإسناد الحمل إلى اسم الجلالة مجاز عقلي بناء على أنه أوحى إلى نوح بصنع الحاملة، ووضع المحمول قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ**﴾ [المؤمنون: ٢٧] "وذكر إحدى الحكم والعلل لهذا الحمل، وهي حكمة تذكير البشر به على تعاقب الأعصار ليكون لهم باعثا على الشكر، وعظة لهم من أسواء الكفر، وليخبر بها من علمها قوما لم يعلموها فتعيها أسماعهم"[٣] والوعي: العلم بالمسموعات، أي: ولتعلم خبرها أذن موصوفة بالوعي، أي: من شأنها أن تعي، وهذا تعريض بالمشركين إذ لم يتعظوا بخبر الطوفان والسفينة التي نجا بها المؤمنون فتلقوه كما يتلقون القصص الفكاهية.[٤]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-بيان أن معصية الرسول موجبة للعذاب الدنيوي والأخروي.

٢-التذكير بحادثة الطوفان وما فيها من عظة وعبرة.[٥]

والخلاصة أن المقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حل بهم من العذاب؛ زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول.

المطلب الثاني: الأرجل، والسيقان.

لقد أنعم الله على بعض أنبيائه بالنعم والكرامات، ومن هذه الكرامات أنه أنعم على أيوب عليه السلام بالشفاء من المرض الذي استمر معه سنوات طوال، كذلك أكرم الله سيدنا سليمان

---

١ – تيسير الكريم الرحمن (١/ ٨٨٣).

٢ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢٩/ ٨٦).

٣ – التحرير والتنوير (٢٩/ ١٢٣).

٤ – انظر: المرجع السابق (٢٩/ ١٢٣).

٥ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٤٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه السلام بأن أعطاه مُلك مملكة سبأ بعد أن دخلت ملكتهم بدين سليمان عليه السلام، وظهرت هذه الكرامات والمعجزات في عدة آيات منها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾** [ص: ٤٢]

التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) قال المبرد: "الركض: التحريك"، ولهذا قال الأصمعي[١]: يقال: "رَكَضْتُ الدابة، ولا يقال: رَكَضَتْ هي؛ لأن الركض إنما هو تحريك راكبها رجليه، ولا فعل لها في ذلك، فركضت أي: تحركت بسرعة" وجملة (اركض) مقولة لقول محذوف أي: قلنا له (اركض برجلك) وحكى سيبويه: (ركضتُ) الدابة فركضت، مثل جَبَرْتُ العظم فجبر.[٢] ووصف الماء بذلك في سياق الثناء عليه مشير إلى أن ذلك الماء فيه شفاؤه إذا اغتسل به وشرب.[٣]

وعنى بقوله: (مُغْتَسَلٌ) ما يُغْتَسل به من الماء، يقال منه: هذا مُغْتَسل، وغسول للذي يَغْتسل به من الماء، وقوله (وَشَرَابٌ) يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلٌ.[٤] وذلك عندما انقضت مدة بلائه قيل له: (اركض برجلك) اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين ماء فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منه فذهب كل داء كان بباطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا وقوله: (هذا مغتسل بارد) أي: الذي اغتسل منه بارد، وشراب أراد الذي شرب منه.[٥] وقال قتادة: المغتسلان هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية فاغتسل من إحداهما فأذهب الله ظاهر دائه، وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه.[٦]

وقيل: ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها، ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرى مفعول لهما. والمعنى: أنّ الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى

---

١ – الأَصْمَعي هو عبد الملك بن قريب، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٣٣٤).

٢ – انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٢٥٩)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٠٠).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٧٠)، أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٤٥٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٢٥٨).

٤ – انظر: جامع البيان (٢١/ ٢١٠).

٥ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ٧٣).

٦ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الألباب؛ لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره، رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم.[١] وقيل: نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى.[٢]

ولا نعلم على وجه التحقيق قدر الزمن الذي لحقه فيه الضر ولا نوع هذا الضر، إذ القرآن لم يصرح بهذا، ولكنا نعلم على وجه لا يقبل الشك أنه لم يصب بأذى ينفر الناس منه، ويمنعهم من لقائه والجلوس معه؛ لأن ذلك شرط من شروط النبوة، كما أنا نعلم من وصف الدواء الآتي الذي أوحى الله به إليه أنه من الأمراض الجلدية التي تشفيها المياه المعدنية أو الكبريتية كما أشار إلى ذلك بقوله واصفا له الدواء: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ) أي: حرك الأرض برجلك واضربها بها يخرج ينبوع من الماء تغتسل منه وتشرب، فتبرأ مما أنت فيه من المرض، وفي هذا إيماء إلى نوع المرض الذي كان به، وأنه من الأمراض الجلدية غير المعدية كالإكزيما والحكّة ونحوهما مما يتعب الجسم ويؤذيه أشد الإيذاء لكنه ليس بقتال، وكلما تقدم الطب أمكن الطبيب أن يبين نوع هذا المرض على وجه التقريب لا على وجه التحديد كما أن في ذلك إيماء إلى أن الماء كان من المياه الكبريتية ذات الفائدة الناجحة في تلك الأمراض، وهى كما تفيد بالاستعمال الظاهري، تفيد بالشرب أيضا.[٣]

وكان أيوب عليه السلام يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام، بأن يركض برجله فاستبطأته زوجته فتلقته تنظر فأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا. قال: فإني أنا هو.[٤]

وروى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ)**.[٥]

وقد ورد في الحديث أنه ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو بالدعاء المأثور الآتي إلا عافاه الله مما ابتلاه، وأجلى حزنه، وأذهب همه، عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَا قَالَ عَبْدٌ**

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٩٧).
٢ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/ ٢٢٩)
٣ – انظر: تفسير المراغي (٢٣/ ١٢٤).
٤ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٧٥).
٥ – صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى" وأيوب إذ نادى ربه..."، ح ٣٣٩١ (٤/ ١٥١).
١٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟، قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ)[1]

"ووصفه بالبارد إيماء إلى أن به زوال ما بأيوب من الحمى من القروح" [2] وعَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَشِنَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنَ السَّحَرِ)**.[3]

وروى الإمام مسلم بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **(قَالَ: الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ**[4] **جَهَنَّمَ، فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ)**.[5]

والخلاصة أن ما حدث مع أيوب عليه السلام كان معجزة من معجزات الله، التي يعطيها لأنبيائه ويؤيدهم بها، بعد أن رفض عليه السلام الاستعانة بالشيطان وهو في أمس الحاجة للشفاء بعد أن تخلى عنه القريب والصديق.

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [النمل: ٤٤]

أولا: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (ادْخُلِي الصَّرْحَ) قالها سليمان لملكة سبأ؛ ليريها مُلكا هو أعزُ من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها، وقوله: (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) أي: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها؛ لتخوضه إلى

---

١ – صحيح ابن حبان، ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله، (٣/ ٢٥٣) قال الألباني: حديث صحيح.

٢ – التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٧١).

٣ – انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الطب، ح ٧٤٣٨ (٤/ ٢٢٣) قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٤ – الفيح: سطوع الْحر والتهابه وَيُقَال فاحت الْقدر تفيح إِذا غلت، انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٥٦٨).

٥ – صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ح ٢٢٠٩ (٤/ ١٧٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سليمان.[١] وكشف ساقيها كان من أجل أنها شمرت ثيابها كراهية ابتلالها بما حسبته ماء، والكشف عن ساقيها يجوز أن يكون بخلع خفيها أو نعليها، ويجوز أن يكون بتشمير ثوبها.
وقد قيل: إنها كانت لا تلبس الخفين.[٢]

ثانيا: المعنى اللغوي:

وقال أبو عبيدة: (الصرح): القصر، وقال الزجاج: الصرح الصحن، يقال هذه صرحة الدار وقاعتها، قال ابن قتيبة: الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير، وجعل تحته ماءً وسمكاً، وقوله: (وكشفت عن ساقيها) أي: فلما رأت الصرح بين يديها وظنّت أنها تسلكُ لُجَّةً، و(اللُّجَّة): الماء الكثير، فلذلك كشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فلما فعلت ذلك قال: سليمان إنه صرح ممرد من قوارير، و(الممرد) المحكوك المملس، ومنه الأمرد، وتمرد الرجل إذا لم تخرج لحيته، ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق لها، والممرد أيضا المطول، ومنه قيل للحصن: مارد.[٣]

وقوله: (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ) والقوارير: جمع قارورة وهي اسم لإناء من الزجاج كانوا يجعلونه للخمر؛ ليظهر للرائي ما قر في قعر الإناء من تفث الخمر، فيظهر المقدار الصافي منها، فسمى ذلك الإناء قارورة؛ لأنه يظهر منه ما يقر في قعره، وجمعت على قوارير، ثم أطلق هذا الجمع على الطين الذي تتخذ منه القارورة وهو الزجاج، فالقوارير من أسماء الزجاج.[٤]

وقوله: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) أي: بهرها ما رأت من آيات علمت منها أن سليمان صادق فيما دعاها إليه، وأنه مؤيد من الله تعالى، وعلمت أن دينها ودين قومها باطل، فاعترفت بأنها ظلمت نفسها في اتباع الضلال بعبادة الشمس، وهذا درجة أولى في الاعتقاد وهو درجة التخلية، ثم صعدت إلى الدرجة التي فوقها وهي درجة التحلي بالإيمان الحق فقالت: (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين) فاعترفت بأن الله هو رب جميع الموجودات، وهذا مقام التوحيد، وفي قولها: (مع سليمان) إيمان بالدين الذي تقلده سليمان وهو دين اليهودية، وقد أرادت جمع معاني الدين في هذه الكلمة ليكون تفصيلها فيما تتلقاه من سليمان من الشرائع والأحكام. [٥]

---

١ – انظر: جامع البيان (١٩/ ٤٧٣).
٢ – انظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢٧٦).
٣ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٦٣).
٤ – انظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢٧٦).
٥– انظر: التحرير والتنوير (١٩/ ٢٧٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومكان العبرة منها الاتعاظ بحال هذه الملكة، إذ لم يصدها علو شأنها وعظمة سلطانها مع ما أوتيته من سلامة الفطرة، وذكاء العقل عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلى التوحيد، وتوقن بفساد الشرك، وتعترف بالوحدانية لله، فما يكون إصرار المشركين على شركهم بعد أن جاءهم الهدي الإسلامي، إلا لسخافة أحلامهم أو لعمايتهم عن الحق، وتمسكهم بالباطل وتصلبهم فيه.

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية.

٢-بيان فصاحة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها: (كأنه هو).

٣-مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكير للعقل والمنطق.

٤-حرمة كشف المرأة ساقيها حتى لو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة.

٥-فضيلة الاقتداء بالصالحين كما ائتست بلقيس بسليمان في قولها:(وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين).[١]

المطلب الثالث: الرؤوس، واللحى.

ومن قصص الأنبياء عليهم السلام، ما حدث مع موسى وهارون عليهما السلام، حيث أخذ موسى عليه السلام برأس أخيه ولحيته، ومن هذه الآيات:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [الأعراف: ١٥٠]

أولاً: التفسير الإجمالي:

بعد أن ذكر الله تعالى قصة السامري باتخاذ العجل إلها لبني إسرائيل، ذكر أثر ذلك ووقعة على موسى عليه السلام إذ أنه في حال رجعته، كان غضبان أسفا، واشتد أساه وحزنه حين رأى الواقع المؤلم من ضلال قومه وغيهم، فبادر إلى تعنيف أخيه هارون بسبب عبادة قومه العجل، ولامه على سكوته على قومه. وهذا هو الفصل الثاني من قصة عبادة العجل.[٢]

وقوله تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا) وذكر الطبري: في معنى الآية: ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه من بني إسرائيل، رجع غضبان أسفًا؛ لأن الله

١- انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٢٥).

٢ - انظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ١٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلّهم، فكان رجوعه غضبان أسفًا لذلك. و"الأسف" شدة الغضب، والتغيظ به على من أغضبه.

ثانياً: المعنى اللغوي:

و(الأسف) على وجهين: الغضب، والحزن، وقوله: (قال بئسما خلفتموني من بعدي) أي: بئس الفعل فعلتم بعد فراقي إياكم وأوليتموني فيمن خلفت ورائي من قومي فيكم، وديني الذي أمركم به ربكم، يقال منه: "خلفه بخير"، و"خلفه بشر"، إذا أولاه في أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم، خيرًا أو شرًّا، وقوله: (أعجلتم أمر ربكم) أي: أسبقتم أمر ربكم في نفوسكم، وذهبتم عنه؟ فقال منكرا عليهم: (أعجلتم أمر ربكم) والعجلة: التقدم بالشيء قبل وقته، يقال: عجلت الشيء: سبقته، وأعجلت الرجل حملته على العجلة، والمعنى: أعجلتم عن انتظار أمر ربكم: أي: ميعاده الذي وعدنيه، وهو الأربعون ففعلتم ما فعلتم، وقيل معناه: تعجلتم سخط ربكم وقيل معناه: أعجلتم بعبادة العجل أن يأتيكم أمر ربكم.[١]

وقوله: (وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) واختلف أهل العلم في سبب إلقاء موسى الألواح على عدة أقوال، أرجحها ما قاله الطبري: أن يكون سبب إلقاء موسى عليه السلام الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل. [٢]

وقوله: (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) أي: بشعر رأسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ بذؤابته، وذلك لشدّة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته، وظنا بأخيه أنه فرط في الكف، وقوله: (قَالَ ابْنَ أُمَّ) وقيل: كان أخاه لأبيه وأمّه، فإن صح فإنما أضافه إلى الأم، إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقة، وأعظم للحق الواجب؛ ولأنها كانت مؤمنة فاعتدّ بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها؛ ولأن ذكرها أدعى إلى العطف [٣] وأخذ موسى برأس هارون يجره إليه خوفا أن يكون قد قصر في نهيهم، كما قال تعالى: **﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** [طه:٩٤] وقال هاهنا: (ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي: لا تسقني مساقهم، ولا تخلطني معهم.[٤] فلا تشمت بي الأعداء بنهرك لي، ومسك إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا علي عثرة، أو يطلعوا لي على

---

١ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٨٣)، تفسير المراغي (٩/ ٧١).

٢ – انظر: جامع البيان (١٣/ ١٢٠-١٢١).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٦١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٦٠٧).

٤ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زلة (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) فتعاملني معاملتهم، فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير.[١]

وقوله: (قال رب اغفر لي ولأخي) أي: اغفر لي ما أغلظت عليه به من قول وفعل، واغفر له ما عساه قصر فيه من مؤاخذة القوم، لما توقعه من الإيذاء حتى القتل: (وأدخلنا في رحمتك) التي وسعت كل شيء بجعلها شاملة لنا، واجعلنا مغمورين فيها، وهو أبلغ من " وارحمنا " وأنت أرحم الراحمين وهذا ثناء؛ يدل على مزيد الثقة في الرجاء، والدعاء في جملته أقوى في استعتاب هارون من الاعتذار له، وأدل على تخييب أمل الأعداء في شيء مما يثير حفيظة الشماتة، قال الزمخشري في تعليله: ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه -فلا تتم لهم شماتتهم - واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة، وطلب ألا يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة .[٢]

ولقد كان هارون موفرا شعر لحيته بدليل قوله لأخيه: (لا تأخذ بلحيتي) لأنه لو كان حالقا لما أراد أخوه الأخذ بلحيته، تبين لك من ذلك بإيضاح: أن إعفاء اللحية من السمت الذي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمت الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والعجب من الذين صاروا يفرون من صفات الذكورية، وشرف الرجولة، إلى خنوثة الأنوثة، ويمثلون بوجوههم بحلق أذقانهم، ويتشبهون بالنساء حيث يحاولون القضاء على أعظم الفوارق الحسية بين الذكر والأنثى، وهو اللحية، وقد كان ﷺ كث اللحية، وهو أجمل الخلق وأحسنهم صورة.[٣]

أما الأحاديث النبوية الدالة على إعفاء اللحية، فقد روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(انْهَكُوا**[٤] **الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى)**.[٥] وعنه أيضاً قَالَ ﷺ: **(خَالِفُوا المُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى**[٦]**، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ)** وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ: "إِذَا حَجَّ أَوِ اعْتَمَرَ قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ".[٧]

---

١ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (٣٠٣/١).

٢ – انظر: تفسير المنار (٩/ ١٨٠).

٣ – انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٩٢).

٤ – (انهكوا) بالغوا في القص، أي: أبلغوا جهدكم.انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٣٧).

٥ – صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحى، ح ٥٨٩٣ (٧/ ١٦٠).

٦ – (وفروا) كمله وَلم ينقصهُ وَجعله وافرا انظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٤٦)، أي: اتركوها موفورة، مِنَ الْوَافِرِ: الْوَافِرِ: الْكَثِيرِ.انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢١٠)، (فضل) زاد عن القبضة. (أخذه) قصه. انظر: حاشية صحيح البخاري (٧/ ١٦٠).

٧ – صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر، ح ٥٨٩٢ (٧/ ١٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: اللفتات واللطائف

١-"الغضب من طباع البشر فلا يلام عليه المرء ومهما بلغ من الكمال كالأنبياء، ولكن أهل الكمال لا يخرج بهم الغضب إلى حد أن يقولوا أو يعملوا ما ليس بخير وصلاح.

٢-مشروعية الاعتذار وقبول العذر من أهل المروءات.

٣-مشروعية التوسل بأسماء الله وصفاته.

٤-كل وعيد لله تعالى توعد به عبداً من عباده مقيد بعدم توبة المتوعد.

٥-كل رحمة وهدى ونور في كتاب الله لا ينتفع به إلا أهل الإيمان والتقوى".[١]

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾** [مريم: ٤]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) أي: ضعف ورقّ من الكبر، نحل العظم، قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس.[٢]

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشَّيْب، فقال بعض نحويي البصرة: نصب على المصدر من معنى الكلام، كأنه حين قال: اشتعل، قال: شاب، فقال: شَيْبا على المصدر. قال: وليس هو في معنى: تفقأت شحما وامتلأت ماء؛ لأن ذلك ليس بمصدر، وقال غيره: نصب الشيب على التفسير؛ لأنه يقال: اشتعل شيب رأسي، واشتعل رأسي شيبا، كما يقال: تفقأت شحما، وتفقأ شحمي، والعرب تقول إذا كثر الشيب في الرأس: اشتعل رأسه، وهذا أحسن استعارة؛ لأنه يشتعل فيه كاشتعال النار في الحطب.[٣]

وإنما ذكر العظم؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحَدّهُ؛ لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن، ولو جُمع لكان قصدا إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها.

وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه، وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته

---

١ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

٢ – انظر: جامع البيان (١٨/ ١٤٣).

٣ – انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٢٧٧)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٢٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو الرأس.[١]؛ ولأن الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والشيب: بياض الشعر، ويعرض للشعر البياض بسبب نقصان المادة التي تعطي اللون الأصلي للشعر، ونقصانها بسبب كبر السن غالبا، فلذلك كان الشيب علامة على الكبر، وقد يبيض الشعر من مرض، وجملة (لم أكن بدعائك رب شقيا) معترضة بين الجمل التمهيدية، والباء في قوله: (بدعائك) للمصاحبة.[٣]

والوهن: الضعف، وإسناده إلى العظم دون غيره مما شمله الوهن في جسده؛ لأنه أوجز في الدلالة على عموم الوهن جميع بدنه؛ لأن العظم هو قوام البدن وهو أصلب شيء فيه فلا يبلغه الوهن إلا وقد بلغ ما فوقه، والتعريف في (العظم) تعريف الجنس دال على عموم العظام منه.[٤]

وقوله: (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) أي: ولم أشق يا رب بدعائك؛ لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك، ولم تردني قط فيما سألتك.[٥] أي: ولم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي، والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال.[٦]

والشقي: الذي أصابته الشقوة، وهي ضد السعادة، أي: هي الحرمان من المأمول وضلال السعي. وأطلق نفي الشقاوة والمراد حصول ضدها وهو السعادة على طريق الكناية إذ لا واسطة بينهما عرفا، ونظيره قوله تعالى في هذه السورة في قصة إبراهيم: ﴿**وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ [مريم: ٤٨] أي: عسى أن أكون سعيدا أي: مستجاب الدعوة ونظيره ما رواه

١- انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤)، البحر المحيط في التفسير (٧/ ٢٣٩)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ٥٦٤).

٢ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٨٩).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٦٥).

٤ – انظر: المرجع السابق (١٦/ ٦٣).

٥ – انظر: جامع البيان (١٨/ ١٤٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٢١٢).

٦ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(فيما يرويه عن ربه في شأن الذين يذكرون الله ومن جالسهم قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)** [١] أي: يسعد معهم.[٢]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-تقرير نبوة محمد ﷺ بإخباره بهذا الذي أخبر به عن زكريا عليه السلام.

٢-استحباب السرية في الدعاء لأنه أقرب إلى الاستجابة.

٣-وجود العقم في بعض النساء.

٤-قدرة الله تعالى فوق الأسباب وإن شاء تعالى أوقف الأسباب وأعطى بدونها.

٥-تقرير مبدأ أن الأنبياء لا يورثون فيما يخلفون من المال كالشاه والبعير وإنما يورثهم الله أولادهم في النبوة والعلم والحكمة.[٣]

والخلاصة من هذا المبحث أن بعض أعضاءجسم الإنسان، قد وردت في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، وفي الإعراض عن دعوتهم من قِبَل أقوامهم، ومن هذه الأعضاء الأيدي، والعيون، والأطراف، والأرجل والسيقان، والرؤوس واللحى.

---

١ – صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عزوجل، ح ٦٤٠٨ (٨/ ٨٧)، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل مجالس الذكر، ح ٢٦٨٩ (٤/ ٢٠٦٩).

٢ – انظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٦٥).

٣ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٢٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في الإعراض، والصد عن الدعوة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : إعراض الكفار واليهود عن النبي (الظهور، والقلوب، والآذان).

المطلب الثاني: إعراض المنافقين (الألسنة، والأنامل، والأفواه، والرؤوس، والخدود).

المطلب الثالث: إعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين (الأرجل، والأيدي، والعيون، والأفواه، والأصابع والآذان).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأعضاء التي ذُكرت في الإعراض، والصد عن الدعوة.

إن دعوة الله التي أرسلها الله تعالى إلى الأقوام المختلفة، وفي الأزمان والأمكنة المختلفة أيضاً، قوبلت بالصد والسخرية والإعراض، وتمثل الصد عن الدعوة في بعض أعضاء الجسم، منها على سبيل المثال: الظهور، والقلوب، الآذان، الألسنة، الأفواه، والأصابع وغيرها، وكانت هذه الأعضاء ذُكرت في آياتٍ عدة كما سيتضح في المطالب التالية:

المطلب الأول : إعراض الكفار واليهود عن النبي (الظهور، والقلوب، والأفواه، والآذان).

لقد أعرض أعداء الدين عن دعوة رسلهم في كل زمان أتتهم فيه رسلهم، بل صدوا عن سبيل الله في كل زمان ومكان، وقد بينت آياتٌ كثيرة ذلك الصد والإعراض عن دين الله، ومنها:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠١]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (ولما جاءهم) يعني أحبار اليهود وعلماءَها من بني إسرائيل (رسول) أي: محمدٌ ﷺ (مصدق لما معهم) فإنه يعني به أن محمدا ﷺ يصدق التوراة والتوراة تصدقه، في أنه نبي الله مبعوث إلى خلقه، عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن.[١]

وإفراد هذا النبذ بالذكر؛ لأنه معظم جناياتهم، ولأنه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وإيثارهم له عليه، والمراد بإيتائها إما إيتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها، فالموصول عبارة عن علمائهم، وإما مجرد إنزالها عليهم، فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للإيذان بكمال التنافي بين ما أثبت لهم في حيز الصلة، وبين ما صدر عنهم من النبذ.[٢]

وقوله: (وراء ظهورهم) جعلوه وراء ظهورهم، وهذا مثل يقال لكل رافض أمرا كان منه على بال:"قد جعل فلان هذا الأمر منه بظهر، وجعله وراء ظهره"، أي: أعرض عنه وصد وانصرف، وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به.[٣]

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٤٥).

٢ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٣٥).

٣ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أعرض عن شيء تجاوزه، فخلفه وراء ظهره، وإضافة الوراء إلى الظهر؛ لتأكيد بعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك، فجعل للظهر وراء وإن كان هو هنا بمعنى الوراء.[١]

ونظيره قوله تعالى: **﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾** [آل عمران: ١٨٧]، فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضًا منه خسيسًا قليلا من عرض الدنيا يعنى فلم يراعوا الميثاق ولم يلتفتوا إليه، والنبذ وراء الظهر مَثَلٌ في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه[٢]

وقوله: (كأنهم لا يعلمون) كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه لا يعلمون ما في التوراة من الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه، وهذا من الله تعالى إخبار عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم.[٣]

وليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته وتركوا التصديق به في جملته وتفصيله، وإنما المراد أنهم طرحوا جزءا منه وهو ما يبشر بالنبي ﷺ ويبين صفاته ويأمرهم بالإيمان به واتباعه، أي: فهو تشبيه لتركهم إياه وإنكاره بمن يلقي الشيء وراء ظهره حتى لا يراه فيتذكره، وترك الجزء منه كتركه كله؛ لأن ترك البعض يذهب بحرمة الوحي من النفس ويجرئ على ترك الباقي.[٤] "وحين نبذوه اشتغلوا بصناعات وأعمال صادّة عن الأديان من صنع شياطين الإنس والجن، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة والطّلّسمات التي نسبوها إلى سليمان وزعموا أن ملكه كان قائما عليها".[٥]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقيل النبذ: يجوز أن يعني به القرآن، ذكر الشعبي[٦]: هو بين أيديهم يقرءونه، ولكن نبذوا العمل به.

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (١/ ٦٢٥).

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٥٠) جامع البيان (٧/ ٤٥٩).

٣ – انظر: جامع البيان (٢/ ٤٠٣).

٤ – انظر: تفسير المنار (١/ ٣٢٨).

٥ – تفسير المراغي (١/ ١٧٨).

٦ – عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، ابو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر سفيان بن عيينة[١]: أدرجوه في الحرير والديباج، وحلوه بالذهب والفضة، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه، فذلك النبذ.[٢]

وقيل المراد (بالكتاب) التوراة؛ لأن مخالفتها والكفر بما أخذ عليهم فيها نبذ، (ووَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) مثل لأن ما يجعل ظهريا فقد زال النظر إليه جملة، والعرب تقول: جعل هذا الأمر وراء ظهره ودبر أذنه.[٣]

وقوله تعالى: (كأنهم لا يعلمون) أنه كتاب الله، يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا، ودل الله بالآيتين على أن جيل اليهود أربع فرق: فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الأقلون، وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا، وهم المعنيون بقوله: (نبذه فريق منهم)، وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الأكثرون، وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال، بغيا وعنادا وهم المتجاهلون.[٤]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-اليهود لا يلتزمون بوعد ولا يوفون بعهد، فيجب أن لا يوثق في عهودهم أبداً.

٢-التوراة أحد كتب الله عز وجل المنزلة أنزلها الله على عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام.

٣-قبح جريمة من تنكر للحق بعد معرفته، ويصبح وكأنه جاهل به.

٤-لم ينبذ فريق منهم كتاب الله التوراة جملة وتفصيلا، بل نبذوا منه ما يبشر بالنبي ﷺ ويبين صفاته وما يأمرهم بالإيمان به، فإن ما في كتابهم من البشارة بنبي يجيء من ولد إسماعيل لا ينطبق إلا على هذا النبي الكريم.

٥-عدم الثقة باليهود في أي شيء؛ لأنهم دأبوا على نقض العهود والغدر بالمعاهدين في كل زمان.[٥]

---

١ – سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر. الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٥).

٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٨٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٧).

٤ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩٧).

٥ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٨٩)، التفسير المنير للزحيلي (١/ ٢٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف: ١٧٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) ولقد خلقنا لجهنّم كثيرًا من الجن والإنس.[١]

وهيأناهم لها، وبعمل أهلها يعملون، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلائق، علم ما هم عاملون قبل كونهم، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[٢] كما روى الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)**[٣] وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ، قَالَتْ: **(دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: "أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ).**[٤]

وتقديم الجن؛ لأنهم أعرف من الإنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم خلقا، والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ولكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك، بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً، بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر.[٥]

وقوله: (ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) أي: لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية كما قال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** [الأحقاف: ٢٦] وقال تعالى: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** [البقرة:١٨] هذا في حق المنافقين، وقال في حق الكافرين: **﴿صُمٌّ بُكْمٌ**

---

١ – انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٧٦).

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٧٩).

٣ – صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ح ٢٦٥٣ (٤/ ٢٠٤٤).

٤ – صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح ٢٦٦٢ (٤/ ٢٠٥٠).

٥ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٢٩٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] ولم يكونوا صما بكما عميا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾** [الأنفال:٢٣].[١]

فإن الذي انتفى من الأعين هو إبصار ما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار، وإن كانت مبصرة في غير ذلك، والذي انتفى من الآذان هو سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك، والإشارة بقوله: (أولئك) إلى هؤلاء المتصفين بهذه الأوصاف، كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، ثم حكم عليهم بأنهم أضل منها؛ لأنها تدرك بهذه الأمور ما ينفعها ويضرها، فتنتفع بما ينفع، وتجتنب ما يضر، وهؤلاء لا يميزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله منهم، وكلفهم به، ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة، لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن من له عقل وبصر وسمع.[٢]

وليس في تقديم الأعين على الآذان مخالفة لما جرى عليه اصطلاح القرآن من تقديم السمع على البصر؛ لتشريف السمع بتلقي ما أمر الله به كما في قوله تعالى: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [البقرة: ٧] لأن الترتيب في آية سورة الأعراف هذه سلك طريق الترقي من القلوب التي هي مقر المدركات إلى آلات الإدراك الأعين ثم الآذان فللآذان المرتبة الأولى في الارتقاء.[٣]

ثانياً: المعنى اللغوي:

و (القلوب) جمع قلب، وهو يطلق في اللغة العربية على المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من جسد الإنسان، إذا كان موضوع الكلام جسد الإنسان، ويطلق عند الكلام في نفس الإنسان وإدراكه وعلمه وشعوره وتأثير ذلك في أعماله، على الصفة النفسية واللطيفة الروحية، التي هي محل الحكم في أنواع المدركات، والشعور الوجداني للمؤلمات والملائمات، أعني أنه يطلق بمعنى العقل، وبمعنى الوجدان الروحي، الذي يعبر عنه في عرف هذا العصر بالضمير، وهو تعبير صحيح. واشتقاق العقل من عقل البعير لمنعه من السير، وفي معنى القلب اللب الذي هو جوهر الشيء ويكثر في التنزيل.[٤]

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥١٣).
٢ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٠٤).
٣ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٨٤).
٤ – انظر: تفسير المنار (٩/ ٣٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: (أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ) هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم، هم كالأنعام، وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يَصْلُح، ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر، فتميز بينهما، فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكَّرون ما يرون بأبصارهم من حُججه، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه.[1]

ثم قال: (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) أي: هؤلاء الكفرة الذين ذَرَأهم لجهنم، أشدُّ ذهابًا عن الحق، وألزم لطريق الباطل من البهائم؛ لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز، فتختار وتميز، وإنما هي مسَخَّرة، ومع ذلك تهرب من المضارِّ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح، والذين وصفَ الله صفتهم في هذه الآية، مع ما أعطوا من الأفهام، والعقول المميِّزة بين المصالح والمضارّ، تترك ما فيه صلاحُ دنياها وآخرتها، وتطلب ما فيه مضارّها، هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم، القومُ الذين غفلوا أي: سهوًا عن آياتي وحُججي، وتركوا تدبُّرها والاعتبارَ بها، والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها؛ لأنهم لا يهتدون إلى ثواب، فهم كالأنعام، أي: همتهم الأكل والشرب، وهم أضل؛ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها، وهم بخلاف ذلك، وقال عطاء: الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله تعالى، والكافر غير مطيع (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) أي: تركوا التدبر وأعرضوا عن الجنة والنار.[2]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-تقرير مبدأ أن السعادة والشقاء سبق بها قلم القضاء والقدر فكل ميسر لما خلق له.

٢-هبوط الآدمي إلى درك أهبط من درك الحيوان، وذلك عندما يكفر بربه ويعطل حواسه عن الانتفاع بها، ويقصر همه على الحياة الدنيا.

٣-بيان أن البلاء كامن في الغفلة عن آيات الله والإعراض عنها.[3]

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾** [الأنعام: ٢٥]

أولاً: سبب النزول::

قال ابن عباس ﷺ: (إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيا ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: ما

---

١ – انظر: جامع البيان (١٣/ ٢٨١).

٢ – انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٢٤)، جامع البيان (١٣/ ٢٨١).

٣ – انظر:أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٦٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته[1] ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية).[2]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

قوله: (ومنهم من يستمع إليك) أي: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يعِيه قلبُه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءَتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول؛ لأن الله قد جعل على قلبه أغطية وأغشية، لئلا يفقه كلام الله، فصان كلامه عن أمثال هؤلاء.[3]

ثالثاً: المعنى اللغوي:

و(أكنّة) وهي جمع "كنان"، وهو الغطاء، مثل:"سِنان"،"وأسنة". يقال منه:"أكننت الشيءَ في نفسي"، بالهمزة، "وكننت الشيء"، إذا غطيته، ومن ذلك: ﴿**بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾ [الصافات: ٤٩] وهو الغطاء.[4]

وقوله: (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) أي: وجعلنا على آلة الفهم والإدراك من أنفسهم وهي قلب الإنسان ولبه أغطية حائلة دون فقهه، (وفي آذانهم وقراً) أي: ثقلا أو صمما حائلا دون سماعه بقصد التدبر واستبانة الحق. ومعنى هذا الجعل ما مضت به سنة الله تعالى في طباع البشر من كون التقليد الذي يختاره الإنسان لنفسه يكون مانعا له باختياره من النظر والاستدلال والبحث عن الحقائق، فهو لا يستمع إلى متكلم ولا داع؛ لأجل التمييز بين الحق والباطل، وإذا وصل إلى سمعه قول مخالف لما هو دين له، أو عادة لا يتدبره ولا يراه جديرا بأن يكون موضوع المقابلة، والتنظير مع ما عنده من عقيدة، أو رأي أو عادة، وجعل الأكنة على القلوب، والوقر في الآذان في الآية من تشبيه الحجب، والموانع المعنوية، بالحجب والموانع الحسية، فإن القلب الذي لا يفقه الحديث، ولا يتدبره كالوعاء الذي وضع عليه الكن أو الكنان، وهو الغطاء حتى لا يدخل فيه شيء، والآذان التي لا تسمع الكلام سماع فهم

---

١ – (جعلها بيته) هكذا وردت في النص، وأعتقد أنه يقصد به الكعبة –والله أعلم–.

٢ – أسباب النزول (١/ ٢١٤).

٣ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٥٤).

٤ – انظر: جامع البيان (١١/ ٣٠٥-٣٠٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتدبر، كالآذان المصابة بالثقل أو الصمم؛ لأن سمعها وعدمه سواء، (وفي آذانهم وقرًا) أي: وجعل في آذانهم ثِقلا وصممًا عن فهم ما تتلو عليهم، والإصغاء لما تدعوهم إليه.[1] ونظير تلك الآيات قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ [الإسراء: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**﴾ [فصلت: ٥] وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف: ٥٧]

والوقر: الثقل، يقال: وقرت أذنه (بفتح الواو) توقر وقرا أي: صمت، وحكى أبو زيد عن العرب: أذن موقورة على ما لم يسم فاعله، والوقر الحمل، يقال منه: نخلة موقر وموقرة إذا كانت ذات ثمر كثير، ورجل ذو قرة إذا كان وقورا بفتح الواو، ويقال منه: وقر الرجل (بضم القاف) وقارا، ووقر (بفتح القاف) أيضا.[2]

والأكنة هنا تخييل؛ لأن قلوبهم شبهت في عدم خلوص الحق إليها بأشياء محجوبة عن شيء، وأثبتت لها الأكنة تخييلا، وليس في قلب أحدهم شيء يشبه الكنان، وأسند جعل تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى؛ لأنه خلقهم على هذه الخصلة الذميمة والتعقل المنحرف، فهم لهم عقول وإدراك؛ لأنهم كسائر البشر، ولكن أهواءهم تخير لهم المنع من اتباع الحق، فلذلك كانوا مخاطبين بالإيمان مع أن الله يعلم حالهم.[3]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١-بيان سنة الله تعالى في أن العبد إذا كره أحداً وأبغضه يصبح لا يسمع ما يقول له، ولا يفهم معنى ما يسمع منه.

٢-شر دعاة الشر من يُعرِض عن الهدى ويأمر بالإعراض عنه، وينهى من يقبل عليه.

٣-سبب الشر في الأرض الكفر بالله، وإنكار البعث والجزاء.[4]

---

١ – انظر: تفسير المنار (٧/ ٢٩٠).

٢ – انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٠٤).

٣ – انظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٧٩).

٤ – انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾** [المائدة: ٤١]

أولاً: سبب النزول:

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: **(مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا[1] مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟، قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) إِلَى قَوْلِهِ (إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ) يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا...).[2]**

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ) تسلية للنبي ﷺ وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين وبني إسرائيل، والمعنى قد وعدناك النصر، والظهور عليهم (فلا يَحْزُنْكَ) ما يقع منهم خلال بقائهم.[3] يا أيها الرسولُ لا يحزنك تسرُّع من تسرَّع من هؤلاء المنافقين الذين يظهارون بألسنتهم تصديقَك، وهم معتقدون تكذيبك والكفر بك، ولا تسرُّعُ اليهود إلى جحود نبوّتك، ثم وصف جل وعزّ صفتهم، ونعتهم له بنعوتهم الذَّميمة وأفعالهم الرديئة، وأخبره مُعزّيًا له على ما يناله من الحزن بتكذيبهم إياه، مع علمهم بصدقه، أنَّهم أهلُ استحلال الحرامِ والمآكل الرديئة والمطاعم الدنيئة من الرُّشَى والسُّحْت، وأنهم أهل إفكٍ وكذبٍ على الله، وتحريف لكتابه.[4]

---

١ – (محمما) أي: مسود الوجه من الحممة الفحمة، انظر: حاشية صحيح مسلم (٣/ ١٣٢٧).

٢ – صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، ح١٧٠٠ (٣/ ١٣٢٧).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٩٠).

٤– انظر: جامع البيان (١٠/ ٣٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: (لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) "قومٌ من المنافقين وجائزٌ أن يكون كان ممن دخل في هذه الآية ابنُ صوريا[١] وجائز أن يكون أبو لبابة [٢] وجائز أن يكون غيرُهما".[٣] وهؤلاء أظهروا الإيمان بألسنتهم، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا) أعداء الإسلام وأهله، وهؤلاء كلهم (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) أي: يستجيبون له، منفعلون عنه (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ) أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد، وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا).[٤]

واختلف أهل التأويل في السماعين للكذب السماعين لقوم آخرين، قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: إن السماعين للكذب، هم السماعون لقوم آخرين، وقد يجوز أن يكون أولئك كانوا من يهود المدينة، والمسموعُ لهم من يَهُود فدك ويجوز أن يكون كانوا من غيرهم، غير أنه أيّ ذلك كان، فهو من صفة قومٍ من يهود، سَمِعوا الكذب على الله في حكم المرأة التي كانت بغت فيهم وهي محصنة، وأن حكمها في التوراة التحميم والجلد".[٥]

وقيل: السماعون: بنو قريظة، والقوم الآخرون: يهود خيبر (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) يميلونه ويزيلونه (مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) التي وضعه اللَّه تعالى فيها، فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع إِنْ أُوتِيتُمْ هذا المحرف المزال عن مواضعه فَخُذُوهُ واعلموا أنه الحق واعملوا به وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ وأفتاكم محمد بخلافه فَاحْذَرُوا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال.[٦]

وأما المعنى في قوله: (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) فيحتمل أن يكون صفة للمنافقين ولبني إسرائيل؛ لأن جميعهم يسمع الكذب بعضهم من بعض ويقبلونه، ولذلك جاءت عبارة سماعهم في

---

١ – ويقال ابن صور الإسرائيلي وكان من أحبار اليهود، يقال: إنه أسلم.. انظر: لإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١١٥).

٢ – بشير بن عبد المنذر الأنصاري، أبو لبابة. مشهور بكنيته، مختلف في اسمه. الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٤٤٣).

٣ – جامع البيان (١٠/ ٣٠٨).

٤ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٣).

٥ – جامع البيان (١٠/ ٣١١).

٦– انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صيغة المبالغة، وإذ المراد أنهم يقبلون ويستزيدون من ذلك المسموع، وقوله تعالى: (لِلْكَذِبِ) يحتمل أن يريد سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ويحتمل أن يريد سماعون منك أقوالك من أجل أن يكونوا عليك وينقلوا حديثك ويزيدوا مع الكلمة أضعافها كذبا.[١]

ومعنى قوله: (من بعد مواضعه) من بعد كونه موضوعا في مواضعه، أو من بعد وضعه في مواضعه التي وضعه الله فيها من حيث لفظه، أو من حيث معناه، وقوله: (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه) جملة حالية من ضمير يحرفون، أو مستأنفة، أو صفة لقوم، أو خبر مبتدأ محذوف، والإشارة بقوله: هذا إلى الكلام المحرف: أي: إن أوتيتم من جهة محمد هذا الكلام الذي حرفناه فخذوه واعملوا به وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره فاحذروا من قبوله والعمل به.[٢]

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨]

أولاً: سبب نزول الآية:

روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم)[٣]

ثانياً: مناسبة الآية لما قبلها:

لقد كانت الآيات السابقة في بيان صفات الكافرين من أهل الكتاب والمشركين وعقوباتهم في الآخرة، وفي بيان أحوال المؤمنين وثوابهم. وهذه الآيات تحذير للمؤمنين من عقد الصلات والصداقات العميقة مع الكافرين والمنافقين؛ لأنها تؤدي إلى تسرب الأسرار، والاطلاع على أحوال المسلمين، مما تقضي المصلحة بكتمانه، ويؤدي إلى مخاطر تؤثر على كيان الأمة الإسلامية، وهذا التحذير في غاية الحكمة والتعقل وحماية المصالح العامة العليا، شأن كل أمة لا تؤتمن على أسرارها إلا خواصها، ولا يصح أن تكون القرابات، والصداقات، والعهود، والمحالفات، والجوار، والرضاع، والمصاهرة، وغير ذلك سببا في توطيد الصلات والثقة بالأعداء.[٤]

---

١ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٩٢).

٢ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٤٨/٢).

٣ – لباب النقول (١/ ٤٥).

٤ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (٤/ ٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم.[١] والنهي خاص بمن كانوا في عداوة المؤمنين على ما ذكر، وهو أنهم لا يألونهم خبالا وإفسادا لأمرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.[٢]

وأسباب النهي هنا عديدة منها:

١-لا يقصرون في إضراركم وإفساد أموركم، ما استطاعوا ذلك.

٢-يتمنون إلحاق الضرر والمشقة والهلاك بكم في دينكم ودنياكم.

٣-يظهرون لكم العداوة والبغضاء أثناء الكلام وعلى صفحات الوجوه وفلتات اللسان، ويكذبون كتابكم ونبيكم.

٤-ما تخفي صدورهم من الحسد والحقد والبغضاء للإسلام وأهله أشد وأكثر مما يظهرون.[٣]

وقد ورد في أهمية البطانة ما رواه أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى).**[٤]

رابعاً: المعنى اللغوي:

والبطانة: "مصدر، يسمى به الواحد والجمع، وبطانة الرجل: خاصته الذين يستبطنون أمره، وأصله: البطن الذي هو خلاف الظهر، وبطن فلان بفلان، يبطن بطونا وبطانة: إذا كان خاصا به".[٥]

والعنت: المشقة والمكروه يلقاه المرء، عنوت: أي: شاقة، وقوله تعالى: **﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾** [النساء: ٣٥] معناه المشقة إما في الزنا وإما في ملك الإرب.[٦]

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٠٦).

٢ – انظر: تفسير المنار (٤/ ٦٧)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٤٤).

٣ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (٤/ ٥٦).

٤ – صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، ح ٧١٩٨ (٩/ ٧٧).

٥ – فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣٠).

٦ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٩٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) أي: قد لاح على صفحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل.[١]

ومعنى (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ) يعني بالأقوال، فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء في عينيه، وخص تعالى الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى شدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه.[٢]

والأفواه: جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه، وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي[٣] والمعنى: أنها قد ظهرت البغضاء في كلامهم؛ لأنهم لما خامرهم من شدة البغض والحسد أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم، فتركوا التقية، وصرحوا بالتكذيب، أما اليهود: فالأمر في ذلك واضح، وأما المنافقون: فكان يظهر من فلتات ألسنتهم ما يكشف عن خبث طويتهم، وهذه الجملة لبيان حالهم: (وما تخفي صدورهم أكبر) لأن فلتات اللسان أقل مما تكنه الصدور، بل تلك الفلتات بالنسبة إلى ما في الصدور قليلة جدا.[٤]

وقوله تعالى: (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) أي: "صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة، فتخفيه عنكم أيها المؤمنون، وقوله: (أكبر) أي: أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم".[٥] وهذا إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم.[٦]

وقوله: (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) والآيات بمعنى دلائل سوء نوايا هذه البطانة كما قال: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر: ٧٥] ولم يزل القرآن يربي هذه الأمة على إعمال الفكر، والاستدلال، وتعرف المسببات من أسبابها في سائر أحوالها: في التشريع، والمعاملة لينشئها أمة علم وفطنة، ولكون هذه الآيات آيات فراسة وتوسم، قال: (إن كنتم تعقلون) ولم يقل: إن كنتم تعلمون أو تفقهون؛ لأن العقل أعم من العلم والفقه، وجملة (قد بينا لكم الآيات) مستأنفة.[٧]

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٢/ ١٠٨).
٢ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٩٦).
٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٧٦).
٤ – انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٣١).
٥ – جامع البيان (٧/ ١٤٧).
٦ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨١).
٧ – انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: اللفتات واللطائف:

١-"حرمة اتخاذ مستشارين وأصدقاء من أهل الكفر عامة، وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية، والأمور التي يخفيها المسلمون على أعدائهم لما في ذلك من الضرر الكبير.

٢-بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين.

٣-بيان نفسيات الكافرين وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين.

٤-الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكمن في الصبر والتجلد وعدم إظهار الخوف للكافرين".[١]

الآية السادسة: قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الرعد: ٥]

أولاً: مناسبة الآية لما قبلها:

"أقام الله تعالى في الآيات السّابقة الأدلة السّماوية والأرضية على قدرته، ليثبت للناس أن من كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة، كيف لا تكون وافية بإعادة الإنسان بعد موته؛ لأن القادر على الأقوى الأكمل، فإنه قادر بالأولى على الأقل الأضعف كقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأحقاف: ٣٣] ثم حكى هنا إنكار المشركين للبعث والقيامة، وأتبعه بحكاية حماقة أخرى وهي استعجالهم العذاب، وأردفه بطلباتهم إنزال آيات حسية للتعجيز".[٢]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

ويقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: (وإن تعجب) من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه، ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتدأ خلق الأشياء، فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقا جديدا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) وقد علم كل عالم وعاقل، أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه.[٣] وإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما في السموات والأرض والثمار، قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم.[٤]

---

١ – أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٣٦٨).

٢ – التفسير المنير للزحيلي (١٣/ ١١١).

٣ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٤٣٢).

٤ – انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وهذه آية توبيخ للكفرة أي: وإن تعجب يا محمد من جهالتهم وإعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك، وعجب وغريب قولهم : أنعود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا ".[١]

ويرى الباحث أن فائدة هذا هو التشويق (إن تعجب فعجب قولهم)؛ لمعرفة المتعجب منه تهويلا له أو نحوه، ولذلك فالتنكير في قوله: فعجب للتنويع؛ لأن المقصود أن قولهم ذلك صالح للتعجيب منه، ثم هو يفيد معنى التعظيم في بابه تبعا لما أفاده التعليق بالشرط من التشويق.

والعجب: تغير النفس بما خفي سببه عن العادة، والجديد: المهيأ بالقطع إلى التكوين قبل التصريف في الأعمال، وأصل الصفة القطع قال الرماني[٢]: وقد قيل: لا خير فيمن لا يتعجب من العجب، وأرذل منه من يتعجب من غير عجب، يعني: فالكفار تعجبوا من غير عجب.[٣]

والاستفهام في (أإذا كنا ترابا) إنكاري؛ لأنهم موقنون بأنهم لا يكونون في خلق جديد بعد أن يكونوا ترابا، والقول المحكي عنهم فهو في معنى الاستفهام عن مجموع أمرين، وهما كونهم: ترابا، وتجديد خلقهم ثانية، والمقصود من ذلك العجب والإحالة.[٤]

وقوله: (وَأُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ) أي: السلاسل في أيمانهم مشدودة إلى أعناقهم يوم القيامة؛ لأنهم غلّوا أفكارهم عن النظر في هذه الأمور كما جعلوا خالقهم مغلول القدرة على ذلك وهو القادر الحكيم.[٥]

ثالثا: المعنى اللغوي:

والْأَغْلالُ جمع غِل: وهو طوق حديدي تشد به اليدان إلى العنق[٦] وذكرت الأعناق في في الآية؛ لتأكيد وجود الغل، وفي الكلام ما يفيد أن الأغلال معنوية ذلك أنهم لسيطرة المادة عليهم كانوا كأنهم في أغلالها لَا ينفصلون عن هذه الأغلال، فالكفر بالغيب أدَّاهم إلى هذه الحال المثيرة للعجب من أمرهم، ففي الكلام استعارة، شبهت حالهم في استغراق المادة لنفوسهم بحال من وضع الغل في عنقه، فلا يتحرك إلا تحت سيطرة هذه الأغلال، و(أَعْنَاقِهِمْ) ترشيح

---

١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٩٥).

٢ – هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٧).

٣ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٢٨٢).

٤ – انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٩٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٦).

٥ – انظر: محاسن التأويل (٦/ ٢٥٩).

٦ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٣/ ١١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للاستعارة، وهناك تخريج آخر، وهو أنهم يكونون في أغلال من حديد يساقون بها إلى جهنم، وقد أكد سبحانه وتعالى بعد ذلك أنهم أصحاب النار هم فيها خالدون.[١]

وقوله: (الأعناق) جعل الأعناق ظروفاً باعتبار أنها على بعض منها، وذلك كناية عن ضيقها، فقال: (في أعناقهم) أي: بكفرهم وإن لم تكن الأغلال مشاهدة الآن، فهي لقدرة المهدد بها على الفعل كأنها موجودة، وهم منقادون لما قدر عليهم من أسبابها كما يقاد المغلول بها إلى ما يريد قائده.[٢]

وقوله تعالى: (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) والمراد منه التهديد بالعذاب المخلد المؤبد.[٣]

ويفهم من الآيات ما يأتي:

١-إنكار البعث والقيامة مدعاة للعجب الشّديد، والله تعالى لا يتعجب، ولا يجوز عليه التعجب؛ لأنه تغير في النّفس بما تخفى أسبابه، وإنما ذكر تعالى ذلك؛ ليتعجب منه نبيه والمؤمنون.

٢-من أنكر البعث والقيامة، فهو كافر، لإنكاره القدرة الإلهية، والعلم، والصدق في الخبر، ويساق إلى جهنم بالأغلال والسّلاسل، وهو خالد في النّار.

فهذه أوصاف ثلاثة لمنكري البعث: أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأُولئِكَ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ، وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

٣-العذاب المخلد ليس إلا للكفار بهذه الآية: (هُمْ فِيها خالِدُونَ) أي: هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم، أما أهل الكبائر من المسلمين الذين يرتكبون الجرائم العظام، كالقتل، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، فلا يخلدون في النّار.[٤]

الآية السابعة: قال تعالى: **﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** [الممتحنة: ٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ) "إن يثقفكم هؤلاء الذين تسرّون أيها المؤمنون إليهم بالمودّة، يكونوا لكم حربًا وأعداء"[٥]، وإن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً خالصي العداوة، ولا ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم، (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ) بالقتال والشتم، وتمنوا لو

١ – انظر: زهرة التفاسير (٧/ ٣٨٩٩).
٢ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠/ ٢٨٣).
٣ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٩/ ١٠).
٤ – انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٣/ ١١٥).
٥ – جامع البيان (٢٣/ ٣١٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ترتدون عن دينكم، فإذن مودة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].[١]

ثانياً: المعنى اللغوي:

"وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله، وَالرُّمْحُ الْمُثَقَّفُ الْمُقَوَّمُ، قَالَ الرَّاغِبُ: ثُمَّ يُتَجَوَّزُ بِهِ فَيُسْتَعْمَلُ فِي الْإِدْرَاكِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ ثَقَافَةٌ، قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقال: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [الأنفال: ٥٧]".[٢]

وقوله تعالى: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل والتعذيب، أي: أيديهم بالسيف، (وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ) أي: بالشتم.[٣]

والبسط: مستعار للإكثار لما شاع من تشبيه الكثير بالواسع والطويل، وتشبيه ضده وهو القبض بضد ذلك، فبسط اليد الإكثار من عملها، والمراد به هنا: عمل اليد الذي يضر مثل الضرب، والتقييد، والطعن، وعمل اللسان الذي يؤذي مثل الشتم والتهكم.[٤]

"فهؤلاء إن يظفروا بكم وصادفوكم يكونوا لكم أعداء، ولن تسلموا من أيديهم بالسوء ولا من ألسنتهم بالذمّ وذكر القبيح".[٥]

وقوله: (وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) أي: تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للإيذان بتحقيق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا" يكونوا حربا عليكم ويفعلوا بكم الأفاعيل.[٦] وهذا معطوف على جواب الشرط، أو على جملة الشرط والجزاء، ورجح هذا أبو حيان، والمعنى: أنهم تمنوا ارتدادهم وودوا رجوعهم إلى الكفر.[٧]

والخلاصة: كأن الله يقول: إن هؤلاء يودون لكم كل ضر وأذى في دينكم ودنياكم، فكيف بكم بعد هذا تمدون إليهم حبال المودة، وتوثقون عرا الإخاء، فهذا مما لا يرشد إليه عقل، ولا يهدى إليه دين، فلا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم.

---

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥١٣).

٢ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٨٣).

٣ – انظر: بحر العلوم (٣/ ٤٣٦)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٢٩٢)، الوجيز للواحدي (١/ ١٠٨٨)، تفسير السمعاني (٥/ ٤١٤).

٤ – انظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ١٤٠).

٥ – لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ٥٧٠).

٦ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٢٣٦)، تفسير المراغي (٢٨/ ٦٣).

٧ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثامنة: قال تعالى: **﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [الحج: ٩-١٠]

أولاً: القراءات:

قوله: (ليضل): قرأ المكي (ابن كثير) وأبو عمرو البصري ورويس بفتح الياء (ليَضل) وغيرهم بضمها (ليُضل).[١]

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (ثاني عطفه) أي: لاوى عنقه، وقال ابن جريج[٢]: يعرض عن الحق تكبرا.[٣] تكبرا.[٣] واختلفت الأقوال في ذلك، لكن الراجح كما يقول الطبري: "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولّي عنقه عنه والإعراض، والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله، أعرض عن داعيه، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارا".[٤]

ثالثاً: المعنى اللغوي:

والثني: لي الشيء، يقال: ثنى عنان فرسه، إذا لواه ليدير رأس فرسه إلى الجهة التي يريد أن يوجهه إليها، ويطلق أيضا الثني على الإمالة، ويقال: لوى جيده وهو عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخدّ ولىّ الجيد، وقيل: عن الإعراض عن الذكر، وهذه الصفة تنطبق على حالة أبي جهل فلذلك قيل إنه المراد هنا.[٥]

والعطف: الجانب، وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء، نظيره قوله تعالى: **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [لقمان: ٧] وقال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾** [المنافقون: ٥] وكل هذا عبارة عن المتكبر المعرض، وذلك أن صاحب الكبر يرد وجهه عما

---

١ – انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (١/ ٢١٣).

٢ – ابن جُرَيج هو عبد الملك بن عبد العزيز أحد العلماء الفقهاء وقراء القرآن، ورواة الحديث، وهو من تابعي التابعين. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١١٩)

٣ – انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٤٢٣)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٣٢٥).

٤ – جامع البيان (١٨/ ٥٧٤).

٥ – انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٠٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٤٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتكبر عنه، فهو يرد وجهه يصعر خده، ويولي صفحته، ويلوي عنقه، ويثني عطفه، وهذه هي عبارات المفسرين.[١]

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا عن الحق استكبارا؛ ليصدّ المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له، ويستزلهم عنه، وقوله: (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) أي: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي، وهو القتل، والذل، والمهانة بأيدي المؤمنين، أي: يقال له هذا تقريعا وتوبيخا فقتله الله بأيديهم يوم بدر.[٢]

وقوله: (ليَضل) على أن إعراضه عن الهدى المتمكن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى إلى الضلال، (له في الدنيا خزي) وهو ما أصابه يوم بدر.[٣] واللام هنا هي لام العاقبة، كأنه جعل ضلاله غاية لجداله، وجملة (له في الدنيا خزي) مستأنفة مبينة لما يحصل له بسبب جداله من العقوبة، والخزي: الذل، وذلك بما يناله من العقوبة في الدنيا من العذاب المعجل وسوء الذكر على ألسن الناس، وقيل: الخزي الدنيوي هو القتل كما وقع في يوم بدر، وقوله: (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي: عذاب النار المحرقة، والإشارة بقوله: (ذلك) إلى ما تقدم من العذاب الدنيوي والأخروي.[٤]

وقوله تعالى: (له في الدنيا خزي) "أي: إهانة وذل وإن طال زمن استدراجه بتنعيمه "حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه (ونذيقه) أي: بما لنا من العظمة (يوم القيامة) الذي يجمع فيه الخلائق بالإحياء بعد الموت (عذاب الحريق) أي بجعله يحس بألم العذاب بالحريق كما يحس الذائق بالشيء كما أحرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل، ويقال حقيقة أو مجازاً".[٥]

وقوله تعالى: (ذلك بما قدمت يداك) أي: السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب وكنى عنها باليد؛ لأن اليد آلة الكسب، ونسب التقديم إلى اليدين إذ هما آلتا الاكتساب؛ ولأنهما أكثر الأفعال تزاول بهما، وجرت عادة العرب أن تضيف الأعمال إلى اليد؛ لأنها آلة أكثر العمل، وإضافة ما يؤدي إليهما أنكأ، واختلف في الوقف على قوله: (يَداكَ) فقيل لا يجوز؛ لأن التقدير: (وبأن الله) أي: وَأَنَّ اللَّهَ هو العدل فيك بجرائمك وقيل: يجوز بمعنى

---

١ – انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ٣٢٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٩٩).
٢ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٥٧٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٩٩).
٣ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٦٦).
٤ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٢٠).
٥ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمر (أن الله تعالى لَيْسَ بِظَلَّامٍ)، أو بمعنى إرادة القول أي: يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب، بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي.[١]

وقوله: (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أي: والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم، والتعبير عن ذلك بنفي الظلم، مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا.[٢]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١-"ذم الكبر والخيلاء وسواء من كافر أو من مؤمن"[٣].

٢-عدل الله عزوجل لعباده.

والخلاصة: أن هذا التعبير يرسم صورة لهذا الصنف من الناس صورة فيها الكبر المتعجرف فهو لا يستند إلى حق فيعوض عن هذا بالعجرفة، والكبر ولا يكتفي بأن يضل، إنما يحمل غيره على الضلال، وهذا الكبر الضال المضل لا بد أن يُقمع، ولا بد أن يحطم في الدنيا فالخزي هو المقابل للكبر، والله تعالى لا يدع المتكبرين المتعجرفين الضالين المضلين حتى يحطم تلك الكبرياء الزائفة وينكسها ولو بعد حين، إنما يمهلهم أحيانا؛ ليكون الخزي أعظم، والتحقير أوقع، أما عذاب الآخرة فهو أشد وأوجع.

"وإذ كانت هذه الآية ونظيرتها التي سبقت مما نزل بمكة لا محالة كان قوله تعالى: (له في الدنيا خزي) من الإخبار بالغيب وهو من معجزات القرآن".[٤]

الآية التاسعة: قال تعالى: **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة: ٣٢]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله تعالى: (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم) أي: يبطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه، وقال الكلبي[٥]: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكذيبا، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه.[٦]

---

١ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٣٠)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٠٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٦٦)، التفسير المنير للزحيلي (١٧/ ١٦٦).

٢ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٩٧).

٣ – أيسر التفاسير (٣/ ٤٥٩).

٤- التحرير والتنوير (١٧/ ٢٠٩).

٥ – هو هشام بن محمد ابن الكلبي (المؤرخ) ت٢٠٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٣٠).

٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ١٣٦)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢/ ٣٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وهؤلاء يريدون أن يهلك محمد ﷺ وأصحابه أن لا يعبدوا الله بالإسلام في الأرض".[١] فهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعثَ به رسوله، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذي جعله الله لخلقه ضياءً.[٢]

ثانياً: المعنى اللغوي:

والأفواه: "جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه، وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي".[٣]

"والمراد بنور الله سبحانه إما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أو القرآن العظيم الناطق بذلك".[٤]

والإطفاء إبطال الإسراج وإزالة النور بنفخ عليه، أو هبوب رياح، أو إراقة مياه على الشيء المستنير من سراج أو جمر. وإضافة النور إلى اسم الجلالة إشارة إلى أن محاولة إطفائه عبث وأن أصحاب تلك المحاولة لا يبلغون مرادهم.

والإباء والإباية: الامتناع من الفعل، وهو هنا تمثيل لإرادة الله تعالى إتمام ظهور الإسلام بحال من يحاوله، محاول على فعل وهو يمتنع منه؛ لأنهم لما حاولوا طمس الإسلام كانوا في نفس الأمر محاولين إبطال مراد الله تعالى، فكان حالهم في نفس الأمر، كحال من يحاول من غيره فعلا وهو يأبى أن يفعله.[٥] ونظير تلك الآية قوله تعالى: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [الصف: ٨] وقوله: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ) أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل؛ وذلك مثل من ينفخ في الشمس بفيه ليطفيء نورها، ويحجب ضياءها، وأنى له ذلك؟ فما هو إلا كمن يضرب في حديد بارد، أو كمن يريد أن يضرم النار في الرماد، أو كمن يريد أن يصطاد العنقاء.[٦]

المطلب الثاني: إعراض المنافقين (الألسنة، والأنامل، والأفواه، والرؤوس، والخدود).

لقد جاء النبي ﷺ بالدعوة إلى الله، فإذا بالمنافقين يصدون عن دعوته، ويبدأون بقذفها بأفواههم، وألسنتهم، ويعضون أناملهم من الغيظ، وقد ورد في ذلك عدة آيات، منها:

---

١ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ١٧٥).
٢ – انظر: جامع البيان (١٤/ ٢١٣).
٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٧٦).
٤ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/ ٦١).
٥ – انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٧١).
٦ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١١٢) تفسير المراغي (٢٨/ ٨٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١٥]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (تَلَقَّوْنَهُ) "تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان، بمعنى أخذته منه، وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذُكِرَ يَلْقى آخر، فيقول: أوَمَا بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليُشيع عليها بذلك الفاحشة".[١] ويقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه، ومنه قوله تعالى: **﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾** [البقرة: ٣٧] وقرئ على الأصل: تتلقونه، وإذ تلقونه، وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه، وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض، وتلقونه وتألقونه، من الولق والألق: وهو الكذب.[٢] وقوله تعالى: (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ) مبالغة وإلزام وتأكيد، كما في قوله: **﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾** [الأنعام: ٣٨] [٣]

وقوله: (بأفواهكم) تصوير لمزيد قبحه، وإشارة إلى أنه قول لا حقيقة له، فلا يمكن ارتسامه في القلب بنوع دليل.[٤] وهذا الإفك ليس إلا قولا يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب، كقوله تعالى: **﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾** [آل عمران: ١٦٧] [٥] فوجه ذكر (بأفواهكم) مع أن القول لا يكون بغير الأفواه أنه أريد التمهيد لقوله: (ما ليس لكم به علم) أي: هو قول غير موافق لما في العلم، ولكنه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه، وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه، وزاد تعالى في توبيخهم بقوله: (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) أي: تحسبون الحديث بالقذف أمرا هينا، وإنما حسبوه هينا؛ لأنهم استخفوا الغيبة والطعن في الناس استصحابا لما كانوا عليه في مدة الجاهلية، إذ لم يكن لهم وازع من الدين يرعهم، فلذلك هم يحذرون الناس، فلا يعتدون عليهم باليد وبالسب، خشية منهم فإذا خلوا أمنوا من ذلك.[٦] مع العلم أن الله تعالى بين عقوبة قذف المحصنات بغير دليل فقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾**

---

١ – جامع البيان (١٩/ ١٣٠).

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢١٩).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٧١)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٧).

٤ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٢٣١).

٥ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٤٩٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٦٤)، إرشاد العقل السليم إلى إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٢).

٦ – انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[النور: ٤] وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: ٢٣] وتحسبون ذلك يسيرا سهلا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل![1] ومن خطورة الكلمة حذر رسول الله ﷺ أن تخرج دون الاهتمام بها، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**).[2]

"وتدل الآية الكريمة على أن القذف من الكبائر لقوله: (وَهُوَ عِندَ الله عَظِيمٌ) وتدل على أن الواجب على المكلف في كل محرم أن يستعظم الإقدام عليه".[3] وقد حذر رسول الله ﷺ من القذف بدون دليل واعتبره من الكبائر، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**).[4]

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١-"بشاعة الإفك وعظيم جرمه.

٣-العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.

٤-واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين.

٥-حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك".[5]

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٢٨).

٢ – صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ح ٦٤٧٨ (٨/ ١٠١).

٣ – اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٣٢٦).

٤ – سبق تخريجه (ص ٨٥).

٥ – أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٥٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [آل عمران: ١١٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) أي: أنتم أيها المؤمنون تحبون المنافقين مما يظهرون لكم من الإيمان، فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم، لا باطنا ولا ظاهرا (وتؤمنون بالكتاب كله) أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان، وليس عندكم في شيء منه شك ولا ريب، وهم عندهم الشك والريب والحيرة.(١)

وقوله تعالى: (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: أن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم، ووصفهم بصفتهم، إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أعطوهم بألسنتهم تقيةً حذرًا على أنفسهم منهم فقالوا لهم:"قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد ﷺ " وإذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون.(٢)

ثانياً: المعنى اللغوي:

و"الأنامل" (الْأُنْمُلَة) عقدَة الإصبع أَو سلاماها والمفصل الْأَعْلَى من الإصبع الَّذِي فِيهِ الظفر وجمعه أنامل".(٣)

وقوله تعالى: (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) "وهو عبارة عن شدة الغيظ".(٤)

والعض: شد الشيء بالأسنان، وعض الأنامل كناية عن شدة الغيظ والتحسر، وإن لم يكن عض أنامل محسوسا، ولكن كني به عن لازمه في المتعارف، فإن الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الإنفعال، فقد تكون معينة على دفع انفعاله كقتل عدوه، وفي ضده تقبيل من يحبه، وقد تكون قاصرة عليه يشفي بها بعض انفعاله، وعضه أصابعه من الغيظ، وقرعه سنه من الندم، وضرب الكف بالكف من التحسر، ومن ذلك التأوه

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٠٨)، تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٤٤).

٢ – انظر: جامع البيان (٧/ ١٥١).

٣ – المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٥).

٤ – تفسير السمعاني (١/ ٣٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والصياح ونحوها، وهي ضروب من علامات الجزع، وبعضها جبلي كالصياح، وبعضها عادي يتعارفه الناس ويكثر بينهم، فيصيرون يفعلونه بدون تأمل.[١]

وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره، وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات، وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم.[٢]

وقوله تعالى: (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوّة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار، ويعتبر هذا أمراً لرسول اللَّه ﷺ بطيب النفس، وقوة الرجاء والاستبشار بوعد اللَّه أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به، كأنه قيل: حدث نفسك بذلك. [٣]

وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق، وهو يحتمل أن يكون من المقول أي: وقل لهم أن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً، وأن يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم.[٤]

ثالثاً: اللفتات واللطائف:

١-"حرمة اتخاذ مستشارين وأصدقاء من أهل الكفر عامة وحرمة إطلاعهم على أسرار الدولة الإسلامية، والأمور التي يخفيها المسلمون على أعدائهم لما في ذلك من الضرر الكبير.

٢-بيان رحمة المؤمنين وفضلهم على الكافرين.

٣-بيان نفسيات الكافرين وما يحملونه من إرادة الشر والفساد للمسلمين.

٤-الوقاية من كيد الكفار ومكرهم تكمن في الصبر والتجلد وعدم إظهار الخوف للكافرين".[٥]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٤/ ٦٦).

٢ – انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٢).

٣ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٠٧).

٤ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ٧٧).

٥ – أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٣٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية الثالثة: قال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾** [المنافقون: ٥]

أولاً: سبب النزول:

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: (قيل لعبد الله بن أبي لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك فجعل يلوي رأسه فنزلت فيه (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله)[١]

وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا إلى رسول الله يستغفر لكم لووا رءوسهم، يقول حرّكوها وهزّوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره.

ثانياً: القراءات:

وقوله جلَّ وعزَّ: (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) "قرأ نافع وحده " لَوَوْا رءوسهم " خفيفًا، وقرأ الباقون (لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ) قال أبو منصور: (لَوَّوْا) بالتشديد للتكثير والمبالغة، و (لوَوا) جائز".[٢] "والصواب من القول في ذلك قراءة من شدّد الواو؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه".[٣]

ثالثاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ) عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا.[٤] وهؤلاء المنافقون إذا قال لهم القائل من المؤمنين: قد نزل فيكم ما نزل من القرآن، فتوبوا إلى الله ورسوله، وتعالوا يستغفر لكم رسول الله (لووا رؤسهم) ورأيتهم يعرضون عن قول من قال لهم: تعالوا يستغفر لكم رسول الله، أو يعرضون عن رسول الله ﷺ[٥] وهم أبوا أن يستغفروا؛ لأنهم ثابتون على النفاق، أو أو لأنهم غير راجعين فيما قالوه من كلام بذيء في جانب المسلمين، أو لئلا يلزموا بالاعتراف بما نسب إليهم من النفاق.[٦] ولا يجوز الإعراض عن من يدعوك للخير وذلك امتثال وصية لقمان لابنه في قوله تعالى: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** [لقمان: ١٨]

وليّ الرؤوس والصد عن سبيل الله سمتان متلازمتان في النفس المنافقة، وإن كان هذا التصرف يجيء عادة ممن لهم مركز في قومهم ومقام، ولكنهم هم في ذوات أنفسهم أضعف من

---

١ – انظر: لباب النقول (١/ ١٩٦).

٢ – معاني القراءات للأزهري (٣/ ٧١).

٣ – جامع البيان (٢٣/ ٣٩٧).

٤ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٤١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢١٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٨/ ٢٥٢).

٥ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٧٦).

٦ – انظر: التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٤٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواجهة، فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة، حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والأيمان![1]

رابعاً: اللفتات واللطائف:

١-"لا ينفع الاستغفار للكافر ولا الصلاة عليه بحال.

٢-ذم الإعراض والاستكبار عن التوبة والاستغفار، فمن قيل له استغفر الله فليستغفر ولا يتكبر بل عليه أن يقول: استغفر الله أو اللهم اغفر لي".[2]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾** [آل عمران: ١٦٧]

التفسير الاجمالي:

قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر إيمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل في الصلة أو كلام مبتدأ، (تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) تقسيم للأمر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة، أو للدفع عن الأنفس والأموال، وقيل: معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيرهم سواد المجاهدين، فإن كثرة السواد مما يروع العدو، ويكسر منه. [3]

وقوله: (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أي: "لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكن لا نظن أن يكون قتال، فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم".[4] ومعنى آخر أي: لو نحسن قتالا ونقدر عليه، وإنما قالوه دغلا واستهزاء، وإنما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به، لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها، أو لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم، ولكن ما أنتم بصدده ليس بقتال أصلا، وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة، وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة، دليل على كمال تثبيطهم عن القتال.[5]

وقوله: (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ) أي: أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا،

---

١ – انظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٥٧٩).

٢ – أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٣٥٨).

٣ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٤٧)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٠٩).

٤ – جامع البيان (٧/ ٣٧٩).

٥ – انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان؛ لأنّ تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين، (يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ) لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعى قلوبهم منه شيئا، وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأنّ إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ) من النفاق.[١]

وقوله: (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) أي: أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان يوم قالوا ذلك القول، لظهور صفته فيهم وانطباق آيته عليهم، فإن القعود عن الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الوطن والأمة عند هجوم الأعداء من الفرائض التي لا يتعمد المؤمن تركها.[٢]

وقوله: (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) "وهذه خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم".[٣]

وقوله: (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) أي: "ادرأوه عند حلوله، فإن من لم يمت بالسيف مات بغيره، أي: إن (كنتم صادقين) في أن سبب موت إخوانكم هو عصين أمركم".[٤]

المطلب الثالث: إعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين (الأرجل، والأيدي، والعيون، والأفواه، والأصابع والآذان).

لقد أعرض المشركون عن دعوة الله تعالى، سواء بالصد عنها، أو بالإعراض عنها، أو بالتحريض ضدها، ومن هذه الأعضاء: الأرجل، والأيدي، والعيون، والأفواه، والأصابع، والآذان، ولقد ذكر القرآن الكريم أكثر من آية تبين ذلك ومنها:

الآية الأولى: قال تعالى: **﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾** [الأعراف: ١٩٥]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري في معنى الآية: "يقول الله لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه، معرِّفَهم جهل ما هم عليه مقيمون: ألأصنامكم هذه، أيها القوم (أرجل يمشون بها) فيسعون معكم ولكم في حوائجكم، ويتصرفون بها في منافعكم (أم لهم أيد يبطشون بها) فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروهٍ (أم لهم أعين يبصرون بها) فيعرفونكم ما عاينوا

١ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٣٧).
٢ – انظر: تفسير المنار (٤/ ١٨٧).
٣ – تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٥٦).
٤ – التحرير والتنوير (٤/ ١٦٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه (أم لهم آذان يسمعون بها) فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه؟".[١]

والغرض من هذه الآية، ألهم حواس الحي وأوصافه؟ فإذا قالوا لا حكموا بأنها جمادات، فجاءت هذه التفصيلات لذلك المجمل الذي أريد التقرير عليه، فإذا وقع الإقرار بتفصيلات القضية، لزم الإقرار بعمومها وكان بيانها أقوى، ولم تبق بها استرابة، قال الزهراوي[٢]: المعنى أنتم أفضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم؟[٣]

وقد ذكر الله في هذه الآية أعضاءً أربعة، وهي الأرجل، والأيدي، والأعين، والآذان، ولا شك أن هذه الأعضاء إذا حصل في كل واحدة منها ما يليق بها من القوى المحركة والمدركة تكون أفضل منها إذا كانت خالية عن هذه القوى، فالرجل القادرة على المشي، واليد القادرة على البطش، أفضل من اليد والرجل الخاليتين عن قوة الحركة والحياة، والعين الباصرة والأذن السامعة أفضل من العين والأذن الخاليتين عن القوة الباصرة والسامعة، وعن قوة الحياة، وإذا ثبت هذا ظهر أن الإنسان أفضل بكثير من هذه الأصنام، والمقصود من هذه الآية: بيان أن الإنسان أفضل وأكمل حالا من الصنم؛ لأن الإنسان له رجل ماشية، ويد باطشة، وعين باصرة، وأذن سامعة، والصنم رجله غير ماشية، ويده غير باطشة، وعينه غير مبصرة، وأذنه غير سامعة، وإذا كان كذلك كان الإنسان أفضل وأكمل حالا من الصنم، واشتغال الأفضل الأكمل بعبادة الأخس الأدون جهل، فهذا هو المقصود من ذكر هذا الكلام، لا ما ذهب إليه وهم هؤلاء الجهال.[٤]

ووصف الأرجل بـ (يمشون) والأيدي بـ (يبطشون) والأعين بـ (يبصرون) والآذان بـ (يسمعون) إما لزيادة تسجيل العجز عليهم فيما يحتاج إليه الناصر، وأما لأن بعض تلك الأصنام كانت مجعولة على صور الآدميين مثل هبل، وذي الكفين، وكعيب في صور الرجال، ومثل سواع كان على صورة امرأة، فإذا كان لأمثال أولئك صور أرجل، وأيد، وأعين، وآذان، فإنها عديمة العمل الذي تختص به الجوارح، فلا يطمع طامع في نصرها، وخص الأرجل، والأيدي، والأعين، والآذان؛ لأنها آلات العلم، والسعي، والدفع للنصر، ولهذا لم يذكر الألسن لمَّا

---

١ – جامع البيان (١٣/ ٣٢٢).

٢ – خلف بن عباس الزهراويّ الأندلسي، أبو القاسم: طبيب، من العلماء. ولد في الزهراء (قرب قرطبة) وإليها نسبته. الأعلام للزركلي (٢/ ٣١٠).

٣ – انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٨٩).

٤ – انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علمت من أن الاستجابة مراد بها النجدة والنصرة، ولم يكونوا يسألون عن سبب الاستنجاد، ولكنهم يسرعون إلى الالتحاق بالمستنجد.

وترتيب هذه الجوارح الأربع على حسب ما في الآية ملحوظ فيه أهميتها بحسب الغرض، الذي هو النصر والنجدة، فإن الرجلين تسرعان إلى الصريخ قبل التأمل، واليدين تعملان عمل النصر وهو الطعن والضرب، وأما الأعين والآذان فإنهما وسيلتان لذلك كله فأخرا، وإنما قدم ذكر الأعين هنا على خلاف معتاد القرءان في تقديم السمع على البصر؛ لأن الترتيب هنا كان بطريق الترقي. [١]

وفي الآية هذه تحدي وتعريض بأنه سيبلغهم وينتصر عليهم، ويستأصل آلهتهم وقد تحداهم بأتم أحوال النصر، وهي الاستنصار بأقدر الموجودات في اعتقادهم، وأن يكون الإضرار به خفيا، وأن لا يتلوم له ولا ينتظر، فإذا لم يتمكنوا من ذلك كان انتفاؤه أدل على عجزهم وعجز آلهتهم.

ثانياً: اللفتات واللطائف:

١-"إقامة الحجة على المشركين بالكشف عن حقيقة ما يدعون أنها آلهة فإذا بها أصنام لا تسمع ولا تجيب لا أيد لها ولا أرجل ولا آذان ولا أعين.

٢-وجوب التوكل على الله تعالى، وطرد الخوف من النفس والوقوف أمام الباطل وأهله في شجاعة وصبر وثبات اعتماداً على الله تعالى وولايته إذ هو يتولى الصالحين". [٢]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾ [الكهف: ٥]

أولاً: التفسير الإجمالي:

قوله تعالى: (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) أي: عَظُمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: (اتخذ الله ولدا)، والملائكة بنات الله. [٣]

وليس لهذه الكلمة مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم؛ ولهذا قال: (إن يقولون إلا كذبا). [٤]

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٩/ ٢٢٢-٢٢٣).

٢ – أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٧٧).

٣ – انظر: جامع البيان (١٧/ ٥٩٥).

٤ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ١٣٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: الإعراب:

وقوله: و(تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ) صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّرا[1] من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ ويرجع الضمير في كبرت إلى قولهم: (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً) وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها.[2] ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾ [التوبة: ٣٠] وهذه الكلمة التي تخرج من أفواههم عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد الذي يقتضي نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟ ولهذا قال هنا: (إن يقولون إلا كذبا) أي: كذبا محضاً ما فيه من الصدق شيء، وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولاً: أنه (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) والقول على الله بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانياً: أنه قول قبيح شنيع فقال: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) ثم ذكر ثالثاً: مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق.[3]

وجملة (إن يقولون إلا كذباً) مؤكدة لمضمون جملة (تخرج من أفواههم)؛ لأن الشيء الذي تنطق به الألسن ولا تحقق له في الخارج ونفس الأمر هو الكذب، أي: (تخرج من أفواههم) خروج الكذب، فما قولهم ذلك إلا كذباً، أي: ليست له صفة إلا صفة الكذب.[4]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾ [نوح: ٧]

أولاً: التفسير الإجمالي:

وقوله: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ) أي: وإني كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانيتك، والعمل بطاعتك، والبراءة من عبادة كلّ ما سواك، لتغفر لهم إذا هم فعلوا ذلك (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ

---

١ – قوله (تشورا من إظهاره) من الفعل (شور) أي: أخجله وَفعل مَا يخجله، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٩٩) أي: تباعدا من إظهاره، كأنه عورة.

٢ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٧٠٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ٢٧٣).

٣– انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٧٠).

٤– انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِي آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا دعائي إياهم إلى ذلك (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) أي: وتغشوا في ثيابهم، وتغطوا بها لئلا يسمعوا دعائي.[١]

ولئلا يبصروني كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله.[٢]

قال ابن عبَّاسٍ ﷺ: (جعلوا ثيابهم على رءوسهم لئلاَّ يسمعوا كلامي، فاستغشاءُ الثِّياب إذاً زيادة في سدِّ الآذان حتى لا يسمعوا، أو لتنكيرهم أنفسهم حتى يسكت، أو ليعرفوه إعراضهم عنه، وقيل: هو كنايةٌ عن العداوةِ، يقال: لبس فلانٌ ثياب العداوةِ). [٣]

وقوله تعالى: (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ) "يحتمل أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون عبارة عن إعراضهم، وشدة رفضهم لأقواله".[٤] "والمعنى أنهم بلغوا في التقليد إلى حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا الحجة والبينة".[٥] فهم في كل دعاء (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ) ودل على مبالغتهم في التصامم بالتعبير بالكل عن البعض فقال: (أصابعهم) كراهة له واحتقاراً للداعي.[٦]

"وجعل الأصابع في الآذان يمنع بلوغ أصوات الكلام إلى المسامع، وأطلق اسم الأصابع على الأنامل على وجه مجاز مرسل علاقته الكلية، فإن الذي يجعل في الأذن الأنملة لا الأصبع كله، فعبر عن الأنامل بالأصابع للمبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها، كقوله تعالى: **﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ١٩]".[٧]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (وأصروا) أي: استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع أي: أكبوا على الكفر والمعاصي.[٨] وقوله: (واستكبروا) مبالغة في تكبروا، أي: جعلوا أنفسهم أكبر

---

١ – انظر: جامع البيان (٢٣/ ٦٣١).

٢ – انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٥٤٢).

٣ – انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٩/ ٣٨٣).

٤ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٧٣).

٥ – مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥١).

٦ – انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٤٣١).

٧ – التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٥).

٨ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٢٣٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩/ ٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أن يأتمروا لواحد منهم، وتأكيد (استكبروا) بمفعوله المطلق للدلالة على تمكن الاستكبار، وتنوين استكبارا للتعظيم، أي: استكبارا شديدا لا يفله حد الدعوة.[١]

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾** [إبراهيم: ٩]

أولاً: التفسير الإجمالي:

يقول الطبري: في معنى الآية، مخبرًا عن قول موسى لقومه: "يا قوم (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) أي: خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم (قومِ نوح وعاد وثمودَ والذين من بعدهم) أي: من بعد قوم نوح وعاد وثمود، وقوله: (لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) أي: لا يحصي عَدَدهم ولا يعلَمُ مبلغهم إلا الله".[٢]

وقوله: (جاءتهم رسلهم بالبينات) أي: "بالحجج والدلالات".[٣] وجملة جاءتهم رسلهم بالبينات مستأنفة لبيان النبأ المذكور في (ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم) أي: جاءتهم الرسل بالمعجزات الظاهرة وبالشرائع الواضحة.[٤]

ثانياً: المعنى اللغوي:

وقوله: (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أي: وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا، أو ردّوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت، أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون، و(الأيدي) جمع يد، وهي النعمة بمعنى الأيادي، أي: ردوا نِعَمَ الأنبياء التي هي أَجَلُّ النعم من مواعظهم، ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم؛ لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها، فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه.[٥] وهؤلاء لم يؤمنوا بما جاءوا به ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان.[٦]

واختلف أهل التأويل في تأويل (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ) إلى عدة أقوال، والراجح فيها كما يقول الطبري: أي: ردُّوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أياديَ ونعمًا عندهم، فلم يقبلوها، وقوله: (فِي

---

١ – انظر: التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩٥).
٢ – جامع البيان (١٦/ ٥٢٩).
٣ – تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٣٤٥).
٤ – انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ١١٦).
٥ – انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٤٢).
٦ – انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَفْواهِهِمْ) أي: بألسنتهم التي في أفواههم.[١] والرد: مستعمل في معنى تكرير جعل الأيدي في الأفواه، أي: وضعوا أيديهم على الأفواه ثم أزالوها ثم أعادوا وضعها فتلك الإعادة رد.[٢]

وقوله: (إنا كفرنا) تنبيها على أن لا جواب لهم سواه أو ردوها في أفواه الأنبياء يمنعونهم من التكلم، وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلا.[٣] وهؤلاء قالوا للرسل: (إنا كفرنا بما أرسلتم به) من الآيات، أي: كفرنا بدلالتها على صدق رسالتكم، وقوله: (وإنا لفي شك) أي: في الريبة والقلق والاضطراب، (مما تدعوننا إليه مريب) من الإيمان بالله وحده، وترك ما سواه.[٤]

الآية الخامسة: قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** [الحج: ٤٦]

التفسير الإجمالي:

ومعنى الآية: أفلم يسيروا هؤلاء المكذّبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فينظروا إلى مصارع ضربائهم من مكذّبي رسل الله الذين خلوْا من قبلهم، كعاد، وثمود، وقوم لوط، وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكَّروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذّب رسله، فينيبوا من عتوّهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحقّ (قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيَّنا (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أي: أو آذان تصغي لسماع الحقّ فتعي ذلك وتميز بينه وبين الباطل.[٥] فأما فأما قوله تعالى: (وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) فهو توكيد؛ لأن القلب لا يكون إلا في الصدر.[٦]

وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز، وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر.[٧] وليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر.[٨]

---

١ – انظر: جامع البيان (١٦/ ٥٣٣).
٢ – انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٩٧).
٣ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/ ١٩٤).
٤– انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٣/ ٢١٧).
٥ – انظر: جامع البيان (١٨/ ٦٥٧).
٦ – انظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٤٢).
٧ – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٧٤)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١١١).
٨ – انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وأسند التعقل إلى القلوب؛ لأنها محل العقل، كما أن الآذان محل السمع، وقيل: إن العقل محله الدماغ ولا مانع من ذلك، فإن القلب هو الذي يبعث على إدراك العقل وإن كان محله خارجا عنه".[١]

وأما ذكر الآذان فلأن الأذن آلة السمع، والسائر في الأرض ينظر آثار الأمم، ويسمع أخبار فنائهم، فيستدل من ذلك على ترتب المسببات على أسبابها، على أن حظ كثير من المتحدث إليهم وهم الذين لم يسافروا أن يتلقوا الأخبار من المسافرين، فيعلموا ما علمه المسافرون علما سبيله سماع الأخبار، وفي ذكر الآذان اكتفاء عن ذكر الأبصار، إذ يعلم أن القلوب التي تعقل، إنما طريق علمها مشاهدة آثار العذاب، والاستئصال كما أشار إليه قوله بعد ذلك: (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور). والتعريف في الأبصار، والقلوب، والصدور تعريف الجنس الشامل لقلوب المتحدث عنهم وغيرهم، والجمع فيها باعتبار أصحابها.[٢]

قال مجاهد: (لكل عين أربع أعين، يعني لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا، (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي: من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار).[٣]

الخلاصة من هذا المبحث أن المنافقين والكافرين رغم أنهم صدوا عن سبيل الله، واستعملوا كل الأساليب للإعراض عن دعوة الأنبياء عليهم السلام، إلا أن الله تعالى أظهر نوره على الكون ولو كره الكافرون، قال تعالى: **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة: ٣٢] وقال أيضاً: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [الصف: ٨]

ولقد وردت أعضاءٌ كثيرة في هذا المبحث تتحدث عن إعراض الكفار، والمنافقين، واليهود عن دعوة النبي ﷺ كالظهور، والقلوب، والآذان، والألسنة، والأفواه، والأنامل، والرؤوس، منها ما ذكر في إعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين، كالأفواه، والأصابع، والآذان، والأيدي.

---

١ – فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٤٤).

٢ – انظر: التحرير والتنوير (١٧/ ٢٨٩).

٣ – انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإني أحمد الله كثيراً، أن وفقني وأعانني على كتابة وإتمام هذا البحث، الذي حمل عنوان: **(أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)**.

ويمكن الوقوف على أهم النتائج في النقاط التالية:

١- تبين من خلال الدراسة أن القرآن الكريم ذكر قرابة الأربعين من أعضاء جسم الإنسان في آياته.

٢- اتضح من خلال الدراسة أن الآيات التي وردت في هذه الأعضاء قد تجاوزت المائة آية.

٣- اتضح من خلال الدراسة، ومن خلال الآيات أن بعض هذه الأعضاء قد ورد في الطهارة، كالوضوء والتيمم، كالأيدي والمرافق، والأرجل والرؤوس.

٤- تبين من خلال الدراسة أيضاً، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد في الحدود، كالعيون، والأنوف، والآذان، والأسنان.

٥- اتضح من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد في القتال، كالأعناق، والرقاب، والبنان، والأقدام، الأدبار.

٦- برز من خلال الدراسة أيضاً، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد في الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاءات والمحن، كتقليب الأيدي، والعض على الأيدي، والأقدام والظهور، والقلوب والعيون، والأصابع والأيدي.

٧- تبين من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في الشهادة على أصحابها يوم القيامة، كالجلود والألسنة، والأسماع والأبصار.

٨- تبين من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ذكرت في العذاب، كالجلود والظهور، والجباه والبطون، والأمعاء والنواصي، والوجوه والخرطوم.

٩- ظهر من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في تعظيم قدرة الله تعالى، كالبطون والصدور، والعظام واللحوم، والحلاقيم والأوردة، والتراقي والسيقان.

١٠-تبين من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في العبادة والطاعة، كالجنوب والجبين، والأذقان والبطون والألسنة، والوجوه والرؤوس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١-ظهر من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في الطمأنينة والبشرى، كالأعضاد والصدور، وقرة العيون ونضارة الوجوه.

١٢- برز من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، كالأيدي والعيون، والأرجل والسيقان، الرؤوس واللحى.

١٣- اتضح من خلال الدراسة، أن بعض هذه الأعضاء قد ورد ذكرها في الإعراض والصد عن الدعوة، كإعراض الكفار واليهود عن النبي ﷺ، مثل أعضاء الظهور، والقلوب، والآذان، وإعراض المنافقين كأعضاء الألسنة، والأفواه، والأنامل، والأيدي، والرؤوس، وإعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين، مثل، الأصابع، والآذان.

التوصيات:

١-أوصي نفسي بتقوى الله ولزوم طاعته.

٢-أنصح طلاب العلم بالعناية بالموضوعات القرآنية؛ لكونها ترتبط بكتاب الله تعالى، وهي موضوعات مهمة تعالج قضايا بشرية، وأحداث واقعية، وهي تمثل تفسيراً موضوعياً لكتاب الله تعالى.

٣-أنصح الجميع بالتأمل في الغاية من ذكر أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم، ومواصلة البحث عن أسرارها، ففيها الكثير من المعلومات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث النبوية
٣- فهرس الأعلام المترجم لهم
٤- فهرس المصادر والمراجع
٥- فهرس الموضوعات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
١	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ...﴾	٧	٢٠١
٢	﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	١٨	٢٠٠
٣	﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ...﴾	١٩	٥١
٤	﴿...يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ...﴾	١٩	٢٢٨
٥	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...﴾	٣٧	٢١٨
٦	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾	٧٩	٤٨
٧	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾	١٠١	١٩٧
٨	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾	١٤٤	١٣٩
٩	﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ...﴾	١٦٧	٤٤-٥٥
١٠	﴿... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾	١٧١	٤٩-٢٠٠
١١	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ...﴾	١٧٤	٨٧
١٢	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ...﴾	١٧٩	١٦
١٣	﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ...﴾	١٩١	٢١٣
١٤	﴿...وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾	٢٠٤	١٥٦
	سورة آل عمران		
١٥	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا...﴾	١٣	٣٢
١٦	﴿...يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ...﴾	١٣	٣٦
١٧	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾	١٤	١٤٦
١٨	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾	٨٥	٥٦
١٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾	١٠٢	٨٤
٢٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ...﴾	١١٨	٢٠٧
٢١	﴿...لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا...﴾	١١٨	٢١٣
٢٢	﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا...﴾	١١٩	٤٥
٢٣	﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ...﴾	١١٩	٢٢٠
٢٤	﴿... والكَاظِمِينَ الغَيْظَ...﴾	١٣٤	٥٧
٢٥	﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا...﴾	١٤٧	٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦	﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى...﴾	١٥٤	٢٦
٢٧	﴿... يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾	١٦٧	٨٩-٢١٨-٢٢٤
٢٨	﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ...﴾	١٦٧	٢٢٣
٢٩	﴿...فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾	١٨٧	١٩٨
	سورة النساء		
٣٠	﴿... ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ...﴾	٤	٢٠٣
٣١	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...﴾	١٠	٨٧-٨٨
٣٢	﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ...﴾	٣١	١٠٣
٣٣	﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ...﴾	٣٥	٢٠٨
٣٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى...﴾	٤٣	٩
٣٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا...﴾	٥٦	٨٠
	سورة المائدة		
٣٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾	٦	٣
٣٧	﴿...وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ...﴾	٦	١٩
٣٨	﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ...﴾	٢٨	٥٩
٣٩	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي...﴾	٣٣	١٦
٤٠	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا...﴾	٣٨-٣٩	١٨
٤١	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾	٤١	٢٠٥
٤٢	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ...﴾	٤٥	١٤
٤٣	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٦٧	١٥٨
٤٤	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ ...﴾	٨٣	١٤١
٤٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ...﴾	٩٤	٦١
	سورة الأنعام		
٤٦	﴿...فلمسوه بأيديهم لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	٧	٩٢
٤٧	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً...﴾	٢٥	٢٠٢
٤٨	﴿...قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ...﴾	٣١	٤٤
٤٩	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ...﴾	٣١	٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٠	﴿...ولا طائر يطير بجناحيه إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾	٣٨	٨٩-٢١٨
٥١	﴿...قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...﴾	٤٦	١٠٨
٥٢	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾	٥٢	١٣٦
٥٣	﴿...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾	٩٣	٩٩
٥٤	﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...﴾	١٠٢	١٠٩
٥٥	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ...﴾	١٢٥	١٥٤-١٥٩
٥٦	﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾	١٣٠	١٣٠
	سورة الأعراف		
٥٧	﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	١٢٧
٥٨	﴿...قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ...﴾	٣٨	٤٦
٥٩	﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾	١٠٨	١٨١
٦٠	﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ...﴾	١١٦	١٧٩
٦١	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا...﴾	١٢٣-١٢٤	٢٠
٦٢	﴿...وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	١٤٢	١٩٣
٦٣	﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ...﴾	١٤٩	١٥٨
٦٤	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا...﴾	١٥٠	١٩٠
٦٥	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...﴾	١٧٢	١٢٩
٦٦	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ...﴾	١٧٩	٤٩-٢٠٠
٦٧	﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا...﴾	١٩٥	٢٢٤
	سورة الأنفال		
٦٨	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ...﴾	١١	٢٦
٦٩	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ...﴾	١٢	٢٨-٣٠
٧٠	﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ...﴾	١٢-١٣	٣٠
٧١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	١٥	٢٧
٧٢	﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا... ﴾	١٦	٢٨
٧٣	﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ...﴾	٢٣	٢٠١
٧٤	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا...﴾	٤٤	٣٥
٧٥	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ...﴾	٥٠	٩٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٦	﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ...﴾	٥٧	٢١٣
	سورة التوبة		
٧٧	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾	١٧	١٣٠
٧٨	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى...﴾	٣٠	٢٢٨
٧٩	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾	٣٢	٢١٦-٢٣١
٨٠	﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ...﴾	٣٥	٨٩
٨١	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾	٤٣	١٧
٨٢	﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ...﴾	٩٢	١٤٦
	سورة يونس		
٨٣	﴿... أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ...﴾	٣١	١٠٨
٨٤	﴿...وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ...﴾	٥٤	٤٤
٨٥	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٩٩	٧٦
	سورة هود		
٨٦	﴿...قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾	٤٠	١٠٦
٨٧	﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ...﴾	٤٨	١٠٦
	سورة يوسف		
٨٨	﴿...رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾	٤	٧٦
٨٩	﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾	٨٤	٥٧
٩٠	﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ...﴾	٩٦	١٦٠
	سورة الرعد		
٩١	﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا...﴾	٥	٢١٠
٩٢	﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ...﴾	١٤	٥٥
	سورة إبراهيم		
٩٣	﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾	٥	٨٠
٩٤	﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾	٨	١٨٣
٩٥	﴿...فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا...﴾	٩	٤٥
٩٦	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ...﴾	٩	٢٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٧	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	١٩	١٠٩
٩٨	﴿...لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾	٤٢	٩٤
٩٩	﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ...﴾	٤٣	٩٤
١٠٠	﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ...﴾	٥٠	٧٩
	سورة الحجر		
١٠١	﴿...وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾	١٦	١٤٦
١٠٢	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	٢٠٩
	سورة النحل		
١٠٣	﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾	١	٧٥
١٠٤	﴿...فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾	٢٦	١٥١
١٠٥	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾	٧٨	١٠٦
١٠٦	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا...﴾	٩٢	١٦٣
	سورة الإسراء		
١٠٧	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها...﴾	٧	٩٧
١٠٨	﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾	١٣	١٣٢
١٠٩	﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾	٢٤	١٨٠
١١٠	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ... ﴾	٢٩	٧٤
١١١	﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ...﴾	٤٦	٢٠٤
١١٢	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	٤٩	١١٩
١١٣	﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ...﴾	٥١	١٠٤
١١٤	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾	٧٠	١٢٦
١١٥	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ... ﴾	١٠٦	١٥٠
١١٦	﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾	١٠٧	١٥٠
١١٧	﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾	١٠٩	١٥١
	سورة الكهف		
١١٨	﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ...﴾	٥	٢٢٦
١١٩	﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾	١١	١٢١
١٢٠	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾	٢٨	١٣٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢١	﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ...﴾	٢٩	٩٥
١٢٢	﴿... فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾	٤٠	١٠
١٢٣	﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا...﴾	٤٢	٤٦
١٢٤	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا...﴾	٥٧	٢٠٤
١٢٥	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا... ﴾	١٠٣-١٠٤	٥٥
	سورة مريم		
١٢٦	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا...﴾	٤	١٩٣
١٢٧	﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا...﴾	٢٦	١٦٦
١٢٨	﴿...وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾	٤٨	١٩٤
١٢٩	﴿...إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	٥٨	١٥١
١٣٠	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾	٨٥	٩٢
١٣١	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ...﴾	٩٧	١٥٦
	سورة طه		
١٣٢	﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	١٤	١٥٥
١٣٣	﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ...﴾	٢٢	١٨١
١٣٤	﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾	٢٥	١٥٧
١٣٥	﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾	٢٧	١١٤
١٣٦	﴿...قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾	٣٦	١١٤
١٣٧	﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ...﴾	٤٠	١٦٨
١٣٨	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي... ﴾	٧١	٢١
١٣٩	﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ...﴾	٧٢	٢١
١٤٠	﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ...﴾	٩٢-٩٤	١٨٩
١٤١	﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي...﴾	٩٤	١٩١
١٤٢	﴿...وَلاَ تَعْجَلْ بالقرآن مِن قَبْلِ إَن يُقضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ...﴾	١١٤	١١١
	سورة الأنبياء		
١٤٣	﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ...﴾	٣٩	٨٦
١٤٤	﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾	٦١	١٨٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الحج		
١٤٥	﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	٩-١٠	٢١٤
١٤٦	﴿...فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ...﴾	١٩-٢٠	٧٩
١٤٧	﴿ ...يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾	١٩	٩٤
١٤٨	﴿...وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	٤٦	٨٩
١٤٩	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ...﴾	٤٦	٢٣٠
١٥٠	﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	٤٧	١٢٢
	سورة المؤمنون		
١٥١	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾	٥	١٤٤
١٥٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ...﴾	١٢-١٤	١٠٥-١٢٢
١٥٣	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...﴾	٢٧	١٨٥
١٥٤	﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا...﴾	٣٥	١٢٦
١٥٥	﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾	١٠٤	٩٧
	سورة النور		
١٥٦	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ...﴾	٤	٢١٨
١٥٧	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ...﴾	١٢-١٤	١١٨
١٥٨	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ...﴾	١٥	٢١٨
١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾	٢٣	٢١٩
١٦٠	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا...﴾	٢٤	٦٥-٦٦
١٦١	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...﴾	٣١	١٤٣
١٦٢	﴿...إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا...﴾	٤٠	١٨
١٦٣	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ...﴾	٤٠	٥٣
١٦٤	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي...﴾	٤٥	١٠٩
	سورة الفرقان		
١٦٥	﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾	٢	١٠٩
١٦٦	﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً﴾	٢٣	٥٥
١٦٧	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ... ﴾	٢٧	٤٤
١٦٨	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا...﴾	٧٣	١٥٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الشعراء		
١٦٩	﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ...﴾	٤	٧٥
١٧٠	﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ...﴾	٤٩	٢٢
١٧١	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ...﴾	١٩٣-١٩٥	١١٥-١٥٦
١٧٢	﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢١٥	١٨٠
	سورة النمل		
١٧٣	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ...﴾	١٢	١٨١
١٧٤	﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...﴾	٤٠	١٨٢
١٧٥	﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ...﴾	٤٤	١٨٦
	سورة القصص		
١٧٦	﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ...﴾	٩	١٦٧
١٧٧	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا...﴾	١٠	٩٥
١٧٨	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ... ﴾	١٣	١٦٩
١٧٩	﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ...﴾	٣٢	١٨١
١٨٠	﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا...﴾	٣٤-٣٥	١٥٧
١٨١	﴿...هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا...﴾	٣٤	١١٤
	سورة الروم		
١٨٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ...﴾	٢٢	١١٦
١٨٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾	٢٧	١٠٤
	سورة لقمان		
١٨٤	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا...﴾	٧	٢١٤
١٨٥	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...﴾	١٨	٢٢٢
	سورة السجدة		
١٨٦	﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا...﴾	١٦	١٤٨
	سورة الأحزاب		
١٨٧	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾	١٠	٣٦
١٨٨	﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ...﴾	١٩	٣٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩	﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ...﴾	٣٩	١٥٨
١٩٠	﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ...﴾	٥١	١٧٠
١٩١	﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ من...﴾	٥٢	١٧٠
١٩٢	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا...﴾	٦٦-٦٨	٤٤
	سورة سبأ		
١٩٣	﴿... وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾	٣٣	٧٧
	سورة يس		
١٩٤	﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ...﴾	٨-٩	٧٤
١٩٥	﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾	٤١	١٨٤
١٩٦	﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ...﴾	٦٥	٦٦-٦٨
١٩٧	﴿... مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾	٧٨	١١٩
	سورة الصافات		
١٩٨	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً...﴾	٢٥	٢٠١
١٩٩	﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾	٤٨	١٦٥
٢٠٠	﴿...بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾	٤٩	٢٠٣
٢٠١	﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ...﴾	٥١-٥٣	١٢٠
٢٠٢	﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ...﴾	٦٦-٦٧	٨٣
٢٠٣	﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	١٤٧
٢٠٤	﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ﴾	١٦٣	٨٨
	سورة ص		
٢٠٥	﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾	٤٢	١٨٦
٢٠٦	﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ...﴾	٤٤	١٧٧
٢٠٧	﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾	٥٢	١٦٥
	سورة الزمر		
٢٠٨	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...﴾	٦	١٠٥
٢٠٩	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ...﴾	٢٢	١٥٩
٢١٠	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ..)	٥٦	٥٨
٢١١	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	١٠٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة غافر		
٢١٢	﴿...إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ...﴾	١٨	٩٥
٢١٣	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ...﴾	٥٦	٥٧
٢١٤	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾	٦٠	١٣٧
٢١٥	﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا...﴾	٧٠-٧٢	٧٣
	سورة فصلت		
٢١٦	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا ...﴾	٥	٦٥-٢٠٤
٢١٧	﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ...﴾	٢٠	٦٤
٢١٨	﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا؟ قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ...﴾	٢١	٦٥-٦٨-٧١
٢١٩	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا...﴾	٢٢	٧١
٢٢٠	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا...﴾	٢٩	٤٥
٢٢١	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا...﴾	٤٦	١٨٣
	سورة الشورى		
٢٢٢	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾	٣٠	٩٢
٢٢٣	﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها...﴾	٤٠	٨٩
	سورة الزخرف		
٢٢٤	﴿... وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ...﴾	١٣	١٨٤
٢٢٥	﴿...وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾	٥٢	١١٤
	سورة الدخان		
٢٢٦	﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾	٤٥-٤٦	٨٤
٢٢٧	﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ...﴾	٤٧-٤٨	٩٣
	سورة الأحقاف		
٢٢٨	﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى...﴾	٢٦	٢٠٠
٢٢٩	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ...﴾	٣٣	٢١٠
	سورة محمد		
٢٣٠	﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...﴾	٤	٢٩
٢٣١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ...﴾	٧	٢٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٢	﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾	٢٧	٩٩
٢٣٣	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ...﴾	٢٨	١٠٠
	سورة الفتح		
٢٣٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ...﴾	١٠	١٦١
٢٣٥	﴿لقد رضي الله عن المؤمنين...﴾	١٨	١٦١
٢٣٦	﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ...﴾	٢٧	١٦٤
	سورة ق		
٢٣٧	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ...﴾	١٦	١٢٧
٢٣٨	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ...﴾	٣٧	١١٦
	سورة الطور		
٢٣٩	﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ...﴾	٣٨	٢١
	سورة النجم		
٢٤٠	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ...﴾	٣٢	١٠٣
	سورة الرحمن		
٢٤١	﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾	٢٤	١٨٥
٢٤٢	﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾	٤١	٩٤
	سورة الواقعة		
٢٤٣	﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾	٥٣-٥٤	٨٥
٢٤٤	﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾	٨٣-٨٤	١٣١
	سورة الحديد		
٢٤٥	﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ...﴾	٢٥	١٠٦
	سورة الممتحنة		
٢٤٦	﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ...﴾	٢	٢١٢
	سورة الصف		
٢٤٧	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾	٨	٢١٧-٢٣١
	سورة المنافقون		
٢٤٨	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا...﴾	٥	٢١٤-٢٢٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الملك		
٢٤٩	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ...﴾	٢٣-٢٤	١٠٧
	سورة القلم		
٢٥٠	﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾	١٦	٩٨
٢٥١	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ...﴾	٤٢	١١٢
	سورة الحاقة		
٢٥٢	﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾	١٢	١٨
٢٥٣	﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ...﴾	٢٥	٤٢
	سورة المعارج		
٢٥٤	﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾	١٥-١٦	٨٢
	سورة نوح		
٢٥٥	﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ...﴾	٧	٢٢٧
٢٥٦	﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	١٤	١٢٦
	سورة المدثر		
٢٥٧	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾	٣-٥	٣
٢٥٨	﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾	٢٢	٩٧
	سورة القيامة		
٢٥٩	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ...﴾	٣-٤	١١٨
٢٦٠	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾	١٦	١١١
٢٦١	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢-٢٣	١٧٣
٢٦٢	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾	٢٤-٢٦	٩٧
٢٦٣	﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾	٢٦	١١٢
٢٦٤	﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾	٢٩	١١٢
	سورة الإنسان		
٢٦٥	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ...﴾	٢	١١٤
	سورة النازعات		
٢٦٦	﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾	١١	١١٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة عبس		
٢٦٧	﴿يَوْم يفر الْمَرْء من أَخِيه﴾	٣٤	١٥٨
	سورة التكوير		
٢٦٨	﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾	١٢	٨٨
	سورة الإنشقاق		
٢٦٩	﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ...﴾	١٠-١٢	٤٢
	سورة الطارق		
٢٧٠	﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾	١٧	٨٥
	سورة الغاشية		
٢٧١	﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾	٤	٨٨
	سورة البلد		
٢٧٢	﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ...﴾	٨-١٠	١١٣
	سورة الليل		
٢٧٣	﴿نَارًا تَلَظَّى﴾	١٤	٨٢
	سورة الشرح		
٢٧٤	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ* الَّذِي...﴾	٣	١٥٤
	سورة التين		
٢٧٥	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٢٥
	سورة العاديات		
٢٧٦	﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾	٧	١٣٠
	سورة المسد		
٢٧٧	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾	٥	٧٧
	سورة الناس		
٢٧٨	﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾	٥	١٥٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

م	متن الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
١.	(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا...)	صحيح البخاري	صحيح	٢١٩٨٨
٢.	(احْتَجِبَا مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هُوَ..)	سنن الترمذي	حَسَنٌ صَحِيحٌ	١٤٤
٣.	(أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ...)	المستدرك	صحيح	١٢٩
٤.	(إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَشِنَّ عَلَيْهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ...)	المستدرك	صحيح	١٨٨
٥.	(إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٧٣
٦.	(إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ يُرِيدُ...)	سنن الترمذي	حَسَنٌ صَحِيحٌ	١١١
٧.	(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ...)	صحيح البخاري	صحيح	٣
٨.	(الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ)	صحيح مسلم	صحيح	١٨٨
٩.	(اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٦٤
١٠.	(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٧٩
١١.	(إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٥٧
١٢.	(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٠٥
١٣.	(إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ...)	صحيح البخاري	صحيح	٧
١٤.	(إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤٧
١٥.	(إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ...)	صحيح البخاري	صحيح	٢١٩
١٦.	(إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ...)	صحيح البخاري	صحيح	٥٨
١٧.	(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا...)	سنن أبي داود، سنن الترمذي	صحيح	١٢٥
١٨.	(إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٠٧
١٩.	(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا...)	السنن الصغير للبيهقي	صححه الألباني	١٤٤
٢٠.	(إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ...)	المستدرك	صحيح	١٥٩
٢١.	(إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ...)	مسند أحمد	حسنٌ لغيره	٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	متن الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
٢٢.	(إِنْ كَانَ رَسُولُ ﷺ لَيَتَفَقَّدُ يَقُولُ: أَيْنَ أَنَا...)	صحيح مسلم	صحيح	١٦٧
٢٣.	(أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا...)	صحيح البخاري	صحيح	٨٨
٢٤.	(إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ...)	متفق عليه	صحيح	٧
٢٥.	(أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٦٢
٢٦.	(إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٠
٢٧.	(إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا" فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ)	صحيح البخاري	صحيح	١١
٢٨.	(أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٧٣
٢٩.	(أَنَّهُ تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ...)	صحيح البخاري	صحيح	٤
٣٠.	(انْهَكُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى)	صحيح البخاري	صحيح	١٩٢
٣١.	(أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ..)	صحيح مسلم	صحيح	٢٠٠
٣٢.	(أَوَّلُ مَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٦٧
٣٣.	(إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤٥
٣٤.	(بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ)	صحيح البخاري	صحيح	١٢١
٣٥.	(بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٨٧
٣٦.	(تُحْشَرُونَ هَا هُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ...)	المستدرك	صحيح	٧١
٣٧.	(خَالِفُوا المُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا...)	صحيح البخاري	صحيح	١٩٢
٣٨.	(خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ...)	صحيح البخاري	صحيح	٩
٣٩.	(خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ...)	المستدرك	صحيح	١٢٩
٤٠.	(رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٦٤
٤١.	(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤١
٤٢.	(سَقَطَتْ قِلاَدَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ...)	صحيح البخاري	صحيح	٣
٤٣.	(فَأَكْفَأَ عَلَى يَدِهِ مِنَ التَّوْرِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلاَثًا...)	صحيح البخاري	صحيح	٦
٤٤.	(فَخُذُوا عِثْكَالًا فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ فَاضْرِبُوهُ بِهَا..)	السنن الكبرى للنسائي، مسند أحمد بن حنبل	صحيح	١٧٨
٤٥.	(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٣٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	متن الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
٤٦.	(كَانَ يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٣٩
٤٧.	(كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ...)	صحيح مسلم	صحيح	٢٠٠
٤٨.	(كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فَإِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ...)	المستدرك	صحيح	٩٦
٤٩.	(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٣٦
٥٠.	(كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٧٠
٥١.	(كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى...)	صحيح البخاري	صحيح	٢٧
٥٢.	(كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا..)	سنن ابن ماجة	صححه الألباني	١٤٩
٥٣.	(لاَ تُقْبَلُ صَلاَةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ...)	صحيح البخاري	صحيح	٤
٥٤.	(لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ...)	صحيح البخاري	صحيح	٦٠
٥٥.	(لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٣٣
٥٦.	(لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ...)	سنن النسائي	صححه الألباني	١٥١
٥٧.	(لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٦٢
٥٨.	(لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ...)	صحيح البخاري	صحيح	١٤٥
٥٩.	(لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا...)	صحيح البخاري	صحيح	٢٧
٦٠.	(مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ...)	صحيح البخاري	صحيح	٢٠٨
٦١.	(مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَكُونَ فِي...)	صحيح مسلم	صحيح	١٧٢
٦٢.	(مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ...)	صحيح ابن حبان	صحيح	١٨٧
٦٣.	(مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي...)	صحيح مسلم	صحيح	٩١
٦٤.	(مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ...)	صحيح مسلم	صحيح	٩
٦٥.	(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ...)	صحيح البخاري	صحيح	٥٢
٦٦.	(مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ...)	صحيح مسلم	صحيح	٧
٦٧.	(مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى...)	صحيح مسلم	صحيح	٥
٦٨.	(هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟...)	صحيح مسلم	صحيح	٢٠٥
٦٩.	(هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟...)	صحيح مسلم	صحيح	٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	متن الحديث	اسم الكتاب	درجة الحديث	رقم الصفحة
٧٠.	(هَلْ تَدْرُونَ مِمَّا ضَحِكْتُ؟...)	صحيح مسلم	صحيح	٦٩
٧١.	(هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ..)	صحيح مسلم	صحيح	٧٠
٧٢.	(هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ...)	متفق عليه	صحيح	١٩٥
٧٣.	(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ...)	المستدرك	صحيح	٨٤
٧٤.	(وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ...)	صحيح البخاري	صحيح	٦
٧٥.	(يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى أَفْوَاهِهِمُ الْفِدَامُ...)	المستدرك	صحيح	٧١
٧٦.	(يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ...)	صحيح مسلم	صحيح	١٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: فهرس الأعلام

م	العلم	رقم الصفحة
١.	أبان بن سعيد بن العاص	١٦٣
٢.	ابن اسحاق	١٦٣
٣.	ابن الأنباري	١٧٤
٤.	ابْنُ الْمُنْذِرِ	١٤
٥.	ابن جريج	٢١٤
٦.	ابن صوريا	٢٠٦
٧.	أبو الأعور السلمي	٣٧
٨.	أبو البقاء	١١٢
٩.	أبو لبابة	٢٠٦
١٠.	أسماء بنت مرثد	١٤٣
١١.	الأثرم	١٢٨
١٢.	الأزهري	١٣٣
١٣.	الأصمعي	١٨٦
١٤.	الأقرع بن حابس	١٣٦
١٥.	الأوزاعي	٣١
١٦.	الحسن البصري	٥٩
١٧.	الخيار بن عدي	١٩
١٨.	الدرامي	١٥٨
١٩.	الراغب	٥١
٢٠.	الرماني	٢١١
٢١.	الزجاج	٢٢
٢٢.	الزهراوي	٢٢٦
٢٣.	السدي	٨٨
٢٤.	الشافعي	٥٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	العلم	رقم الصفحة
٢٥.	الشعبي	١٩٨
٢٦.	الشوكاني	٦٧
٢٧.	الصابوني	١٢٧
٢٨.	الضحاك	٩٥
٢٩.	الطبري	١٣٧
٣٠.	الفراء	٢٢
٣١.	الكرخي	١٦٢
٣٢.	الكلبي	٢١٦
٣٣.	الليث بن سعد	٨٢
٣٤.	الماوردي	٦٤
٣٥.	المبرد	٥٤
٣٦.	النحاس	٥٤
٣٧.	النسفي	٢٢
٣٨.	حكيم بْن معاوية	٧١
٣٩.	حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ	٤
٤٠.	حيي بن أخطب	٣٧
٤١.	سيد قطب	٧٦
٤٢.	سعيد بن جبير	٥٨
٤٣.	سَعِيدِ بْنِ سَعْدٍ	١٧٨
٤٤.	سفيان بن عيينة	١٩٩
٤٥.	سلمة بن الأكوع	١٦١
٤٦.	سهل بْن سعد	١٤٥
٤٧.	عبد الله بن معقل المزني	١٤٦
٤٨.	عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ	٦
٤٩.	عَدِيّ بن رَبيعةَ	١١٨
٥٠.	عروة بن الزبير	٣٤
٥١.	عُقبة بن أبي معيط	٤٤
٥٢.	علقمة بن عَبَدَة	٥١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	العلم	رقم الصفحة
٥٣.	عمرو بن قيس الملائي	٩٢
٥٤.	قتادة	٧٤
٥٥.	مالك بن أنس	٦١
٥٦.	مالك بن دينار	١٤٨
٥٧.	مجاهد	٤٢
٥٨.	مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ	١٤٤
٥٩.	مقاتل	٥٧
٦٠.	يحيى بن سلام	١٦٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

١-اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت٧٥١هـ، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

٢-أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، ت ٣٧٠هـ، المحقق: محمد صادق القمحاوي –عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ

٣-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود، ت٩٨٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤-أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت ٤٦٨هـ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢ م

٥-أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى

٦-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ –١٩٩٥م

٧-إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس، ت ٣٣٨هـ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ

٨-إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين، ت ٧٦٢هـ، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد –أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م

٩-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠-الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت ٣٥٤هـ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت ٧٣٩ هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م

١١-الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٥ هـ

١٢-الإعجاز القرآني: الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية-محمد كامل عبد الصمد المصدر : مجلة الإصلاح العدد ٢٩٦ سنة ١٩٩٤ " من ندوات جمعية الإعجاز العلمي للقرآن في القاهرة

١٣-الأعلام للزركلي، المؤلف: خير الدين بن محمود، الزركلي الدمشقي، ت١٣٩٦هـ، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر -أيار / مايو ٢٠٠٢ م

١٤-الأنساب للسمعاني، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد، ت: ٥٦٢هـ، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ -١٩٦٢ م

١٥-البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت ٧٤٥هـ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

١٦-البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة ، المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، ت ١٤٠٣هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان

١٧-البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤هـ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ -١٩٥٧م

١٨-التحرير والتنوير، المؤلف : محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٣هـ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١٩-التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف : محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٦ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٠-التفسير القرآني للقرآن، المؤلف عبد الكريم يونس الخطيب، ت١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي -القاهرة
٢١-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ
٢٢-التفسير الوسيط لطنطاوي، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى تاريخ النشر: أجزاء ١ -٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧
٢٣-التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى -١٤٢٢ هـ
٢٤-التيسير في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت ٤٤٤هـ، المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
٢٥-الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت ٣٥٤هـ، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣
٢٦-الجامع المسند الصحيح المختصر = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٢٧-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت ٦٧١هـ، المؤلف: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م
٢٨-الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: المؤلف: محمود بن عبد الرحيم الصافي، ت ١٣٧٦هـ، الناشر: دار الرشيد، دمشق -مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ
٢٩-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت ٨٧٥هـ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٠-الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، ت ٣٧٠هـ، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب -جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ

٣١-الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، ت ٣٧٧هـ، المحقق: بدر الدين قهوجي -بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح -أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث -دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م

٣٢-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي، ت ٧٥٦هـ، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق

٣٣-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، الناشر: دار الفكر -بيروت

٣٤-السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي، ت ٣٢٤هـ، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ

٣٥-السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت ٤٥٨هـ، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م

٣٦-السنن الكبرى للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، ت٤٥٨هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٣٧-السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣هـ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١م

٣٨-السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف : عبد الملك بن هشام أبو محمد، ت : ٢١٣هـ، المحقق : طه عبد الرءوف سعد، الناشر : دار الجيل – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤١١هـ

٣٩-السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام ت ٢١٣هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠-القرآن ونقض مطاعن الرهبان، المؤلف: المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النشر: دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م
٤١-القضاء والقدر للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت ٤٥٨هـ، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان -الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م
٤٢-الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت
٤٣-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤٠٧ هـ
٤٤-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت ٤٢٧هـ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ -٢٠٠٢ م
٤٥-اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين الحنبلي الدمشقي النعماني، ت٧٧٥هـ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨م
٤٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف : أبو محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر : دار الكتب العلمية -لبنان - الطبعة : الأولى ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م
٤٧-المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، المؤلف: خالد بن سليمان المزيني، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م)
٤٨-المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: ٤٥٨هـ، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م
٤٩-المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله طبعة مزيدة، بفهرس الأحاديث الشريفة بإشراف د . يوسف عبد الرحمن المرعشلى، دار المعرفة بيروت – لبنان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٠-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م

٥١-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله = صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، ت ٢٦١هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥٢-المعجم الكبير للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية

٥٣-المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة

٥٤-المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ت ٥٠٢هـ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٢ هـ

٥٥-المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت ٤٧٤هـ، الناشر: مطبعة السعادة -بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ

٥٦-الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الأجزاء ١ -٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ -١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ٢٤ -٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩ -٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة

٥٧-الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد النحوي ت ٣٣٨هـ، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ

٥٨-النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت٤٥٠هـ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٥٩-النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى -محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٠-الهداية إلى بلوغ النهاية، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني، ت ٤٣٧هـ، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م

٦١-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، ت ٤٦٨هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٦٢-أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، ت٢٧٩هـ، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

٦٣-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٦٤-أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ت١٤٠٢هـ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ -فبراير ١٩٦٤ م

٦٥-إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين، ت نحو ٥٥٠هـ، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٥ هـ

٦٦-أيسر التفاسير للجزائري، المؤلف: جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٦٧-بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، ت ٣٧٣هـ، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع

٦٨-تفسير الجلالين، المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، ت ٨٦٤هـ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى

٦٩-تفسير السمعاني، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، ت٤٨٩هـ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٠-تفسير الشعراوي -الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي، ت ١٤١٨هـ، الناشر: مطابع أخبار اليوم

٧١-تفسير العز بن عبد السلام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد السلام بن أبي القاسم، ت ٦٦٠هـ، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٧٢-تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م

٧٣-تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، ت١٣٧١هـ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦ م

٧٤-تفسير المنار، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

٧٥-تفسير غريب القرآن، مصدر الكتاب : موقع يعسوب http://www.yasoob.co

٧٦-تفسير كلمات القرآن محمد غازي الدروبي، النسخة الموصلية

٧٧-تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، ت ١٠٤هـ، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٨٩ م

٧٨-تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ -١٩٨٦

٧٩-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، نسب: لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما – ت ٦٨هـ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ت ٨١٧هـ، الناشر: دار الكتب العلمية -لبنان

٨٠-تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت ٣٧٠هـ، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

٨٢-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٨٣-جمهرة الأمثال، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري، ت نحو ٣٩٥هـ، الناشر: دار الفكر -بيروت

٨٤-حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، ت حوالي ٤٠٣هـ، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة

٨٥-روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، ت ١١٢٧هـ، الناشر: دار الفكر -بيروت

٨٦-زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج الجوزي، ت ٥٩٧هـ، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ

٨٧-زهرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ت ١٣٩٤هـ، دار النشر: دار الفكر العربي

٨٨-سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت٢٧٥هـ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٨٩-سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، ت٢٧٩هـ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥ م

٩٠-سنن النسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ -١٩٨٦

٩١-سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٢-سيرة ابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ت ٢١٣هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥ م

٩٣-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م

٩٤-شعب الإيمان للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت ٤٥٨هـ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣ م

٩٥-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ت ٣٥٤هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م

٩٦-صحيح الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت ١٤٢٠هـ، الناشر: المكتب الإسلامي

٩٧-صحيح السيرة النبوية، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ، الناشر: المكتبة الإسلامية -عمان – الأردن، الطبعة: الأولى

٩٨-صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم ابن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، دار **إحياء** الكتب العربية، توزيع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩١م

٩٩-طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، ت٩٤٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر

١٠٠-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران، دار النشر : دار الكتب العلمية -بيروت / لبنان، الطبعة : الأولى ١٤١٦هـ -١٩٩٦ م

١٠١-غزوات النبي ﷺ، المؤلف: السيد الجميلى، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٦ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٢-فتح البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب البخاري القِنَّوجي، ت١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م

١٠٣-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٤ هـ

١٠٤-فقه السنة، المؤلف: سيد سابق، ت ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ -١٩٧٧ م

١٠٥-في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت ١٣٨٥هـ، الناشر: دار الشروق -بيروت-القاهرة، الطبعة: السابعة عشر -١٤١٢ هـ

١٠٦-كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المؤلف : عبد الدائم الكحيل

١٠٧-لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

١٠٨-لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ت ٧١١هـ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ

١٠٩-لطائف الإشارات، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت ٤٦٥هـ، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة

١١٠-محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت ١٣٣٢هـ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ

١١١-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ت ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

١١٢-مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا، ت ١٣١٦هـ، المحقق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٧ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١١٣-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥ م

١١٤-مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت ٢٤١هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١١٥-معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ت ٥١٠هـ، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

١١٦-معاني القراءات، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري، ت ٣٧٠هـ، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب -جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩١ م

١١٧-معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: أبو إسحاق الزجاج، ت ٣١١هـ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ -١٩٨٨ م

١١٨-معاني القرآن، المؤلف: أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط، ت ٢١٥هـ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ -١٩٩٠ م

١١٩-معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى

١٢٠-معجم ابن الأعرابي، المؤلف: أبو سعيد بن الأعرابي، ت ٣٤٠هـ، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م

١٢١-معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت٦٢٦هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٢-معجم الصحابة، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ت ٣١٧هـ، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م

١٢٣-معجم المنجد في اللغة، المؤلف: علي بن الحسن الهنائي الأزدي، المشهور بكراع النمل، الناشر: دار المشرق

١٢٤-معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ت ٣٩٥هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

١٢٥-معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت ٤٣٠هـ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

١٢٦-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤٢٠ هـ

١٢٧-مفردات القرآن للراغب، المؤلف : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، الناشر : دار العلم الدار الشامية، مكان الطبع : دمشق . بيروت، سنة الطبع : ١٤١٢ هـ

١٢٨-موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي -سورية -دمشق -الحلبوني -جادة ابن سينا، الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

١٢٩-نزهة الألباب في الألقاب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، المحقق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م

١٣٠-نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة

١٣١-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر أبي بكر البقاعي، ت٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٣٢-نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ت ١٣٠٧هـ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل -أحمد فريد المزيدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠

١٣٣-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ت ٦٨١هـ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر -بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	أ
إهداء	ب
المقدمة	ج
الفصل الأول **الأعضاء التي ذُكرت في الطهارة، والحدود، والقتال**	١
المبحث الأول: الأعضاء التي ذكرت في الطهارة	٢
المطلب الأول: فرائض الوضوء (الوجوه، والأيدي إلى المرافق، والرؤوس، والأرجل إلى الكعبين)	٣
الإعجاز العلمي في القرآن الوضوء	٧
المطلب الثاني : التيمم (الوجوه، والأيدي)	٩
المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الحدود	١٣
المطلب الأول : حكم القصاص (العيون، والأنوف، والآذان، والأسنان)	١٤
المطلب الثاني : حد الحرابة (تقطيع الأيدي، والأرجل)	١٦
المطلب الثالث : حد السرقة (اليد)	١٨
المطلب الرابع: تهديد فرعون للسحرة المؤمنين (قطع الأيدي، والأرجل)	٢٠
المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في القتال	٢٤
المطلب الأول: الأقدام، والقلوب، والأدبار	٢٥
المطلب الثاني: الأعناق، والرقاب	٢٨
المطلب الثالث: البنان	٣١
المطلب الرابع: العيون	٣٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني **الأعضاء التي ذكرت في الحسرة والندم، والشهادة، والعذاب**	٤٠
المبحث الأول : أعضاء ذكرت عند الحسرة والندم، والتيه والضلال، والابتلاء والمحن	٤١
المطلب الأول: الحسرة والندم (تقليب الكفين، والعض على الأيدي، والأقدام، والظهور)	٤٢
المطلب الثاني: التيه والضلال (القلوب، والعيون، والأصابع، والآذان، والأيدي)	٤٩
المطلب الثالث: الابتلاءات والمحن (العيون، والرؤوس، والأيدي)	٥٧
المبحث الثاني: الأعضاء التي تشهد على أصحابها	٦٣
المطلب الأول: شهادة الأسماع، والأبصار، والجلود	٦٤
المطلب الثاني: شهادة الألسنة، والأيدي، والأرجل	٦٨
المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في العذاب	٧٣
المطلب الأول: الأعناق	٧٤
المطلب الثاني: الجلود	٧٩
الإعجاز العلمي في الجلود	٨١
المطلب الثالث: البطون، والظهور، والأمعاء	٨٣
المطلب الرابع: الرؤوس، والنواصي، والوجوه، والخرطوم	٩٣
الفصل الثالث **الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله، والعبادة، والطمأنينة**	١٠١
المبحث الأول : الأعضاء التي ذُكرت في تعظيم قدرة الله في خلقه	١٠٢
المطلب الأول: البطون، والصدور	١٠٣
المطلب الثاني: الألسنة، والتراقي، والسيقان، والعيون	١١٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: العظام، والبنان، والآذان	١١٨
المطلب الرابع: الأعناق، والحلاقيم، والأوردة، والظهور	١٢٧
المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في العبادة، والطاعة	١٣٥
المطلب الأول: الرؤوس، والوجوه	١٣٦
المطلب الثاني: العيون، والفروج	١٤١
المطلب الثالث: الجنوب، والجبين	١٤٧
المطلب الرابع: الأذقان، والبطون، والألسنة	١٤٩
المبحث الثالث: الأعضاء التي ذُكرت في الطمأنينة والبشرى	١٥٣
المطلب الأول: الأعضاد، والصدور، والألسنة مع رسول الله ﷺ، وموسى عليه السلام	١٥٤
المطلب الثاني: الرؤوس، والوجوه مع رسول الله ﷺ، ويوسف عليه السلام	١٦٠
المطلب الثالث: قرة العيون، ونضارة الوجوه للصالحين	١٦٥
الفصل الرابع **الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، والإعراض عن دعواتهم**	١٧٥
المبحث الأول: الأعضاء التي ذُكرت في قصص الأنبياء، ومعجزاتهم	١٧٦
المطلب الأول: الأيدي، والعيون، والأطراف	١٧٧
المطلب الثاني: الأرجل، والسيقان	١٨٥
المطلب الثالث: الرؤوس، واللحى	١٩٠
المبحث الثاني: الأعضاء التي ذُكرت في الإعراض، والصد عن الدعوة	١٩٦
المطلب الأول : إعراض الكفار واليهود عن النبي (الظهور، والقلوب، والآذان)	١٩٧
المطلب الثاني: إعراض المنافقين (الألسنة، والأفواه، والأنامل، والأيدي، والرؤوس، والخدود)	٢١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: إعراض الكفار عن دعوة الأنبياء السابقين (الأفواه، والأصابع والآذان، الأيدي)	٢٢٤
الخاتمة	٢٣١
التوصيات	٢٣٣
الفهارس	٢٣٤
أولا: فهرس الآيات القرآنية	٢٣٥
ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	٢٤٨
ثالثا: فهرس الأعلام	٢٥٢
رابعا: فهرس المصادر والمراجع	٢٥٥
خامسا: فهرس الموضوعات	٢٦٩
ملخص الرسالة باللغة العربية	٢٧٣
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	٢٧٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة باللغة العربية

أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

لقد ورد في القرآن الكريم ذكر قرابة الأربعين من أعضاء جسم الإنسان، وقد بينت الآيات الكريمة أن هذه الأعضاء، ورد بعضها في الطاعات، كفرائض الوضوء والتيمم كالوجوه والأيدي، والأرجل والكعبين، والمرافق، ومنها ما ذكر في الحدود كحد القصاص، والحرابة، والسرقة، ومن هذه الأعضاء العيون، والأسنان، والأيدي، والأرجل، ومنها ما ذكر في القتال كالأقدام، والأعناق والرقاب، والبنان، والأيدي، ومنها ما ذكر في الحسرة والندم، كتقليب الكفين، والعض على الأيدي، ومنها ما ورد ذكره في التيه والضلال، والابتلاء والمحن، كالأقدام والظهور، والقلوب والعيون، والرؤوس والأيدي، ومنها ما ذكر في الشهادة على أصحابها، كالأسماع، والأبصار، والجلود، ومنها ما ذكر في العذاب، كالبطون والأمعاء والأعناق، والنواصي، والوجوه والخرطوم، ومنها ما ذكر في تعظيم قدرة الله، كالبطون والصدور، والعظام واللحوم، والحلاقيم والأوردة، ومنها ما ذكر في العبادة، كالجنوب والجبين، والأذقان والألسنة، ومنها ما ذُكر في الطمأنينة والبشرى، كالأعضاد والصدور، والرؤوس والوجوه، ومنها ما ذُكر في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، كالأيدي والسيقان، واللحى، ومنها ما ذكر في الإعراض والصد عن الدعوة، كالأفواه والأنامل والأيدي، والآذان والظهور.

وتَبَيَنَ من خلال الدراسة أن الله تعالى له حِكَم من ذكر هذه الأعضاء في مواطنها التي ذكرت فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Parts of human body in Holy Quran

(An objective study)

There are about forty parts of body mentioned in the Holy Quran. verses indicated these parts.

Some of these parts are mentioned in acts of worship like ablution and dry ablution such as faces, hands, legs, anckles, and elbows.

Some are mentioned in limits set by Allah as retribution, banditry and theft. Some are mentioned in fighting as feet, necks, edges of fingers and hands. Some are mentioned in regret as turn the palms of hands great regret. Some are mentioned in aberration, plague and tribulations as feet and back, heart, eyes, heads and hands.

Some are mentioned to witness on their owners as listening, seeing and leather. Some are mentioned in torment as bellies, intestins, necks, enrirons, faces and nose. Some parts are mentioned in maximize the ability of Allah as bellies, chests, bones, flesh, larynxes and veins.

Some are mentioned in worship as fronts, periphery, beard and tongue. Some are mentioned in tranquility and bodes as chest, heads and faces. Some are mentioned in prophets stories and miracles as hands, legs, and beards. Some are mentioned in rejection and disapproval of guidance as mouth, hands, ears and backs.

This study shows that Allah has sagacities and wisdom by mentioning these organs in their places mentioned in.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com